

## الباب الثاني

أثر دلالة السياق القرآني  
في تفسير ابن جرير :

## تمهيد :

بعد الحديث في الباب الأول عن القواعد -التي ينبغي على المفسر أن ينتهجها ، مما يستعمله شيخ المفسرين ابن جرير -رحمه الله- ؛ لأنها قائمة على اعتبار دلالات الألفاظ وما يترتب على الكلام منطوقا ومفهوما ، وهي دلالات معتبره في النظر إلى الدليل في الجملة -، ندخل الآن إلى الباب الثاني الذي هو نتيجة تتبع دلالة السياق ، وذلك بالنظر إلى ما يترتب على هذا المنهج من آثار ظاهرة على تفسير كلام الله تعالى ، والمعاني التي يتوصل إليها المفسر .

وينقسم هذا الباب إلى تسعة فصول :

الفصل الأول : أثر دلالة السياق في قراءات القرآن .

الفصل الثاني : أثر دلالة السياق في بيان الأصح من أسباب النزول .

الفصل الثالث : أثر دلالة السياق في إظهار تناسب الآيات وتربطها .

الفصل الرابع : أثر دلالة السياق في الدلالة على المعنى .

الفصل الخامس : أثر دلالة السياق في ذكر المعنى المناسب للسياق إذا حذف متعلقه لعمومه ولا ينافي العموم .

الفصل السادس : أثر دلالة السياق في الدلالة على المحذوف من الكلام .

الفصل السابع : أثر دلالة السياق على وجود النسخ أو عدمه .

الفصل الثامن : أثر دلالة السياق على وجود تقديم أو تأخير .

الفصل التاسع : أثر دلالة السياق في تضعيف بعض الأقوال .

## الفصل الأول

أثر دلالة السياق في قراءات القرآن :

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أثر دلالة السياق في تصحيح القراءة .

المبحث الثاني : أثر دلالة السياق في تضعيف القراءة ،

أو ردّها ، ومناقشة ذلك .

### مدخل الفصل:

يظهر للمتأمل في مواضع القراءات من تفسير جامع البيان للإمام الطبري -رحمه الله- ، أن الترحيح بين القراءات راجع إلى الأسباب التالية :

- اختيار الأفضل ، أما إذا استويت القراءات في المعنى فلا فائدة من الترحيح .<sup>(١)</sup> وفي مواضع لم يرجح بين القراءات لاحتمالها ولا مرجح عنده ؛ لأن كليهما دل السياق على اعتبارها من وجه ، أو لثبوت القراءة بهما عنده . -والله أعلم-<sup>(٢)</sup> .

-إجماع عامة القراء عنده ، ولا يعتد بمخالفة الواحد والاثنين -كما هو مذهبه في الإجماع ، أو استفاضة القراءة بهذه دون تلك ، وهذا أوضح جواب على رده القراءة .<sup>(٣)</sup>

- (١) ومثلاً على ذلك: قوله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا ذُرُوعًا وَبِطَانًا مِنَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٧] فقد ذكر -رحمه الله-: قراءة الخفض ﴿وَالْكَافِرِينَ﴾ بخفض {الكفار} وهي قراءة أبي عمرو والكسائي ويعقوب ، وقراءة النصب ﴿وَالْكَافِرِينَ﴾ قرأ بها الباقون ثم قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان متفقتا المعنى صحيحتا المخرج ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراءة ، فبأي ذلك قرأ القارئ فقد أصاب. انظر جامع البيان (٦٣١/٤) وتحقيق شاكر (٤٣١/١٠) ، ومثله في البقرة (٢٥٩) ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُعِيُّهُ هَذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ الآية جامع البيان (٤٦/٣) .
- (٢) ومن ذلك قوله -تعالى-: ﴿وَمَنْ يَعْزُضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧] ذكر القراءة بالنون والياء في ﴿يَسْلُكْهُ﴾ قرأ بالنون : أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ، وبالياء قرأ عاصم وحزمة والكسائي ويعقوب وخلف . انظر المبسوط (٣٨٤) ، وإتحاف فضلاء البشر (٥٦٦/٢) ، ولم يرجح شيئاً .
- (٣) كما في الإسراء (١٠٦) ﴿وَقَرَأَ آتَا فَرَقْتَهُ لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْتَبٍ وَرَأَيْنَاهُ تَرْجُومًا﴾ جامع البيان (١٦١/٨) ، والكهف (٣٤) ﴿وَكَانَ لَهُ شَرٌّ قَالٌ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْسًا﴾ جامع البيان (٢٢٣/٨) ، ومرم (٣٤) ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ جامع البيان (٣٤١/٨) ، وطه (١٠٢) ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي السُّورِ وَنُفْخَةُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرُّوا﴾ جامع البيان (٤٥٦/٨) ، والتحریم (٣) ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّاسُ إِلَىٰ بَعْضِ أَوْجُوهِ حَؤُبِنَا فَمَلَأْنَا تَابَاتٍ يَدَهُ وَأَطْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ الآية جامع البيان (١٥١/١٢) ، والنبأ (٣٥) ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا﴾ جامع البيان (٤٠٩/١٢) ، والأعلى (١٦) ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٥٤٨/١٢) وغيرها .

- وقد يرجح اعتماداً على سبب النزول<sup>(١)</sup>. وقد يكون الترجيح لمذهب لغوي، أو إعرابي، أو طلب الأعم من المعاني، ونحو ذلك<sup>(٢)</sup>.

- وقد يرجح اعتماداً على السياق، ولطلب اتساق الكلام، واستدلالاً بما يشاهدها في السورة، أو مراعاة لرؤوس الآي فيها، وهذا هو الذي يتعلق بالبحث فهو الترجيح اعتماداً على السياق، وسيأتي بسط لما يتعلق بالسياق - إن شاء الله - .

وقبل الدخول إلى التصحيح والتضعيف أقدم بمقدمة مهمة في مسألة رد ابن جرير - رحمه الله - في تفسيره جامع البيان لبعض القراءات الصحيحة، وقد كان الناس قبالة هذا الأمر مختلفين: منهم من قال: إن هذا لا يجوز، وكتب في الرد عليه، ومنهم من قال: إن هذا الأسلوب من ابن جرير لا يعدو أن يكون اختياراً بين القراءات.

وهذه المسألة مشكلة جداً، ولكن سأذكر - إن شاء الله - ما استطعت فهمه من منهج الإمام في تعامله مع القراءات، وستكون هذه النقاط غير مرتبة لتشعب الفكر في حل هذا الأمر، وعسى أن يكون مجموع النقاط موصلاً إلى العدل والقسط:

(١) كما في آل عمران (٨٠) ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْكُفَّةِ وَاللَّيِّعِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ الآية جامع البيان (٣/٣٢٧)، والنساء (٩٥) ﴿لَا يَسْتَوِ الْقَاتِلُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الْقَرْبَى وَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ الآية جامع البيان (٤/٢٢٩).

(٢) ومن أمثلة هذا النوع في: البقرة (٨٣) ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَإِلَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَإِلَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَإِلَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَإِلَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَإِلَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ الآية جامع البيان (١/٤٣٦)، و(١٨٤) ﴿أَيُّهَا مَعْدُونَتِي فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَوَدَّ مِنْ آيَاتِهِ أَنْزَلَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ الآية جامع البيان (٢/١٤٧)، و(٢٧١) ﴿إِنْ بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَرِيضَةً﴾ الآية جامع البيان (٣/٩٤)، وآل عمران (٣٩) ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَلْبُهُمْ صَاحٍ فِي الْحَرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ الآية جامع البيان (٣/٢٥٠)، والأنعام (٢٣) ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ الآية جامع البيان (٥/١٦٥)، والانفطار (٧) ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ الآية جامع البيان (١٢/٤٧٩) وغيرها.

- أنكر العلماء الذين أتوا بعد الطبري استبعاده قراءة ابن عامر على عثمان بن عفان - رضي الله عنه - على ما جاء في الروايات عنه ، قال أبو شامة<sup>(١)</sup> - رحمه الله - : " وهذا غير ضائر " ، ثم قال : " فهب أنه لم يصح أنه قرأ على عثمان ، فقد قرأ على غيره من الصحابة ، وكان يقول هذه حروف أهل الشام التي يقرؤونها . " <sup>(٢)</sup>

وعاب ابن الجزري - رحمه الله - <sup>(٣)</sup> إنكاره قراءة ابن عامر لآية الأنعام<sup>(٤)</sup> وغيرها من القراءة الصحيحة ، وقال : " وركب هذا المخذور ابن جرير بعد الثلاثمائة وقد عدّ ذلك من سقطات ابن جرير " . <sup>(٥)</sup>

- ومع ذلك فإن عصر الطبري - رحمه الله - يختلف عن المراحل المتأخرة في النظر إلى القراءة السبعية ، أو القراءة الصحيحة والشاذة ، ويجب أن يُحمل كلام العلماء على المرحلة التي كتب فيها ، ولا يحكم على متقدم بما استقرّ عند المتأخر ، فكان اختيار ابن جرير في وقته وترجيحه مناسباً لمرحلته التي هو فيها ، أو يقال : إن الخطأ منه أخف وأسهل من خطأ من أتوا بعده ، بعد أن ركنت النفوس إلى القراءات السبع والعشر .

(١) هو أبو القاسم ، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي ثم الدمشقي ، قيل له أبو شامة : لأن فوق حاجبه شامة كبيرة ، ولد سنة تسع وتسعين وخمسائة ، شافعي مقرئ نحوي لغوي ، أتقن القراءة على علم الدين السخاوي ، ألف شرح الشاطبية ، وشرح المفصل للزمخشري ، توفي بدمشق سنة خمس وستين وستمائة . انظر معرفة القراء الكبار (٢/٦٧٣) ، وغاية النهاية (١/٣٦٥) ، وطبقات المفسرين للداوودي (١/٢٦٣) ، وشذرات الذهب (٥/٣١٨) .

(٢) المرشد الوجيز صفحة (١٦١-١٦٢) ، وانظر الاختيار في القراءات منشؤه ومشروعيته وتبرئة الإمام الطبري من تهمة إنكار القراءات المتواترة ، صفحة (٣٣-٣٥) ، للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شليبي .

(٣) هو أبو الخير ، محمد بن محمد الجزري ، من كبار علماء القراءات ، وصنف فيها النشر ، وغاية النهاية في طبقات القراء ، كانت له رحلات لطلب القراءة ، وتوفي بشيراز سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة . انظر مقدمة النشر (١/د-ز) .

(٤) وهي قراءته قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ زُكِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَّاؤُهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٣٧] . انظر النشر (٢/٢٦٤) .

(٥) النشر (٢/٢٦٤) .

لقد انتهى الإمام الطبري -رحمه الله- من تأليف كتابه -للمرة الأولى - عام سبعين ومائتين ،  
 والمرة الثانية كانت تسعين ومائتين ، وكان ابن مجاهد أول من سبع السبعة عام الثلاثمائة<sup>(١)</sup> ، ولم يستقرّ  
 العمل على فعل ابن مجاهد ، الذي سار على اختيار هؤلاء القراء إلا بعد زمن من تأليف كتابه .  
 أما إذا كان الأمر في ردّ القراءة واضحاً عياناً بياناً ، فإن هذا موضع اجتهاد منه -رحمه الله-  
 وكلّ يؤخذ من قوله ويترك ، إلا رسول الله -ﷺ- ، وقد يكون أيضاً لعدم وقوفه على القراءة من هذا  
 الوجه ، وقد تبين أنه ليس للطبري سند لقراءة حفص عن عاصم ، حيث قال في قوله تعالى : ﴿ نَزَّاعَةٌ  
 لِلشَّوَى ﴾ [المعارج: ١٦] : "ولا يجوز النصب في القراءة ؛ لإجماع قراء الأمصار على رفعها ، ولا قارئ  
 قرأ كذلك بالنصب ، وإن كان للنصب في العربية وجه"<sup>(٢)</sup> .  
 -الإمام الطبري -رحمه الله- عالم في القراءات كبير ، بل وله مؤلّف ضخم لم يؤلف مثله ،  
 وقد اختار نيفاً وعشرين من القراء ، وكان الاختيار بين القراء من عادتهم ، قال فيه ياقوت : "واختار  
 منها قراءة لم يخرج فيها عن المشهور"<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز صفحة (١٦٠) لأبي شامة ، تحقيق طيار آلتي قولاج ، وانظر صفحة  
 (٤٦-٤٧) من هذا البحث .

(٢) جامع البيان (٢٣١/١٢) ، وانظر مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير للدكتور مساعد الطيار صفحة (٣٢١) وما  
 بعدها ، ومن قراءة حفص ولم ينسبها الطبري لحفص : ﴿ لِيَتْلِكُمْ ﴾ [الكهف: ٥٩] جامع البيان (٢٤٤/٨-٢٤٥) ، و﴿  
 سُوقًا ﴾ [مرم: ٢٥] جامع البيان (٣٣١/٨) ، و﴿ الرهب ﴾ في القصص ٣٢ جامع البيان (٧٠/١٠) ، و﴿ لَا مَقَامَ لَكَ ﴾  
 [الأحزاب: ١٣] جامع البيان (٢٧٠/١٠) ، و﴿ قَاتِلِج ﴾ [غافر: ٣٧] جامع البيان (٦١/١١) .  
 (٣) معجم الأدباء (٤٥/١٨) .

وقد نسب المتشوري ت ٨٣٤ في كتابه شرح الدرر اللوامع في أصل مقراءة نافع ٨٦٤/٢ إلى الطبري من كتابه الجامع قوله  
 : "كل من اختار حرفاً من المقبولين من الأئمة المشهورين بالسنة والافتداء بمن مضى من علماء الشريعة راعى في اختياره:  
 الرواية أولاً ، ثم موافقة المصحف الإمام ثانياً ، ثم العربية ثالثاً ، فمن لم يراع الأشياء الثلاثة في اختياره لم يقبل اختياره ،  
 ولم يتداوله أهل السنة والجماعة" . كما بين الباحث زيد بن علي مهارش في رسالته : "منهج ابن جرير الطبري في  
 القراءات وضوابط اختيارها في تفسيره" أن الطبري سار على هذا المنهج تحت باب : "ضوابط اختيار القراءة عند الطبري" .  
 وانظر مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير للطيار صفحة ٣١٦-٣١٧ .

- لقد جلس الإمام الطبري - رحمه الله - للإقراء ، وأخذ التلاميذ عنه اختياراته ، ومن قرأ عليه ابن مجاهد ، وغيره من الأئمة الأثبات ، فلو كان الطبري أنكر شيئاً متواتراً لما سكتوا عنه ، خاصة ابن مجاهد ، الذي أوقف ابن شنبوذ <sup>(١)</sup> في قراءته بالشواذ ، المروية عن بعض الصحابة ، وإن خالفت الرسم ، حتى رجع عن ذلك ، وأوقف محمد بن الحسن - المعروف بابن مقسم <sup>(٢)</sup> - عن إجازته القراءة بما وافق العربية والرسم ، وإن لم يكن نقل عن السابقين ، وكان يناقش في كتابه : " السبعة " : الرواية ، والأقوال ، <sup>(٣)</sup> فكيف يسكت عن شيخه إن كان منه ما ادعي عليه ؟ .

- لقد كان الإمام ابن مجاهد يجلل الإمام الطبري إجلالاً كبيراً ومن ذلك : وقوفه بباب مسجد محمد بن جرير ، ابن جرير يقرأ سورة الرحمن ، فاستمع قراءته طويلاً ، ثم انصرف ، فقيل له : يا أستاذ: تركت الناس ينتظرونك وجئت تسمع قراءة هذا ؟ . فقال : ما ظننت أن الله - تعالى - خلق بشراً يحسن يقرأ هذه القراءة . <sup>(٤)</sup>

**وقال ابن كامل :** " قال لنا أبو بكر بن مجاهد - وقد ذكر فضل كتابه في القراءات - وقال :

(١) هو أبو الحسن ، محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ المقرئ ، شيخ المقرئين بالعراق مع ابن مجاهد ، أكثر الترحال في الطلب ، كان إماماً صدوقاً أميناً كبير القدر ، كان يرى جواز القراءة إذا صح السند وإن خالف رسم المصحف الإمام ، وعزّر لذلك وبولغ في التعزيز ، سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، والمسألة مختلف فيها في الجملة ، قال أبو شامة : كان الرفق بابن شنبوذ أولى وكان اعتقاله وإغلاظ القول له كافياً ، وليس كان بمصيب فيما ذهب إليه ، لكن أخطأه في واقعة لا تسقط حقه من حرمة أهل القرآن والعلم ، مات سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة . انظر سير أعلام النبلاء (١٥/٢٦٤) ، ومعرفة القراء الكبار (١/٢٧٦) ، وغاية النهاية (٢/٥٢) .

(٢) هو محمد بن الحسن بن مقسم بن يعقوب ، المقرئ النحوي البغدادي ، ولد سنة خمس وستين ومائتين ، كان عالماً باللغة والشعر وسمع من ثعلب ، تكلموا فيه ، ووثقه الخطيب ، له : الأنوار في علوم القرآن ، ومدخل إلى علم الشعر ، كان يرى القراءة بما وافق المصحف وإن خالف النقل ، وأوقف ورجع عن ذلك ، مات بعد الخمسين وثلاثمائة ، قيل سنة أربع وخمسين وثلاثمائة . انظر معرفة القراء الكبار (١/٣٠٦) ، وغاية النهاية (٢/١٢٣) .

(٣) انظر مقدمة شوقي ضيف على كتاب السبعة الصفحات (١٥-١٦ و٢٦-٣٣) ، ومن مواضع مناقشة ابن مجاهد للقراء : آية

(٧٦) من الكهف ﴿ قَدْ بَلَّغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا ﴾ في صفحة (٣٩٦) وغيرها .

(٤) انظر تاريخ بغداد (٢/١٦٤) .



إلا أنني وجدت فيه غلطاً ، وذكره لي ، وعجبتُ من ذلك مع قراءته لحمزة وتجويده لها ، ثم قال :  
والعلة في ذلك أبو عبيد القاسم بن سلام ؛ لأنه بنى كتابه على كتاب أبي عبيد فأغفل أبو عبيد هذا  
الحرف فنقل أبو جعفر على ذلك." (١).

**قال مكي - رحمه الله - (٢):** "قد ترك أبو حاتم (٣) وغيره ، ذكر حمزة (٤) ،  
والكسائي (٥) ، وابن عامر (٦) ، وزاد نحو عشرين رجلاً من الأئمة ممن هو فوق هؤلاء السبعة ، وكذلك

(١) معجم الأدباء (٦٧/١٨) .

(٢) هو أبو محمد ، مكي بن أبي طالب واسم ابن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي ، ولد سنة خمس وخمسين ومائتين ،  
نحوي مقرئ ، وله اختيار في القراءة ، أكثر من التأليف في علوم القرآن ومن مؤلفاته : تفسير الهداية ، ومشكل إعراب  
القرآن ، والتبصرة في القراءات السبع ، توفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة . انظر غاية النهاية (٣٠٩/٢) ، وبغية الوعاة  
(٢٩٨/٢) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٣٣١/٢) ، والديباج المذهب (٣٤٢/٢) .

(٣) هو أبو حاتم ، سهل بن محمد بن عثمان السجستاني ، إمام البصرة في النحو والقراءة واللغة والعروض ، عرض على يعقوب  
الحضرمي وسعيد بن أنس ، صاحب المصنفات ، توفي خمس وخمسين ومائتين . انظر معرفة القراء الكبار (٢١٩/١) ،  
وغاية النهاية في طبقات القراء (٣٢٠/١) .

(٤) هو أبو عمارة ، حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل التيمي ، مولاهم المعروف بالزيات ؛ كان يحمل الزيت من الكوفة إلى  
حلوان ، ولد سنة ثمانين ، أدرك الصحابة بالسن ، ويحتمل أنه رأى بعضهم ، عالم بالقراءة والفرائض والحديث ، وهو  
أحد القراء السبعة ، قرأ عليه الكسائي ، من مصنفاته : كتاب قراءة حمزة ، وكتاب الفرائض ، توفي بحلوان ، سنة ست  
وخمسين ومائة ، وقيل غير ذلك . انظر معرفة القراء الكبار (١١١/١) ، وغاية النهاية (٢٦١/١)

(٥) هو أبو الحسن ، علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان ، الأسدي بالولاء الكوفي الكسائي ؛ لأنه -على الصحيح- أحرم في  
كساء ، إمام في النحو واللغة والقراءة ، وهو أحد القراء السبعة ، قال الشافعي : من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال  
على الكسائي ، ومن مؤلفاته : معاني القرآن ، ومختصر في النحو ، ومقطوع القرآن وموصله ، سكن بغداد ، وتوفي  
بالري سنة تسع وثمانين ومائة ، وقيل غير ذلك . انظر المعارف صفحة (٥٤٥) ، ومعرفة القراء الكبار (١٢٠/١) ، وغاية  
النهاية (٥٣٥/١) ، وطبقات المفسرين للداوودي (٣٩٩/١) .

(٦) هو أبو عمران ، عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي ، ولد سنة ثمان ، من التابعين ، أحد القراء السبعة ، إمام أهل  
الشام في القراءة ، تولى قضاء دمشق وإمامة جامعها ، توفي يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومائة . انظر معرفة القراء الكبار  
(٨٢/١) ، وغاية النهاية (٤٢٣/١) ، ومقدمة محقق إتحاف فضلاء البشر (٢٣/١) .

زاد الطبري في كتاب القراءات عن هؤلاء السبعة ، نحو خمسة عشر رجلاً...<sup>(١)</sup>.  
الواجب في الاختيار بين القراءات الصحيحة أن يكون على وجه لا يتعدى إلى تضعيف القراءة الأخرى : فقد نقل الزركشي -رحمه الله- أقوال أهل العلم في ذلك ، ومنهم أبو شامة -رحمه الله- حيث يقول : " وقد أكثر المصنفون في القراءات والتفاسير من الترجيح بين قراءة : ﴿ تَلِكِ يَوْمَ الْبَيْتِ ﴾ [الفاحة: ٤] و {مَلِك} ، حتى إن بعضهم يبالغ إلى حد يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى ، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين ، واتصاف الرب -تعالى- بهما . ثم قال : حتى إنني أصلي بهذه في ركعة وبهذه في ركعة"<sup>(٢)</sup>.

-التواتر في الخبر قد يحصل عند قوم دون قوم : وتأمل إنكار أبي عمرو<sup>(٣)</sup> قراءة الكسائي : قال السخاوي<sup>(٤)</sup> -رحمه الله- : " قال محمد بن صالح<sup>(٥)</sup> : سمعت رجلاً يقول لأبي عمرو<sup>(٦)</sup> : كيف تقرأ : ﴿ لَا يَعْذِبُ عُنَابَهُ أَحَدٌ ﴾ ﴿ وَلَا يُؤْتَىٰ وَتَأْتَهُ أَحَدٌ ﴾ [الفجر: ٢٥ - ٢٦] قال : ﴿ لَا يَعْذِبُ عُنَابَهُ أَحَدٌ ﴾ فقال له

(١) الإبانة عن معاني القراءات صفحة (٦-٧) لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلي .

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٤٩٠-٤٩١) .

(٣) هو أبو عمرو ، زبان بن العلاء بن عمار بن العريان المازني التميمي ، وقيل اسمه يحيى ، عالم بالقراءات العربية ، وهو أحد القرء السبعة ، قرأ على مجاهد ، وابن جبير ، ولد بمكة سنة سبعين ، وتوفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة . انظر معرفة القرء الكبار (١/١٠٠) ، وغاية النهاية (١/٢٨٨) ، والنشر (١/١٣٤) .

(٤) هو جمال القرء ، علم الدين ، أبو الحسن ، علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد السخاوي ، نسبة إلى بلدة سخا بمصر ، ولد سنة ثمان أو تسع وخمسين وخمسائة ، شافعي مقرئ مفسر نحوي لغوي ، شيخ مشايخ الإقراء بدمشق ، له شرح على الشاطبية ، وكتاب جمال القرء ، توفي بدمشق سنة ثلاث وأربعين وستمائة . انظر سير أعلام النبلاء (٢٣/١٢٢) ، ومعرفة القرء الكبار (٢/٦٣١) ، وغاية النهاية (١/٥٦٨) ، وبغية الوعاة (٢/١٩٢) .

(٥) هو أبو إسحاق ، محمد بن صالح المري البصري الخياط ، روى عنه الداني . انظر غاية النهاية (٢/١٥٥-١٥٦) .

(٦) هو أبو عمرو ، عثمان بن سعيد بن عمر الأموي ، مولاهم القرطبي المالكي ، الداني ؛ لتزوله بدانية ، ولد ثلاثمائة وإحدى وسبعين ، له مصنفات حسنة ، منها : "جامع البيان" في القراءات السبع ، وإيجاز البيان ، والوقف والابتداء ، وطبقات القرء وأخبارهم ، توفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة . انظر معرفة القرء الكبار (١/٤٠٦) ، وغاية النهاية (١/٥٠٣) .

الرجل : كيف وقد جاء عن النبي - ﷺ - : { لَا يُعَذَّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ } <sup>(١)</sup> ؟ فقال أبو عمرو : لو سمعت الرجل الذي قال : سمعت النبي - ﷺ - ما أخذته عنه ، وتدرى لم ذاك ؟ ؛ لأني أتتهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به العامة ، ثم قال السخاوي معلقاً : " وقراءة الفتح : ثانية أيضاً بالتواتر <sup>(٢)</sup> ، وقد تواتر الخبر عند قوم دون قوم ، وإنما أنكرها أبو عمرو ؛ لأنها لم تبلغه على وجه التواتر " <sup>(٣)</sup> .

- شروط القراءة الصحيحة عند ابن جرير - رحمه الله - ترجع إلى : الرواية المستفيضة وليس صحة الإسناد فقط ، وموافقة الرسم العثماني للمصحف ، وموافقة العربية <sup>(٤)</sup> ، وقد يرد القراءة لعدم صحة الإسناد <sup>(٥)</sup> .

و كثيراً ما يعول ابن جرير - رحمه الله - في ردّ بعض القراءات على ما سبق : فهو يردّ بعضها لأجل مخالفته إجماع الحجة من القراء ، ومنهج ابن جرير في الإجماع : عدم الاعتداد بمخالفة الواحد والاثنين ، أو مخالفتها القراءة المستفيضة <sup>(٦)</sup> .

ويردّ بعضها لمخالفة مرسوم المصاحف <sup>(٧)</sup> ، أو عدم موافقة الفصح من اللغة <sup>(٨)</sup> ، وقد يجتمع في

(١) قرأ الكسائي ويعقوب بفتح الذال والثاء ، والباقون بكسر الذال والثاء . انظر المبسوط في القراءات العشر صفحة (٤٠٨) ، وحجة القراءات لابن زنجلة صفحة (٧٦٣) .

(٢) قرأ الكسائي ويعقوب بفتح الذال { يُعَذَّبُ } ، والثاء من { يُوثِقُ } ، والباقون بكسرهما . إتحاف فضلاء البشر (٢/٦٠٩) .

(٣) جمال القراءة (١/٢٣٥) لعلم الدين السخاوي ، تحقيق الدكتور علي حسين البواب .

(٤) انظر النحو وكتب التفسير (١/٦٢٥) للدكتور إبراهيم عبد الله رفيده .

(٥) البقرة (١٠٤) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رِعْسَنَا وَفُولُوا نُنظَرْنَا وَأَسْمِعُوا ﴾ الآية جامع البيان (١/٥١٨) .

(٦) انظر البقرة (٣٧) ﴿ قُلْ لَنْ أَدْرِي مَنْ رَّبِّي كَلِمَاتٌ قُنُوتٌ عَلَيْهِ ﴾ الآية جامع البيان (١/٢٨١) ، والأنعام (١٣٧) ﴿ وَكَذَلِكَ

رَفَعْنَا لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيُرُدُّوهُمْ وَلِيَلْسِنُوا عَلَيْهِمْ وَيَتَّبِعُوا ﴾ الآية جامع البيان

(٥/٣٥٣) ، ومریم (١٩) ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ ﴿ ١٨ ﴾ جامع البيان (٨/٣٢١) .

(٧) انظر قراءة عاصم في الأنبياء (٨٨) ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَجَبْنَا لَهُ مِنَ الْعَذَابِ وَكَذَلِكَ نُفَصِّحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ ٨٨ ﴾ جامع البيان (٩/٧٩) ،

وانظر التوبة (١١٩) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ﴿ ١١٩ ﴾ جامع البيان (٦/٥١٠) .

(٨) انظر الأنعام (١٣٧) ﴿ وَكَذَلِكَ رَفَعْنَا لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيُرُدُّوهُمْ وَلِيَلْسِنُوا



- مسألة الترجيح بين القراءات موجودة ومعروفة ؛ ويجب على قارئ كلام الإمام ابن جرير وغيره ممن يُذكر أنه يردّ القراءة الصحيحة ، أن يحمل الكلام على أحسن معانيه التي يحتملها ، فأحياناً يقول : والصواب من القراءة عندي ، أو الأولى في ذلك بالصواب وقد يذكر ما يضعف به القراءة الأخرى ومقصوده تضييقها عنده من ناحية المعنى .

- هناك مواضع كثيرة في تفسير جامع البيان ، لم يكن فيها ترجيح بين القراءات ، بل تصحيح لجميعهن ، وكان يعلل ذلك بصحتها عنده ، وسيرد إشارة لبعض تلك المواضع .  
وبعد هذه النقاط المهمة سيجد القارئ الكريم : أن العتب على الإمام الطبري -رحمه الله- في تضييق بعض القراءات بعد هذه المقدمة يسير ؛ لهذه الأسباب السابقة في هذه النقاط - والله الحمد - .

هذا وقد كانت المواضع المستخرجة من جامع البيان ، تنقسم في محتواها إلى تضييق للقراءة أو تصحيح لها ، فأفردت لكل منهما مبحثاً ، ولا يمكن الفصل بين مواضع المبحثين؛ لأن التصحيح للشيء تضييق لغيره ، والعكس صحيح ، ولكن سأختار من كلام الإمام -رحمه الله- ما يكون واضحاً في محله - إن شاء الله - .

وسياتي مواضع في التصحيح والتضييق للقراءات ، وكلها ثابتة صحيحة ، وسأذكر أوجه ترجيح القراءة الأخرى التي ضعفها الإمام -رحمه الله- قصداً لإظهار إعجاز القرآن وأنه من عند الله -عزّ وجلّ- .

---

=  
و(١١٧) ، والأنعام (٩٩) ، و(١٣٧) ، و(١٣٨) ، و(١٥٤) ، والأعراف (٢٠) ، و(١٥٠) ، والتوبة (١٢) ، و(٦٣) ،  
و(١٠٠) ، و(١١٩) ، ويونس (١٦) ، وهود (٧٨) ، و(١٠٢) ، ويوسف (٣١) ، و(٣٣) ، و(٤٩) ، و(٧٢) ، و(١١٠) ،  
والحجر (١٥) ، والنحل (٨١) ، والإسراء (١٠١) ، وطه (١٥) ، و(٣٩) ، و(٦٩) ، والأنبياء (٣٧) ، و(٨١) ، و(٨٨) ،  
والحج (١٨) ، و(٢٥) ، والنور (١٥) ، والنمل (٨٢) ، والأحزاب (١٣) ، و(٥٠) ، وسبأ (١٠) ، والصفات (٦) ، والزمر  
(٥٩) ، وغافر (٣٧) ، والزخرف (٢٣) ، و(٥٢) ، والأحقاف (٤) ، والحجرات (١) ، والحشر (٧) ، والقيامة (١) و(١٠) ،  
والإنسان (١٦) ، والهمزة (٢) .

## المبحث الأول : أثر دلالة السياق في تصحيح القراءة :

بعد استقرار المواضع وتصنيفها ، تبين أن أسباب ترجيح قراءة على أخرى ، مما له تعلق بالسياق القرآني ، يمكن حصرها في عشرة مطالب ، وسأعرض لها مع الأمثلة الموضحة لها : وهي :

المطلب الأول : طلب اتساق الكلام .

المطلب الثاني : مراعاة رؤوس الآي .

المطلب الثالث : مماثلة آية لها في المعنى من السورة نفسها .

المطلب الرابع : السباق واللاحق لموضع القراءة المرجحة .

المطلب الخامس : ترجيح قراءة لقربها من شيء فتتبع به .

المطلب السادس : ترجيح قراءة على أخرى ؛ لأن العطف يعني التغاير والتقابل .

المطلب السابع : العطف المرجح للجنس الواحد .

المطلب الثامن : طريقة السورة وأسلوبها .

المطلب التاسع : تصاريف الكلمة تدل على مصدرها في الآية .

المطلب العاشر : دلالة السياق على الإعراب ترجح قراءة .

## المطلب الأول : طلب اتساق الكلام :

والترجيح لهذا السبب ، جاء في أربعة مواضع : منها قوله -تعالى- : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَفُوا بِهِ ذَمًّا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتُرُونَ ﴾ (آل عمران: ١٨٧) قال -رحمه الله- : " واختلفت القراءة في قراءة ذلك : فقرأه بعضهم : ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ بالتاء ، وهي قراءة عظيم قراء أهل المدينة والكوفة على وجه المخاطب <sup>(١)</sup> ، بمعنى : قال لهم : لتبيننه للناس ولا تكتمونه، وقرأ ذلك آخرون : { لَيُبَيِّنُهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ } بالياء جميعاً على وجه الخبر عن الغائب <sup>(٢)</sup> ؛ لأنهم في وقت إخبار الله نبيه -ﷺ- بذلك عنهم كانوا غير موجودين ، فصار الخبر عنهم كالخبر عن الغائب .

والقول في ذلك عندنا : أنهما قراءتان صحيحة وجوههما ، مستفيضتان في قراءة الإسلام ، غير مختلفتي المعاني ، فبأيتهما قرأ القارئ فقد أصاب الحق والصواب في ذلك ، غير أن الأمر في ذلك وإن كان كذلك ، فإن أحب القراءتين إلي أن أقرأ بها : { لَيُبَيِّنُهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ } بالياء جميعاً ، استدلالاً بقوله : ﴿ فَنَبَذُوهُ ﴾ أنه إذا كان قد خرج مخرج الخبر عن الغائب ، على سبيل قوله : ﴿ فَنَبَذُوهُ ﴾ حتى يكون متسقاً كله على معنى واحد ومثال واحد ، ولو كان الأول . بمعنى الخطاب لكان أن يقال : فنبدتموه وراء ظهوركم ، أولى من أن يقال : فنبدوه وراء ظهورهم . " <sup>(٣)</sup>

(١) قرأ بها : نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب برواية رويس وخلف . انظر المبسوط صفحة (١٥٠) ، وإتحاف فضلاء البشر (٤٩٧/١) .

(٢) قرأ بها : ابن كثير وأبو عمرو وعاصم برواية أبي بكر ويعقوب برواية روح وزيد . انظر المبسوط صفحة (١٥٠) ، وإتحاف فضلاء البشر (٤٩٧/١) .

(٣) جامع البيان (٥٤٥/٣) . وانظر مواضع أخرى في : البقرة (١٠٦) ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا فَأْتِ بَخِيرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ الآية جامع البيان (٥٢٣/١-٥٢٥) ، والنساء (٢٥) ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْدِيكُمْ مِنْ فَتْيَتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ الآية جامع البيان (٢٤/٤) ، والأنفال (١١) ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ =

فتلاحظ هنا الترجيح غير مضعف للقراءة الأخرى ، وليس ردًّا لها ، وإنما اختيار الأولى منهما ، طلباً لاتساق الكلام ، وسيره على نسق واحد في الآية .  
وللقراءة الأخرى بالتاء توجيهها : كما قال الإمام مكي بن أبي طالب -رحمه الله- : فقد حملت على الخطاب كما قال الله -تعالى- : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِمْ وَتَنْصُرُوهُمْ ﴾ [آل عمران: ٨١] . فرجع إلى الخطاب ولو حُمِلَ على ما قبله لقال : آتيتهم ، وفي القراءة بالتاء : معنى توكيد الأمر ؛ لأن التاء للمواجهة ، فتقديره : وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب فقال لهم : لتبينه للناس ولا تكتُمونه ، وهو الاختيار ؛ لما فيه من معنى التوكيد ؛ ولأن أكثر القراء عليه ، والقراءة بالياء حسنة قوية مختارة أيضاً ، لكن نفسي تميل إلى الجماعة، لاسيما إذا كان فيهم أهل المدينة .<sup>(١)</sup>

١) انظر كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع (٣٧١/١) ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق محيي الدين رمضان  
١٣٩٤هـ .



## المطلب الثاني : مراعاة رؤوس الآي :

والترجيح بين القراءات بهذا السبب ورد في الجزأين الأخيرين من القرآن فقط ، عند ابن جرير الطبري - رحمه الله - ومن أمثلته قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَكَنًا مَّأْتَلًا وَسَعِيرًا ﴾ [الإنسان: ٤] وقوله - تعالى - : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِمَائِدَةٍ مِّنْ فَضْوَانٍ وَكُؤُوبٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُهَا وَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإنسان: ١٥ - ١٦] قال - رحمه الله - : " واختلفت القراء في قراءة قوله : ﴿ قَوَارِيرًا ﴾ ، و ﴿ سَكَنًا ﴾ ، فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة غير حمزة : { سَلَسَلًا } و { قَوَارِيرًا (١٥) قَوَارِيرًا } بإثبات الألف والتنوين ، وكذلك هي في مصاحفهم<sup>(١)</sup> ، وكان حمزة يُسْقِط الألفات من ذلك كله ، ولا يجري شيئاً منه<sup>(٢)</sup> ، وكان أبو عمرو يُثَبِّت الألف في الأولى من ﴿ قَوَارِيرًا ﴾ ، ولا يثبتها في الثانية<sup>(٣)</sup> ، وكل ذلك عندنا صواب ، غير أن الذي ذَكَرْتُ عن أبي عمرو أعجبهما إليّ ، وذلك أن الأوّل من القوارير - رأس آية ، والتوفيق بين ذلك وبين سائر رؤوس آيات السورة أعجب إليّ ، إذ كان ذلك بإثبات الألفات في أكثرها . " (٤)

وفي هذا المثال ذكر أن القراءات كلها صواب ، ولكن الأعجب والأحسن عنده ما يناسب رؤوس الآي ، وهذا اختيار لا حرج عليه فيه ؛ لقوله بصحتهما .

(١) وهم : أبو جعفر ونافع وأبو بكر عن عاصم والكسائي بالتنوين ، وإذا وقفوا وقفوا عليها بالألف ، وقرأ ابن كثير وخلف ﴿ سَكَنًا ﴾ الثانية ، و ﴿ قَوَارِيرًا ﴾ الثانية ، بغير تنوين فيهما والوقف عليها بغير ألف . انظر المبسوط صفحة (٣٨٩) وانظر كتاب السبعة صفحة (٦٦٣) .

(٢) يجري أي : ينون ، وقرأ مثله يعقوب . انظر المبسوط صفحة (٣٨٩) ، ورجحه ابن جرير بسياق الآيات .

(٣) وقرأ بها أبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم . انظر المبسوط صفحة (٣٨٩) .

(٤) جامع البيان (١٢/٣٦٦) . وانظر بقية المواضع في : النازعات (١١) ﴿ أَوْذَا كُنَّا عِظْمًا تَحَرَّةً ﴾ جامع البيان (١٢/٤٢٨) ،

والفجر (٤) ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ﴾ جامع البيان (١٢/٥٦٤) ، والشمس (٢) ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ﴾ (٦) ﴿ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا ﴾

(١١) ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَانَهَا ﴾ جامع البيان (١٢/٦٠٥) ، ونحوها مما أصله واو هل بمال؟ جامع البيان (١٢/٦٠٧) - (٦٠٨) .

### المطلب الثالث: مماثلة آية لها في المعنى من السورة نفسها:

كما في قوله -تعالى-: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنْ لَكَ هَذَا قَالَتَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُرِزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٧]... ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ قال أبو جعفر: "...اختلفت القراءة في قراءة قوله: ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ ، فقرأته عامة قراء أهل الحجاز والمدينة والبصرة: { وَكَفَّلَهَا } مخففة الفاء<sup>(١)</sup>، بمعنى: ضمها زكريا إليه ، اعتباراً بقول الله -عزّ وجلّ-: ﴿ يَقُولُ أَفْلَمْهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران: ٤٤] ، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ . بمعنى: وكفلها الله زكريا<sup>(٢)</sup> .

**قال أبو جعفر:** وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي: قراءة من قرأ: ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ مشددة الفاء ، بمعنى: وكفلها الله زكريا ، بمعنى: وضمها الله إليه ؛ لأن زكريا أيضاً ضمها إليه بإيجاب الله له ضمها إليه ، بالقرعة التي أخرجها الله له ، والآية التي أظهرها لخصومه فيها، فجعله بما أولى منهم ، إذ قرع فيها من شاحه فيها . وذلك أنه بلغنا أن زكريا وخصومه في مريم إذ تنازعا فيها: أيهم تكون عنده ؟ ، تساهموا بقداحهم ، فرموا بها في نهر الأردن، فقال بعض أهل العلم: ارتزق قدح زكريا ، فقام ولم يجر به الماء ، وجرى بقداح الآخرين الماء ، فجعل الله ذلك لزكريا عليها ، أنه أحقّ المتنازعين فيها . وقال آخرون: بل اصّاعد قدح زكريا في النهر ، وانحدرت قداح الآخرين مع جرية الماء وذهبت ، فكان ذلك له علماً من الله في أنه أولى القوم بها .

**قال أبو جعفر:** وأيّ الأمرين كان من ذلك ، فلا شك أن ذلك كان قضاء من الله بما لزكريا على خصومه بأنه أولاهم بها ، وإذ كان ذلك كذلك ، فإنما ضمّها زكريا إلى نفسه بضم الله إياها إليه ، بقضائه له بما على خصومه عند تشاحهم فيها ، واختصامهم في أولاهم بها . وإذ كان ذلك كذلك

(١) وقرأ بها: أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عمرو ويعقوب . انظر المبسوط صفحة (١٤٢) ، وإتحاف فضلاء البشر (٤٧٥/١) .

(٢) قرأ بها: حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف . انظر المبسوط صفحة (١٤٢) ، وإتحاف فضلاء البشر (٤٧٥/١) .

كان بيننا أن أولى القراءتين بالصواب ما اخترنا من تشديد: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ . وأما ما اعتلَّ به القارئون ذلك بتخفيف الفاء من قول الله: ﴿وَأَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ ، وأن ذلك موجب صحة اختيارهم التخفيف في قوله: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ فحجة دالة على ضعف احتيال المحتجِّ بها ، وذلك أنه غير ممتنع ذو عقل من أن يقول قائل: كَفَّلَ فلانٌ فلاناً فكفله فلانٌ ، فكذلك القول في ذلك: ألقى القوم أقلامهم أيهم يكفل مريم ، بتكفيل الله إياه ، بقضائه الذي يقضي بينهم فيها عند إلقاءهم الأقلام .<sup>(١)</sup>

**فرجع - رحمه الله -** قراءة التشديد ؛ لأن الله - عزَّ وجلَّ - جعل كفالة زكريا لمريم بعد إلقائه قلمه استهماً مع غيره ، فقبل الله منه ، ولم يكن إرادة منه مجردة فقط ، بل الله - سبحانه وتعالى - كفَّلها إياها .

**وقد مال مكي - رحمه الله -** إلى : اختيار التخفيف ؛ لأن التشديد يرجع إلى التخفيف ؛ لأن الله إذا كفَّلها زكريا كفَّلها زكريا بأمر الله له ؛ ولأن زكريا إذا كفَّلها فعن مشيئة الله وقدرته وإرادته ، فعلى ذلك فالقراءتان متداخلتان ، يقرب بعضهما من بعض .<sup>(٢)</sup>

ومن مثل هذه المعاني المتنوعة في القراءات : يظهر نوعٌ من الإعجاز ، حيث أفادت الكلمة الواحدة بحسب القراءة معنيين مختلفين .<sup>(٣)</sup>

(١) جامع البيان (٣/٢٤٠-٢٤١) ، وتحقيق شاكر (٦/٣٤٥) . أما بقية المواضع فهي استشهاد بغير ما في السورة وهي في :

النساء (١٠) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِهَتِنَا ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ ﴿١٠﴾ جامع البيان

(٣/٦١٦) ، والنساء (٤٢) ﴿يَوْمَئِذٍ يَوْمَئِذٍ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا أَرْسُولَ لَوْ سُوءِ يَوْمِ الْأَرْضِ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ ﴿٤٢﴾ جامع البيان

(٤/٩٦) ، والأنعام (١٠٥) ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾ جامع البيان (٥/٣٠٠) ،

والنازعات (١٨) ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكُ﴾ ﴿١٨﴾ جامع البيان (١٢/٤٣٢) .

(٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (١/٣٤٢) .

(٣) انظر حاشية إتخاف فضلاء البشر (١/٤٧٥) .

## المطلب الرابع : السباق واللاحق لموضع القراءة المرجحة :

وهو أساس الباب، وعمدة الحديث فيه ، وبيت القصيد منه : وقد يجتمع الاستدلال بالسباق واللاحق في موضع وقد ينفرد أحدهما ، فهنا : ثلاثة أنواع ، وسيكون الحديث عن كل نوع على حدة:

- ١ - دلالة السباق واللاحق على ترجيح قراءة .
- ٢ - دلالة السباق وحده على ترجيح قراءة .
- ٣ - دلالة اللاحق على ترجيح قراءة .

### ١ - دلالة السباق واللاحق على ترجيح قراءة :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ أَوْ كَأَلَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُعْبَهُ هَذَا إِنَّ اللَّهَ بَعْدَ مَوَدِّعِهَا قَامَاتُهُ اللَّهُ يَأْتِيَةً عَامِرٌ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَيْفَ لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّيْتُكَ مَائَةً عَامٍ فَأَنْظُرَ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَأَنْظُرَ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْمَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرَ إِلَى الْوِطْأِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لِحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣١٦﴾ [البقرة: ٢٥٩] قال -رحمه الله- : "... ثم اختلفت القراءة في قراءة قوله : ﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ ﴾ : فقرأه بعضهم : { قَالَ أَعْلَمُ } على معنى الأمر ، بوصل الألف من { اعْلَمَ } ، وجزم الميم منها ، وهي قراءة عامة قرأها أهل الكوفة <sup>(١)</sup> ، ويذكرون أنها في قراءة عبد الله <sup>(٢)</sup> : «قِيلَ اعْلَمُ» على وجه الأمر من الله الذي أحيا بعد مماته ، فأمر بالنظر إلى ما يحييه الله بعد مماته، وكذلك روي عن ابن عباس...

قال أبو جعفر : فعلى هذا القول تأويل ذلك : فلما تبين له ما تبين من أمر الله وقدرته ، قال الله له : اعلم الآن أن الله على كل شيء قدير . ولو صرف متأول قوله : «قال اعلم» وقد قرأه على

(١) قرأ بها : حمزة والكسائي . انظر المبسوط صفحة (١٣٤) ، وإتحاف فضلاء البشر (١/٤٤٩-٤٥٠) .

(٢) هو : عبد الله بن عباس . انظر الكشف لمكي (١/٣١٢) .

وجه الأمر إلى أنه من قبل المخبر عنه ، بما اقتصر في هذه الآية من قصته كان وجهاً صحيحاً ، وكان ذلك كما يقول القائل : اعلم أن قد كان كذا وكذا ، على وجه الأمر منه لغيره وهو يعني به نفسه . وقرأ ذلك آخرون : ﴿ قَالَ أَعْلَمُ ﴾ على وجه الخبر عن نفسه للمتكلم به ، بهمز ألف ﴿ أَعْلَمُ ﴾ وقطعها ورفع الميم . بمعنى : فلما تبين له ما تبين من قدرة الله وعظيم سلطانه بمعاينته ما عاينه ، قال المتبين ذلك : أعلم الآن أنا أن الله على كل شيء قدير ، وبذلك قرأ عامة أهل المدينة وبعض قراءة أهل العراق<sup>(١)</sup>...

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك : قراءة من قرأ : { اَعْلَمُ } بوصل الألف وجزم الميم ، على وجه الأمر من الله -تعالى ذكره-للذي قد أحياه بعد مماته ، بالأمر بأن يعلم أن الله -الذي أراه بعينه ما أراه من عظيم قدرته وسلطانه ، من إحيائه إياه ، وحماره ، بعد موت مائة عام وبلائه ، حتى عادا كهيتنهما يوم قبض أرواحهما ، وحفظ عليه طعامه وشرايه مائة عام ، حتى رده عليه كهيته يوم وضعه غير متغير -على كل شيء قادر كذلك . وإنما اخترنا قراءة ذلك كذلك وحكمنا له بالصواب دون غيره ؛ لأن ما قبله من الكلام أمر من الله -تعالى ذكره-قولاً للذي أحياه الله بعد مماته وخطاباً له به ، وذلك قوله : ﴿ فَأَنْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لِمَ يَسَسَّهٗ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْمَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ الْوَطَائِرِ كَيْفَ نُحْيِيهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٩] فلما تبين له ذلك جواباً عن مسألته ربه : ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ قال الله له : اعلم أن الله الذي فعل هذه الأشياء على ما رأيت ، على غير ذلك من الأشياء قدير ، كقدرته على ما رأيت وأمثاله ، كما قال -تعالى ذكره-خليله إبراهيم ﷺ - ، بعد أن أجابه عن مسألته إياه في قوله : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٠] : ﴿ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠] فأمر إبراهيم بأن يعلم بعد أن أراه كيفية إحيائه الموتى أنه عزيز حكيم ، فكذلك أمر الذي سأل فقال : ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ بعد أن أراه كيفية

(١) قرأ بها الباقون وهم : نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب وخلف . انظر المبسوط صفحة (١٣٤) ، وإتحاف فضلاء البشر (١/٤٤٩-٤٥٠) .

إحيائه إياها ، أن يعلم أن الله على كل شيء قدير .<sup>(١)</sup>

والسياق الذي استدل به الإمام -رحمه الله- على التفصيل : سباق ، ولحاق : فالسباق : هو ما حصل للرجل من استبعاد إحياء البلدة بعد موتها ، وما جعل الله منه من العبرة ، وقد سأل : ﴿أَنْ يُحْيِيَ هَذِهِ اللَّهُ بَدَمَوْهَا﴾ ؟ . فكان الأولى أن يكون : {أعلم} رداً منه على سؤاله ، وجواباً لله بعد استبعاده قدرة الله ، واللاحق : ما حصل في قصة إبراهيم التالية لها : حيث أمر الله -تعالى- إبراهيم الخليل -ﷺ- فقال له : ﴿وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ولكن للقراءة بقطع الهزمة توجيه ، بل قد رجحها بعض العلماء ، ومنهم مكي -رحمه الله- فقد قال : " والقراءة بالقطع هي الاختيار ؛ لأنه على ظاهر الكلام ، لما تبين له ما كان على شك فيه ، أخبر عن نفسه بالعلم اليقين ."<sup>(٢)</sup>

وقال ابن زنجلة<sup>(٣)</sup> في حجة من قرأ بالقطع : " وهذا الرجل عاين وشاهد ما كان يستفهم عنه ، فلا وجه للأمر ."<sup>(٤)</sup>

وفي قوله -تعالى- : ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعِلْمُ الْكُفْرِ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارِ ﴿٤٤﴾﴾ [الرعد: ٤٢] قال أبو جعفر : " واختلفت القراءة في قراءة ذلك : فقراءته قراءة المدينة وبعض البصرة : { وَسِعِلْمُ الْكَافِرُ } على التوحيد<sup>(٥)</sup> ، وأما قراءة الكوفة فإنهم قرأوه : ﴿وَسِعِلْمُ الْكُفْرِ﴾ على الجمع<sup>(٦)</sup> .

(١) جامع البيان (٣/٤٧-٤٨) ، وتحقيق شاكر (٥/٤٨١) .

(٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (١/٣١٢-٣١٣) .

(٣) هو أبو زرعة ، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة المقرئ ، قاضي مالكي ، عاصر أحمد بن فارس ، وروى عنه ، من علماء القرن الرابع ، له حجة القراءات ، وشرف القراء في الوقف والابتداء ، وكتاب في التفسير ، كان حياً سنة ثلاث وأربعمائة .

انظر الديباج المذهب ترجمة أحمد بن فارس صفحة (١٦٣) ، ومقدمة محقق كتاب حجة القراءات سعيد الأفغاني .

(٤) انظر حجة القراءات صفحة (١٤٥) ، لأبي زرعة ابن زنجلة .

(٥) قرأ بها : أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو . انظر المبسوط صفحة (٢١٦) .

(٦) قرأ بها : ابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي وخلف . انظر إتخاف فضلاء البشر (٢/١٦٣) .

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك: القراءة على الجميع: ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكٰفِرُ﴾؛ لأن الخبر جرى قبل ذلك عن جماعتهم، وأتبع بعده الخبر عنهم، وذلك قوله: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَتَوَقَّيَنَّكَ﴾ [الرعد: ٤٠] وبعده قوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣]. وقد ذكر أنها في قراءة ابن مسعود: «وَسَيَعْلَمُ الْكٰفِرُونَ»، وفي قراءة أبي: «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا»<sup>(١)</sup>، وذلك كله دليل على صحة ما اخترنا من القراءة في ذلك.<sup>(٢)</sup>

فاتحج الإمام الطبري - رحمه الله - في تصحيح القراءة: بما سبقها من الخبر عن جمع من الكفار في قوله: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ﴾ [الرعد: ٤٠]، وبما لحقها أيضاً من القول المنسوب إلى جمع من الكافرين: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾، فالأولى بما بين هذين الجملتين أن يكون عن جمع أيضاً، واستأنس بقراءات بعض الصحابة، وإن كانت شاذة على ما اختاره.<sup>(٣)</sup>

قال أبو منصور الأزهري<sup>(٤)</sup> - رحمه الله - في توجيه القراءة الأخرى: "من قرأ ﴿الْكَافِرُ﴾

(١) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (٣٢/٢).

(٢) جامع البيان (٤٠٩/٧)، وتحقيق شاكر (٤٩٩/١٦).

(٣) القراءة الشاذة هي ما وراء العشر على الصحيح وهي أنواع: الأول منها: المشهور: وهو ما صح سنده ولم يتواتر، ووافق الرسم والعربية، ومثاله: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم" التوبة (١٢٨) انظر إتخاف فضلاء البشر (١٠١/٢) والثاني: قراءة الأحاد وهي قسمان: القسم الأول: ما لم يصح سندها ووافقت الرسم والعربية، والقسم الثاني: ما خالفت الرسم صح السند أم لم يصح، والثالث: القراءة المدرجة وهي ما كانت على وجه التفسير، مثل: قراءة سعد "وله أخ أو أخت من أم" النساء (١٢) والصحيح: أنها ضرب من التفسير لا القراءة. أما الاحتجاج بما فقد اتفق على الاحتجاج بها في الدراسات اللغوية، ويستعان بها متى صح سندها في تفسير المتواتر، وفي الأحكام الفقهية: كإيجاب التسايع في صيام كفارة اليمين بزيادة: "متتابعات" في قوله: ﴿فَصِيَامٌ تَلْتَمِزٌ أَيَّامٍ﴾ [البقرة: ١٨٩] فذهب أبو حنيفة وأحمد والشافعي إلى الاحتجاج بها؛ لأنها إما قرآن أو خبر وكلاهما موجب للعمل، وعن أحمد ومالك والشافعي رواية أنها ليست بحجة واختارها الأمدي وابن الحاجب؛ لاحتمال أنه مذهب ثم نقله قرآناً. (انظر شرح الكوكب المنير (١٣٨/٢-١٤٠) وهو الصحيح فمن المحتمل أنها كانت أول الأمر، ثم نسخ الحكم مع التلاوة، وليست كخبر الواحد فخبر الواحد يعمل به إذا لم ينسخ بأثر أو إجماع، ولم يوجد ما يعارضه. انظر الاختلاف بين القراءات، لأحمد البيهقي (١١٢-١١٤).

(٤) هو محمد بن أحمد بن الأزهر، الهروي الشافعي، ولد سنة اثنتين وثمانين ومائتين، أحد أئمة اللغة والأدب، له: تهذيب

وهو أكثر من ﴿الْكَفَرُ﴾ [أي: من قرأ بالإفراد أكثر ممن قرأ بالجمع] أراد به الجنس، ومنه: كثر الدينار والدرهم، يراد به الكثرة.<sup>(١)</sup> ونقل: عن أبي عمرو القارئ: أنه عني به أبو جهل<sup>(٢)</sup>، وحجتهم: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ بَلَيْتَنِي كُتُّ قُرْبًا﴾ [النبا: ٤٠]، وسبب الخلاف في هذا الحرف؛ لأن خط المصحف الإمام بغير ألف، وإنما هو {الكفر}.<sup>(٣)</sup>

## ٢ - دلالة السباق وحده على ترجيح قراءة:

في قوله -تعالى-: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩] قال -رحمه الله-: "... واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ فقرأ ذلك بعض قراء البصرة: { وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ } بإضافة فزع إلى اليوم<sup>(٤)</sup>، وقرأ ذلك جماعة قراء أهل الكوفة: ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ بتنوين فزع<sup>(٥)</sup>.

والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان مشهورتان في قرأة الأمصار متقاربتا المعنى،

اللغة جمع فيه شتات اللغة، ومعاني القراءات، وله تصنيف في غريب الألفاظ التي يستعملها الفقهاء، وله كتاب في التفسير، وهو من أهل السنة، ترك الرواية عن ابن دريد تورعاً، أُسر سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وقت القرامطة، فعاش في البادية، فكان يتشكى بالدَّهْناء، ويتربع بالصَّمَان، واستفاد من لغتهم، توفي سنة سبعين وثلاثمائة وقيل إحدى وسبعين، وله ثمان وثمانون سنة. انظر سير أعلام النبلاء (٣١٥/١٦)، وبغية الوعاة (١٩/١)، ووفيات الأعيان (٣٣٤/٤).

(١) معاني القراءات (٥٩/٢)، تحقيق الدكتور عيد مصطفى درويش، والدكتور عوض بن حمد القوزي.

(٢) هو أبو جهل كما كناه النبي ﷺ، وكانت كنيته أبا الحكم، عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي، من دهاة العرب، سؤدته فريش وهو شاب، فأدخلته دار الندوة مع الكهول، كان من أشد أعداء الرسالة المحمدية، قتل يوم بدر كافراً، في السنة الثانية من الهجرة، قتله عمرو بن الجموح وابنا عفراء الأنصاريان، وكانا حديثين، قال فيه النبي ﷺ - يوم رآه: " هذا فرعون هذه الأمة " رواه أحمد. انظر تهذيب الأسماء واللغات (٣٣٩/١)، و(٢٠٦/٢)، والأعلام (٢٦١/٥).

(٣) انظر الحجة في القراءات لابن خالوية صفحة (٢٠٢)، وحجة القراءات لأبي زرعة ابن زنجلة صفحة (٣٧٥).

(٤) لم ينون ﴿فَزَعٍ﴾: أبو جعفر ونافع برواية ورش وقالون وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وإسماعيل ويعقوب. انظر المبسوط صفحة (٢٨٢)، وإتحاف فضلاء البشر (٣٣٦-٣٣٧).

(٥) قرأ بها: عاصم وحمة والكسائي وخلف. انظر المبسوط صفحة (٢٨٢)، وإتحاف فضلاء البشر (٣٣٦-٣٣٧).



فبأيتها قرأ القارئ فمصيب ، غير أن الإضافة أعجب إليّ ؛ لأنه فزع معلوم ، وإذا كان ذلك كذلك كان معرفة ، على أن ذلك في سياق قوله : ﴿ وَيَوْمَ يُفْعَخُ فِي الصُّورِ فَنُفَعِجَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [النمل: ٨٧] فإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنه عُني بقوله : ﴿ وَهُمْ مِنْ فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ أَمِتُونَ ﴾ من الفزع الذي قد جرى ذكره قبله . وإذا كان ذلك كذلك ، كان لا شك أنه معرفة ، وأن الإضافة إذا كان معرفة به أولى من ترك الإضافة ، وأخرى : أن ذلك إذا أضيف فهو أبين أنه خبر عن أمانة من كل أهوال ذلك اليوم منه إذا لم يضيف ذلك ، وذلك أنه إذا لم يضيف كان الأغلب عليه أنه جعل الأمان من فزع بعض أهواله .<sup>(١)</sup>

وهنا صحح أبو جعفر - رحمه الله - القراءتين ، ولكنه فضل عدم تنوين : ﴿ فَرَجٍ ﴾ ؛ لسببين : الأول : أن الفزع معلوم ، وقد ذكر قبل هذه الآية عند ذكر اليوم الآخر ، في قوله - تعالى - : ﴿ وَيَوْمَ يُفْعَخُ فِي الصُّورِ فَنُفَعِجَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [النمل: ٨٧] وهذه الآية في سياقها ، والثاني : أن عدم التنوين أعم في المعنى .

وتوجيه قراءة عدم التنوين : أنها أحف والأكثر من القراء عليها وقد اختارها مكي لذلك .<sup>(٢)</sup>

(١) جامع البيان (١٠/٢٣-٢٤) .

(٢) انظر الكشف (١٧٠/٢) . وانظر مواضع أخرى في : البقرة (٢٣٣) ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِئَ الرِّضَاعَةَ ﴾ الآية جامع البيان (٥٠٨/٢) ، وآل عمران (٧٩) ﴿ مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُوَظِّقَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالشُّبُهَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٢٦/٣) ، و (٨٣) ﴿ أَفَغَفِرَ لِمَنْ يَجْعَلُ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ الْكَلْبَ وَالشُّبُهَةَ لِمَنْ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ جامع البيان (٣٣٤/٣) ، و (١١٥) ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ جامع البيان (٤٠٢/٣) ، و (١٤٦) ﴿ وَكَانَ مِنْ نَجْوَى قَتَلِ مَعَهُ رَيْثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَرُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٤٦٠/٣-٤٦١) ، والنساء (١١) ﴿ يُؤْمِنُكَ اللَّهُ فِيهِ أَوْلَادُكُمْ لِلذَّكْرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ ﴾ الآية جامع البيان (٦٢٣/٣) ، و (١٣٦) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ﴾ الآية جامع البيان (٣٢٩/٤) ، والأنعام (٥٥) ﴿ وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لِيَتَسَمَّوْنَ سَبِيلَ الْمُحْرِمِينَ ﴾ جامع البيان (٢٠٨/٥) ، و (٩٩) ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ الآية جامع البيان (٢٨٩/٥-٢٩٠) ، و (١١٩) ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا دُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٢٣/٥) ، والأعراف =

## ٣- دلالة اللحاق على ترجيح قراءة :

كما في قوله -تعالى- : ﴿الطَّلِقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرِفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يُخَافَ إِلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: ٢٢٩]... قال أبو جعفر : " واختلفت القراءة في قراءة ذلك : فقرأه بعضهم : ﴿إِلَّا أَنْ يُخَافَ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ وذلك قراءة عظيم أهل الحجاز والبصرة ، بمعنى : إلا أن يخاف الرجل والمرأة أن لا يقيما حدود الله <sup>(١)</sup> ، وقرأه آخرون من أهل المدينة والكوفة : { إِلَّا أَنْ يُخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ } <sup>(٢)</sup> . على أن يكون مراداً به إذا قرئ كذلك : إلا أن يخافا بأن لا يقيما حدود الله ، أو : على أن لا يقيما حدود الله ،... وذلك هو الصواب عندنا من القراءة ؛ لدلالة ما بعده على صحته ، وهو قوله : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ ، فكان بينا أن الأول بمعنى : إلا أن تخافوا أن لا يقيما

(١٤٩) ﴿وَلَا تُؤْخَذُ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴿١٩﴾﴾  
 جامع البيان (٦/٦٤٤) ، والتوبة (١٠٣) ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَكُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ جامع البيان (٦/٤٦٥) ، والرعد (٤) ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّدٌ ﴿١﴾﴾ جامع البيان (٧/٥٥٧) ، و(٤٨) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ نَفْسٍ يَنْفَعِيوُا ظِلَالَهُ عَنِ الْأَيْمِينِ وَالسَّمَاءِ لِيُسْجَدَ لِلَّهِ وَهُمْ ذَاكِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ جامع البيان (٧/٥٩٢) ، والإسراء (١٣) ﴿وَكُلُّ لَإِنْسَانٍ أَلْمَنَةٌ لِنَفْسِهِ فِي عُقُوهِ وَنُجِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَتَبْنَا بِقَلَمِهِ مَنشُورًا ﴿١٣٧﴾﴾ جامع البيان (٨/٤٦٧) ، والحج (٦٢) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَكْفُرُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٦٦﴾﴾ جامع البيان (٩/١٨٣) ، ويس (٦٨) ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ جامع البيان (١٠/٤٦٠-٤٦١) ، والشورى (٢٥) ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ جامع البيان (١١/١٤٧) ، والجاثية (٦) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَبْرِ ﴿١٣٧﴾﴾ جامع البيان (١١/٢٥٣-٢٥٤) .

(١) قرأ بها : نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي وخلف . انظر المبسوط صفحة (١٣٠) ، وإتحاف فضلاء البشر (١/٤٣٩) .

(٢) قرأ بها الباقون وهم : حمزة وأبو جعفر ويعقوب . انظر المبسوط صفحة (١٣٠) .

حدود الله".<sup>(١)</sup>.

فهنا ترى سبب الترجيح بين القراءتين ؛ لدلالة ما بعدها على صحتها ، حيث جاء ذكر الخوف على صيغة الجمع ، مما يرجح أن الخوف - الواقع المستثنى - بالضم الدال على الجمع ، لا بالفتح الدال على الزوجين .

والتحقيق : أن كلا القراءتين لهما دلالة : فالسياق إذا اعتبر باللحاق ، فإن القراءة الأخرى لها ارتباط بالسباق ، حيث أسند الضمير إلى الزوجين المفهومين من السباق .<sup>(٢)</sup>

وقال أبو منصور الأزهري - رحمه الله - : " الاختيار بفتح الياء ، وهو قراءة أكثر القراء " <sup>(٣)</sup> ، وعلل مكي - رحمه الله - قراءة الياء بأنها على الظاهر من الخطاب ؛ والقراءتان حسنتان ؛ فهي من باب الخروج من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة ، كقوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَاحِ ﴾ [يونس: ٢٢] ثم قال : ﴿ وَجَرَيْنَ يَمِيمًا ﴾ [يونس: ٢٢] ، وكقوله : ﴿ الْعَسَدُ يَهُودُ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ﴾ [الفاحة: ٢] ثم قال : ﴿ يَاكَ تَبَهُدُّ وَيَاكَ نَسْتَعِيثُ ﴾ [الفاحة: ٥] ، واختار فتح الياء ؛ لأن عليه الجماعة <sup>(٤)</sup> .

(١) جامع البيان (٤٧٤/٢) ، وتحقيق شاکر (٥٥٠/٤) .

(٢) انظر إتحاف فضلاء البشر (٤٣٩/١) .

(٣) معاني القراءات (٢٠٤/١) .

(٤) انظر الكشف في وجوه القراءات السبع (٢٩٥/١) . وانظر بقية المواضع في : آل عمران (١٢) ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا

سُتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِنَّ جَهَنَّمَ وَيَمْسُ الْيَهُودُ ﴾ [١٣] جامع البيان (١٩١/٣) ، و(١٦١) ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلُّ وَمَنْ يَغْلُلْ

يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ الآية جامع البيان (٥٠٠-٥٠١/٣) ، والمائدة (١١٢) ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ

يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ الآية جامع البيان (١٣٠-١٣١/٥) ، والأنعام (١٦) ﴿ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ

فَقَدْ رَجِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [١٦] جامع البيان (١٦٠/٥) ، و(٢٣) ﴿ ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فَتَنَّاخُكُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ

﴾ [١٣] جامع البيان (١٦٦/٥) ، و(٥٧) ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عَصَيْتُمْ أُمَّةً فَاتَّبَعْتُمْ بَاطِلًا وَأَنْتُمْ تَعْتَدُونَ ﴾ الآية

جامع البيان (٢٠٩/٥) ، و(٩٨) ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَوْعَبٌ قَدْ فَصَلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [١٨] جامع

البيان (٢٨٦/٥) ، و(١٤٥) ﴿ قُلْ لَا أَعْبُدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا كَانَ لِيَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ آلِهَةٍ أَوْ لِي إِلَهٌ أَوْ كُنَّا أَشْرَكًا مَا كُنَّا بِمُشْرِكِينَ

لَعَلَّكُمْ خَافِيُونَ ﴾ الآية جامع البيان (٣٨٠-٣٨١/٥) ، والإسراء (٧٢) ﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ آيَاتٍ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ

### المطلب الخامس : ترجيح قراءة لقربها من شيء فتتبع به :

كما في قوله -تعالى- : ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] قال -رحمه الله- : بعد أن صحح القراءة بنصب اللام وخفضها بل وحسنهما : "فأعجب القراءتين إليّ أن أقرأها قراءة من قرأ ذلك خفضاً<sup>(١)</sup> ؛ لما وصفت من جمع المسح المعنيين اللذين وصفت ؛ ولأنه بعد قوله : ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ فالعطف به على الرؤوس مع قربه منه ، أولى من العطف به على الأيدي ، وقد حيل بينه وبينها بقوله : ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ " .<sup>(٢)</sup>

فلما توالى معطوفات ألحق إعراب الكلمة بما قرب منها ؛ لأنه أولى مما بعد عنها .  
وتوجيه القراءة بالنصب : أن تجعل جملة : ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ معترضة وهذا من أساليب اللغة العربية ، وقد استعمل في القرآن وورد في آيات<sup>(٣)</sup> ، وقوله : ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ دالٌّ على الغسل لا

سَيَلًا ﴿٣٧﴾ جامع البيان (١١٨/٨) ، والكهف (٤٤) ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِرَبِّ آلِهَةٍ لَمَّ هُوَ خَيْرٌ نَّوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ ﴿٤٤﴾ جامع البيان (٢٢٨/٨) ، و(٨٥) ﴿فَأَتَيْعَ سَبِيًا﴾ ﴿٤٥﴾ جامع البيان (٢٧٢/٨) ، و(٩٤) ﴿قَالُوا يَنْدَا الْقُرَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ الآية جامع البيان (٢٨٤/٨) ، والفرقان (٨) ﴿أَوْ يُنْفِقْ إِلَيْهِ كَنْزًا أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ الآية جامع البيان (٣٦٧/٩) ، والصفات (٥٢) ﴿يَقُولُ لَهُ تَكَلَّمْ لِيَنَّ الْمُصَدِّقِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ جامع البيان (٤٩٠/١٠-٤٩١) .  
(١) قرأ بها أبو جعفر وأبو عمرو وابن كثير وعاصم -في رواية أبي بكر- وحزمة وخلف ، وبالنصب قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم والكسائي ويعقوب . انظر المبسوط صفحة (١٦١) ، وإتحاف فضلاء البشر (١/٥٣٠-٥٣١) .  
(٢) جامع البيان (٤٧١/٤) ، وتحقيق شاكر (١٠/٦٤) .  
(٣) منها : قوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيْبُ﴾ [المائدة: ٥] واعتراض بقوله : ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٥] ثم قال : ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥] الآية ، فعطف المحصنات على الطيبات وبينهما جملة معترضة . انظر إتحاف فضلاء البشر (١/٥٣٠) مع الحاشية .

المسح (١).

قال الأزهري - رحمه الله - : في قراءة النصب "وهي أجود القراءتين ؛ لموافقها الأخبار الصحيحة عن النبي - عليه السلام - في غسل الرجلين " . (٢) .  
 وجمع السيوطي - رحمه الله - بين القراءتين بحمل قراءة الكسر على المسح على الخفين ، والنصب على الغسل ، وقال : " لأن تعدد القراءات بمنزلة تعدد الآيات " . (٣)

(١) انظر أثر القراءات في الفقه الإسلامي صفحة (٢٥١-٢١٣) ، للدكتور صبري عبد الرؤوف محمد عبد القوي .

(٢) معاني القراءات (١/٣٢٦) .

(٣) الإكليل في استنباط التنزيل صفحة (١٠٩) ، تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب . وانظر بقية المواضع في : البقرة

(٨٥) ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هُنَالِكَ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَطَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَةِ وَالْعَدْوَانِ ﴾ الآية جامع البيان

(٤٤٦/١) ، وهود (٢٨) ﴿ قَالَ يَقُولُ أَزَيْبٌ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَدَيْكَ مِنْ رَبِّي وَآلِيهِ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِي فَعُوتِ عَلَيْهِ ﴾ الآية جامع البيان

(٢٩/٧) ، (٤١) ﴿ وَقَالَ آتِكُوا فِيهَا إِسْرَ اللَّهِ بِحَبْرِهَا وَرُسُسُهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿٤١﴾ جامع البيان (٤٤/٧) ، والحج (٣٩)

﴿ أُوذِيَ الَّذِينَ يُقْتُلُونَ بِأَنْهُمْ ظَلَمُوا وَلَئِنْ أَلَّفَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ ﴿٣٧﴾ جامع البيان (١٦٠/٩) ، والنبأ (٣٧) ﴿ رَبِّ أَلَسْتَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ ﴿٣٧﴾ جامع البيان (٤١٤/١٢) .

المطلب السادس : ترجيح قراءة على أخرى ؛ لأن العطف يعني التغاير والتقابل :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ ﴾ [الفتح: ١١] قال -رحمه الله-: "...واختلف القراء في قراءة قوله : ﴿ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا ﴾ فقرأته قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة ﴿ ضَرًّا ﴾ بفتح الضاد ، بمعنى : الضر الذي هو خلاف النفع. <sup>(١)</sup> وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين : { ضَرًّا } بضم الضاد ، بمعنى البؤس والسقم. <sup>(٢)</sup>

وأعجب القراءتين إليّ : الفتح في الضاد ، في هذا الموضع ؛ لقوله : ﴿ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ﴾ ، فمعلوم أن خلاف النفع الضرّ ، وإن كانت الأخرى صحيحاً معناها. " <sup>(٣)</sup>

ففي هذا الموضع صحّح معنى القراءتين ، ولكنه اختار منهما : ما قابل الكلمة الأخرى وضادها ، وهي القراءة بفتح الضاد من قوله : ﴿ ضَرًّا ﴾ ، فالنفع يقابله ويضادّه : الضر ، أما البؤس والسقم فلا يقابل النفع .

وتوجيه قراءة الضم : على أن معنى : الضر سوء الحال ، كما قال -تعالى- : ﴿ فَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ ﴾ [الأنبياء: ٨٤] أي : من سوء حال ، فالمعنى في الآية : إن أراد بكم سوء حال ، أو حسن حال ، وقد قيل بأهما لغتان ، كالضّعف والضّعف ، والفقر والفقر. <sup>(٤)</sup>

(١) قرأ بها الباقون ، وهم : نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب . انظر المبسوط صفحة (٣٤٦) ، وإتحاف فضلاء البشر (٤٨٢/٢) .

(٢) قرأ بها : حمزة والكسائي وخلف . انظر المبسوط صفحة (٣٤٦) .

(٣) جامع البيان (٣٤٠/١١) .

(٤) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢٨١/٢) .

## المطلب السابع : العطف المرجح للجنس الواحد :

كما في قوله -تعالى- : ﴿وَالْمَبْتُ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۗ﴾ [الرحمن: ١٢] قال -رحمه الله- :  
 "...واختلفت القراء في قراءة قوله : ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض المكيين  
 وبعض الكوفيين : بالرفع عطفاً به على الحبّ ، بمعنى : وفيها الحبّ ذو العصف ، وفيها الريحان  
 أيضاً.<sup>(١)</sup> وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين : { وَالرَّيْحَانِ } بالخفض عطفاً به على العصف ، بمعنى :  
 والحبّ ذو العصف وذو الريحان ."<sup>(٢)</sup>

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأه بالخفض ؛ للعلة التي بينت في تأويله ، وأنه  
 بمعنى الرزق . وأما الذين قرأوه رفعاً ، فإنهم وجّهوا تأويله - فيما أرى - إلى أنه الريحان الذي يشم ؛  
 فلذلك اختاروا الرفع فيه ، وكونه خفضاً بمعنى : وفيها الحبّ ذو الورق والتبن ، وذو الرزق المطعوم ،  
 أولى وأحسن...<sup>(٣)</sup>

وفي هذا الموضوع كان النظر إلى المعنى المناسب للآية دور قوي في الترجيح بين القراءتين ؛  
 ليحسن العطف فيكون بين أشياء من جنس واحد .  
 ويمكن توجيه القراءة الأخرى : إلى أنها عطف على المرفوع السابق ، وأن الجماعة من القراء  
 عليه<sup>(٤)</sup>.

(١) قرأ بها الباقر وهم : نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وأبو جعفر ويعقوب ، سوى ابن عامر بالنصب . انظر المبسوط  
 صفحة (٣٥٨) ، وإتحاف فضلاء البشر (٥٠٩/٢) ، وذكر الفراء أنها : كذا في مصاحف أهل الشام . انظر معاني القرآن  
 . (١١٤/٣)

(٢) قرأ بها : حمزة والكسائي وخلف . انظر المبسوط صفحة (٣٥٨) ، وإتحاف فضلاء البشر (٥٠٩/٢) .

(٣) جامع البيان (٥٨١/١١) .

(٤) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢٩٩/٢) .

## المطلب الثامن : طريقة السورة وأسلوبها :

ففي قوله -تعالى- : ﴿ سَلِّمْ عَلَيَّ إِنْ يَاسِينَ ﴾ [الصفات: ١٣٠] قال -رحمه الله-: "... واختلفت القراء في قراءة قوله : ﴿ سَلِّمْ عَلَيَّ إِنْ يَاسِينَ ﴾ فقراءته عامة قراء مكة والبصرة والكوفة : {سَلَامٌ عَلَيَّ إِيَّاسِينَ} بكسر الألف من إِيَّاسِينَ ، فكان بعضهم يقول: هو اسم إِيَّاس ، ويقول : إنه كان يُسمى باسمين : إِيَّاس ، وإِيَّاسِينَ مثل إبراهيم وإبراهيم ، يُستشهد على ذلك أن ذلك كذلك ، بأن جميع ما في السورة من قوله : ﴿ سَلِّمْ ﴾ فإنه سلام على النبي الذي ذكر دون آله ، فكذلك إِيَّاسِينَ ، إنما هو سلام على إِيَّاس دون آله ... وقرأ ذلك عامة قراء المدينة : {سَلَامٌ عَلَيَّ آلِ يَاسِينَ} بقطع {آل} من {يَاسِينَ} ، فكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى : سلام على آل محمد...

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : قراءة من قرأه : ﴿ سَلِّمْ عَلَيَّ إِنْ يَاسِينَ ﴾ بكسر ألفها ، على مثال إدراسين ؛ لأن الله -تعالى- ذكره -إنما أخبر عن كل موضع ذكر فيه نبياً من أنبيائه -صلوات الله عليهم - في هذه السورة بأن عليه سلاماً لا على آله ، فكذلك السلام في هذا الموضع ، ينبغي أن يكون على إِيَّاس ، كسلامه على غيره من أنبيائه ، لا على آله... " (١)

وهذا المثال فيه استدلال بعدة آيات في سورة واحدة ، مما يدل على أنه يستفاد من طريقة السورة في الدلالة على معناها .

ويمكن توجيه القراءة : إلى أن فيها استدلالاً بالرسم العثماني ، حيث فصلت فيه {آل} عن ﴿يَاسِينَ﴾ (٢) ، ويجوز أن يكون إِيَّاس بلغتين : إِيَّاس وإِيَّاسِينَ ، كما قالوا : ميكال وميكائيل (٣).

(١) جامع البيان (١٠/٥٢٣-٥٢٤) .

(٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/٢٢٧) .

(٣) انظر معاني القراءات للأزهري (٢/٣٢٢) .



## المطلب التاسع : تصارييف الكلمة تدل على مصدرها في الآية :

ففي قوله -تعالى- : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكُ اللهُ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِيءِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] قال -رحمه الله- : "... ثم اختلفت القراءة في قراءة قوله : ﴿ إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِيءِ ﴾ فقرأه عامة قراءة أهل المدينة والبصرة : { غُرْفَةً } بنصب الغين من الغرفة ، بمعنى العُرْفَة الواحدة ، من قولك : اغترفت غُرْفَةً ، والغُرْفَة هي الفعل [ أي : المصدر ] بعينه من الاغتراف . وقرأه آخرون : بالضم <sup>(١)</sup> ، بمعنى : الماء الذي يصير في كفِّ المغترف ، فالغُرْفَة الاسم ، والغُرْفَة المصدر .

وأعجب القراءتين في ذلك إليّ : ضمّ الغين في العُرْفَة ، بمعنى : إلا من اغترف كفاً من ماء ؛ لاختلاف { غُرْفَةً } إذا فتحت غينها ، وما هي له مصدر ، وذلك أن مصدر : ﴿ اعْتَرَفَ ﴾ اغترافه ، وإنما { غُرْفَةً } مصدر : غَرَفْت ، فلما كانت : { غُرْفَةً } مخالفة مصدر ﴿ اعْتَرَفَ ﴾ ، كانت العُرْفَة التي بمعنى الاسم -على ما قد وصفنا - أشبه منها بالعُرْفَة التي هي بمعنى الفعل . " <sup>(٢)</sup>

فاختار الضم للغين في قوله : ﴿ غُرْفَةً ﴾ ؛ لأن معها مصدر ﴿ اعْتَرَفَ ﴾ ، وليس غرف ، يوضّح ذلك قول الكسائي : " لو كان موضع : ﴿ اعْتَرَفَ ﴾ غرفاً اخترت الفتح ؛ لأنه يخرج على فَعْلَةٍ ، ولما كان ﴿ اعْتَرَفَ ﴾ لم يخرج على فَعْلَةٍ . " <sup>(٣)</sup>

(١) قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو بالفتح { غُرْفَةً } ، وقرأ الباقر بالضم . انظر المبسوط في القراءات العشر صفحة (١٣٣) ، وحجة القراءات صفحة (١٤٠) .

(٢) جامع البيان (٦/٦٣٣) ، وتحقيق شاكر (٥/٣٤٢-٣٤٣) .

(٣) تمذيب اللغة للأزهري (٨/١٠١) وانظر تاج العروس (٦/٣٠٩) فصل الغين من باب الفاء ، وقال أحمد شاكر : في كلام ابن جرير : وهذا تفصيل فلما تجده في كتب اللغة (٥/٣٤٩) .

### المطلب العاشر : دلالة السياق على الإعراب ترجح قراءة :

كما في قوله -تعالى- : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال أبو جعفر: "... وقد اختلفت القراءة في قراءة قوله : {فَيُضَاعِفُهُ} بالألف ورفعه : بمعنى : الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ، نسق يضاعف على قوله : ﴿يُقْرِضُ﴾<sup>(١)</sup> . وقراه آخرون بذلك المعنى : {فَيُضَعِّفُهُ} ، غير أنهم قرأوه بتشديد العين وإسقاط الألف<sup>(٢)</sup> . وقراه آخرون : ﴿فَيُضَاعِفُهُ لَهُ﴾ بإثبات الألف في يضاعف ، ونصبه بمعنى الاستفهام<sup>(٣)</sup> . فكأنهم تأولوا الكلام : من المقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ؟ . فجعلوا قوله : ﴿فَيُضَاعِفُهُ﴾ جواباً للاستفهام... .

قال أبو جعفر : وأولى هذه القراءات عندنا بالصواب : قراءة من قرأ : {فَيُضَاعِفُهُ لَهُ} بإثبات الألف ورفع يضاعف ؛ لأن في قوله : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ معنى الجزاء ، والجزاء إذا دخل في جوابه الفاء لم يكن جوابه بالفاء إلا رفعاً ، فلذلك كان الرفع في يضاعفه ، أولى بالصواب عندنا من النصب... " (٤)

فجعل معنى الجملة الجزائية مستلزماً لجواب مصحوب بفاء ولا يكون إلا مرفوعاً .

وتوجيه القراءة الأخرى كما قال الأزهري -رحمه الله- : بجواز النصب على تقدير جواب الاستفهام بالفاء . (٥)

(١) قرأها : أبو عمرو ونافع وحزمة والكسائي وخلف . انظر المبسوط صفحة (١٣١) وكتاب السبعة صفحة (١٨٥) .

(٢) قرأها : أبو جعفر وابن كثير وروح عن يعقوب . انظر المبسوط صفحة (١٣١) ، وكتاب السبعة صفحة (١٨٥) .

(٣) قرأها : عاصم وحده . انظر المبسوط صفحة (١٣١) ، وكتاب السبعة صفحة (١٨٥) .

(٤) جامع البيان (٢/٦٠٨) ، وتحقيق شاکر (٥/٢٨٧) .

(٥) انظر معاني القراءات للأزهري (١/٢١١) .

## المبحث الثاني : أثر دلالة السياق في تضعيف القراءة أو ردها ومناقشة ذلك :

لقد كان للإمام الطبري -رحمه الله- طريقته في التعامل مع القراءات المتعددة ، ومن طرقه مراعاة

السياق القرآني للآيات، وقد يحكم على القراءة بأنها ضعيفة أو مردودة .

وسأعرض الأسباب التي يضعف بها القراءة حال مراعاة السياق ، وسأمثل لها ، من خلال

المطالب التالية :

**المطلب الأول :** أن يكون السياق بالقراءة لا معنى له .

**المطلب الثاني :** أن يلزم من معنى القراءة التكرار أو التناقض .

**المطلب الثالث :** أن يلزم من القراءة لبس المعنى .

**المطلب الرابع :** أن يضعف السباق واللحاق القراءة .

## المطلب الأول : أن يكون السياق بالقراءة لا معنى له :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ تِلْكَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴾ [الفاتحة: ٤] قال أبو جعفر : " وأولى التأويلين بالآية ، وأصحّ القراءتين في التلاوة عندي ، التأويل الأول ، وهي : قراءة من قرأ { مَلِكٌ } بمعنى : المُلْكُ<sup>(١)</sup> ؛ لأن في الإقرار له بالانفراد بالملك إيجاباً لانفراده بالملك ، وفضيلة زيادة المَلِكِ على المالك ، إذ كان معلوماً أن لا ملك إلا وهو مالك ، وقد يكون المالك لا مَلِكاً. وبعد : فإن الله -جلّ ذكُره- قد أخبر عباده في الآية التي قبل قوله : ﴿ تِلْكَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴾ ، أنه مالك جميع العالمين وسيدهم ، ومصالحهم والناظر لهم ، والرحيم بهم في الدنيا والآخرة ، بقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التحنيم: ٢-٣] وإذ كان -جلّ ذكُره- قد أنبأهم عن مُلكه إياهم كذلك بقوله : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فأولى الصفات من صفاته -جلّ ذكُره- ، أن يتبع ذلك ما لم يحوه قوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ مع قرب ما بين الآيتين من المواصلة والمجاورة ، إذ كانت حكمته الحكمة التي لا تشبهها حكمة ، وكان في إعادة وصفه -جلّ ذكُره- بأنه : ﴿ تِلْكَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴾ ، إعادة ما قد مضى من وصفه به في قوله : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ مع تقارب الآيتين وتجاور الصفتين . وكان في إعادة ذلك تكرار ألفاظ مختلفة بمعانٍ متفقة ، لا تفيد سامع ما كرّر منه فائدة به إليها حاجة . والذي لم يحوه من صفاته -جلّ ذكُره- ما قبل قوله : ﴿ تِلْكَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴾ المعنى الذي في قوله : { مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ } ، وهو وصفه بأنه المَلِكُ . فبيّن إذاً أن أولى القراءتين بالصواب وأحقّ التأويلين بالكتاب : قراءة من قرأ : { مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ } ، بمعنى إخلاص الملك له يوم الدين ، دون قراءة من قرأ : ﴿ تِلْكَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴾ الذي بمعنى : أنه يملك الحكم بينهم وفصل القضاء ، متفرّداً به دون سائر خلقه . " (٢)

وقد ضعّف ابن جرير -رحمه الله- القراءة التي ذكر أنه يلزم منها تكرار بلا فائدة، وأن

(١) قرأ بها : أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمة ، وقرأ {مالك} بالألف : عاصم والكسائي ويعقوب وخلف وروي عن الكسائي إجازة الوجهين . انظر المبسوط صفحة (٨٣) ، وإتحاف فضلاء البشر (٣٦٣/١) .

(٢) جامع البيان (١/٩٤-٩٦) ، وتحقيق شاکر (١٤٩/١-١٥٠) .

الأحسن والأولى في القراءة أن تفيد معنى جديداً .

ولكن الصواب ما قال أبو منصور الأزهري -رحمه الله- : " القراءتان كلتاها ثابتة بالسنة"<sup>(١)</sup> . وأما القراءة بالألف فتوجيهها أنها أتم في المعنى ؛ ولذلك اختارها الأزهري -رحمه الله- ويشبهها على معناها قوله -تعالى- : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ مَنْ شَاءَ وَتَنَزَّعُ الْمَلِكُ مِمَّنْ شَاءَ وَتُجْرُ مِنْ شَاءَ وَتُذَلُّ مِنْ شَاءَ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

**والصحيح :** "أن كل ما قيل في توجيه القراءتين من أقوال ، صحيح ومسلم به ، وكله ثابت لله -تبارك وتعالى- ، فهو المالك ، وهو الملك ، وهو الذي بيده كل شيء ، فكل قراءة تفيد معنى قد لا تفيده القراءة الأخرى ؛ ولذلك يقول بعض العلماء : إن كل قراءة تعتبر حجة مستقلة ، ومعجزة دالة على صدق رسول الله -ﷺ- فيما بلغه عن ربه -جل وعلا- " .<sup>(٢)</sup>

(١) معاني القراءات للأزهري (١١٠/١) .

(٢) حاشية إتحاف فضلاء البشر (٣٦٤/١) تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل ، وراجع مقدمة هذا الفصل صفحة (٣٥٠-٣٥٩) . وانظر مواضع أخرى في : البقرة ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَجْعُدُ مِنَ دُونِ اللَّهِ أَدْنَاكَ يُحِبُّهُمْ كُفُوبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] الآية جامع البيان (٧٢/٢) ، والمائدة (٦٠) ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمْ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٦٣٤/٤) ، والأنفال (٩) ﴿ إِذْ فَتَحْتُمُوسَىٰ رِبْعَهُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴾ جامع البيان (١٩١/٦) ، والنحل (٣٧) ﴿ إِن تَحَرَّضَ عَلَىٰ هُدُنِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴾ جامع البيان (٥٨٣/٧) ، ومريم (٦) ﴿ بَرُّنِي وَيُرِيثْ مِنِّي عَالٍ يَعْقُوبُ وَأَجْمَعُكَ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ جامع البيان (٣٠٩/٨) ، ويس (١٤) ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتِّبِينَ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِشَالِكٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴾ جامع البيان (٤٣١/١٠) ، والحديد (١٣) ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا نَظَرُونَا نَقِيسَ مِن قُرْبِكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٦٧٧/١١) ، والقدر (٥) ﴿ سَأَلَهُمْ حَتَّىٰ مَطَّلَعُ الْفَجْرِ ﴾ جامع البيان (٦٥٤/١٢) .

## المطلب الثاني: أن يلزم من معنى القراءة التكرار أو التناقض :

١- مثال توهم لزوم تكرار لا معنى له :

قوله -تعالى- : ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦] ... ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ قال أبو جعفر : " اختلف القراءة في قراءة ذلك : فقرأته عامتهم : ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ بتشديد اللام <sup>(١)</sup> ، بمعنى : استزلها ، من قولك : زلّ الرجل في دينه: إذا هفا فيه وأخطأ ، فأتى ما ليس له إتيانه فيه ، وأزله غيره : إذا سبب له ما يزلّ من أجله في دينه أو دنياه ؛ ولذلك أضاف الله -تعالى ذكره- إلى إبليس خروج آدم وزوجته من الجنة، فقال : ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾ يعني : إبليس ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ ؛ لأنه كان الذي سبب لهما الخطيئة، التي عاقبهما الله عليها بإخراجهما من الجنة . وقرأه آخرون : ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ <sup>(٢)</sup> ، بمعنى : إزالة الشيء عن الشيء ، وذلك تنحيته عنه...

وأولى القراءتين بالصواب : قراءة من قرأ : ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ ؛ لأن الله -جلّ ثناؤه- قد أخبر في الحرف الذي يتلوه ، بأن إبليس أخرجهما مما كانا فيه ، وذلك هو معنى قوله : ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ ، فلا وجه - إذ كان معنى الإزالة معنى التنحية والإخراج - أن يقال : ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ ، فيكون كقوله : فأزالهما الشيطان عنها ، فأزالهما مما كانا فيه ، ولكن المفهوم أن يقال : فاستزلهما إبليس عن طاعة الله ، كما قال -جلّ ثناؤه- : ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ وقرأت به القراء ، فأخرجهما باستزاله إياهما من الجنة . " <sup>(٣)</sup>

فقد استدل بذكر الإخراج من الجنة في الجملة اللاحقة في قوله : ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ على أن القراءة الصحيحة لكلمة : ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ السابقة بغير ألف ؛ لأنه لا يتكرر معها المعنى في الآية . <sup>(٤)</sup>

(١) قراءة الجميع غير حمزة . انظر المبسوط صفحة (١١٦) ، وإتحاف فضلاء البشر (٣٨٨/١) .

(٢) قرأ بها : حمزة وحده ، انظر المرجعين السابقين .

(٣) جامع البيان (٢٧٢/١-٢٧٣) ، وتحقيق شاکر (٥٢٤/١) .

(٤) ومثله : إذا لزم من القراءة إضافة الشيء إلى نفسه : كما في المائدة (٩٥) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ الآية

قال مكي - رحمه الله - في توجيه القراءة الأخرى : " ووجه القراءة بالألف : أنها مضادة لمعنى ما قبلها ، وهو قوله لآدم : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥] ، فأمرهما بالثبات في الجنة ، وضد الثبات الزوال ، فسعى إبليس فأزلهما بالمعصية ، عن المكان الذي أمرهما الله بالثبات فيه بالطاعة ، فكان الزوال به أليق ؛ لما ذكر ، وأيضاً : هو مطابق لما بعده في المعنى ؛ لأن بعده : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا ﴾ . " (١)

٢- مثال توهم لزوم تناقض وتعارض :

ما قال ابن جرير - رحمه الله - في قوله - تعالى - : ﴿ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ٩] : "... وإذ كان الأمر على ما وصفنا من خداع المنافق ربه وأهل الإيمان به ، وأنه غير صائر بخداعه ذلك إلى خديعة صحيحة إلا لنفسه دون غيرها ، لما يورطها بفعله من الهلاك والعطب ، فالواجب إذاً أن يكون الصحيح من القراءة : ﴿ وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ دون : ﴿ وَمَا يُخَادِعُونَ ﴾ (٢) ؛ لأن لفظ المخادع غير موجب تثبيت خديعة على صحة ، ولفظ خادع موجب تثبيت خديعة على صحة . ولا شك أن المنافق قد أوجب خديعة الله - عزّ وجلّ - لنفسه بما ركب من خداعه ربه ورسوله والمؤمنين بنفاقه ، فلذلك وجبت الصحة لقراءة من قرأ : ﴿ وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ . ومن الدلالة أيضاً على أن قراءة من قرأ : ﴿ وَمَا يُخَدِّعُونَ ﴾ أولى بالصحة من قراءة من قرأ : ﴿ وَمَا يُخَادِعُونَ ﴾ أن الله - جلّ ثناؤه - قد أخبر عنهم أنهم يخادعون الله والمؤمنين في أول الآية ، فمحال أن ينفي عنهم ما قد أثبت أنهم قد فعلوه ؛ لأن ذلك تضاد في المعنى ، وذلك غير جائز من الله - جلّ وعزّ - . " (٣)

جامع البيان (٥/٤٤-٤٥ و٥١) .

(١) الكشف لمكي (١/٢٣٥-٢٣٦) .

(٢) قرأ ﴿ يُخَدِّعُونَ ﴾ : أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف ، وقرأ ﴿ يُخَادِعُونَ ﴾ نافع وابن كثير

وأبو عمرو . انظر المبسوط صفحة (١١٥) ، وإتحاف فضلاء البشر (١/٣٧٧) .

(٣) جامع البيان (١/١٥٢-١٥٣) ، وتحقيق شاکر (١/٢٧٧) .

فلما كان في إثبات الألف في قوله : {وَمَا يُخَادِعُونَ} ما يوجب نفي ما أثبت في أول الآية في قوله : ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كان الحكم على القراءة بالضعف، وقد أجيّب عن أسباب تضعيف الإمام -رحمه الله- للقراءة المتواترة أول الفصل. <sup>(١)</sup>

وتوجيه القراءة بالألف : كما قال مكّي -رحمه الله- : أن القراءتين على معنى واحد ، من فاعل واحد <sup>(٢)</sup> ، بل قال بعضهم : إذا كان على شكل واحد ، بلفظ واحد فهو أحسن . وقال المبرّد معناه : وما يخادعون بتلك المخادعة المذكورة أولاً إلا أنفسهم ، إذ وبالها راجع عليهم ، فوجب ألا يختلف اللفظ ؛ لأن الثاني هو الأول . وقال أبو عمرو <sup>(٣)</sup> : ليس أحد يخدع نفسه وإنما يخادعها . <sup>(٤)</sup>

(١) انظر صفحة (٣٥٠-٣٥٩) .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع (١/٢٢٧) .

(٣) هو أحد القراء السبعة . انظر حجة القراءات لابن زنجلة ص (٨٧) .

(٤) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (١/٢٢٥) .



## المطلب الثالث : أن يلزم من القراءة لبسُ المعنى :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا لِلنِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] "... ﴿ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ قال أبو جعفر : اختلفت القراءة في قراءة ذلك : فقرأه بعضهم : ﴿ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ بضم الهاء وتخفيفها ، وقرأه آخرون بتشديد الهاء وفتحها <sup>(١)</sup> . وأما الذين قرأوه بتخفيف الهاء وضمها ، فإنهم وجهوا معناه إلى : ولا تقربوا النساء في حال حيضهن ، حتى ينقطع عنهن دم الحيض ويطهرن... وأما الذين قرأوا ذلك بتشديد الهاء وفتحها ، فإنهم عنوا به : حتى يغتسلن بالماء...

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك : قراءة من قرأ : ﴿ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ بتشديدها وفتحها ، بمعنى : حتى يغتسلن ؛ لإجماع الجميع على : أن حراماً على الرجل أن يقرب امرأته بعد انقطاع دم حيضها حتى تطهر. وإنما اختلف في التطهر الذي عناه الله -تعالى- ذكره- ، فأحلّ له جماعها ، فقال بعضهم : هو الاغتسال بالماء ، لا يحلّ لزوجها أن يقربها حتى تغسل جميع بدنها . وقال بعضهم : هو الوضوء للصلاة . وقال آخرون : بل هو غسل الفرج ، فإذا غسلت فرجها فذلك تطهرها الذي يحلّ به لزوجها غشياً . فإذا كان إجماع من الجميع أنها لا تحلّ لزوجها بانقطاع الدم حتى تطهر ، كان بيناً أن أولى القراءتين بالصواب أنفاهما للبس عن فهم سامعها ، وذلك هو الذي اخترنا ، إذ كان في قراءة قارئها بتخفيف الهاء وضمها ، ما لا يؤمنُ معه اللبس على سامعها من الخطأ في تأويلها ، فيرى أن لزوج الحائض غشياً بعد انقطاع دم حيضها عنها وقبل اغتسالها وتطهرها . " <sup>(٢)</sup>

فلما كان إجماع من العلماء على عدم جواز جماع المرأة بعد انقضاء حيضها إلا بعد تطهرها

(١) قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف : بفتح الطاء والهاء مشددتين { يَطْهُرْنَ } مضارع تطهر : أي اغتسل ، وقرأ الباقر : بسكون الطاء وضم الهاء مخففة ﴿ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ مضارع طهرت المرأة شفيت من الحيض واغتسلت . انظر إتحاف فضلاء البشر (١/٤٣٨) .

(٢) جامع البيان (٢/٣٩٧-٣٩٨) ، وتحقيق شاكر (٤/٣٨٣) .

بالغسل أو الوضوء أو غسل الفرج ، كان في قراءة التخفيف ما يوهم معنى ملبساً .  
والصحيح في توجيه قراءة التخفيف : أنها لا تعني جواز قربان المرأة بعد انقطاع حيضها وقبل اغتسالها ؛ لأن الكلام لم ينته بعد ، فلا تتم الفائدة من الكلام إلا بقوله : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] أي : بالماء ، فهذا أتت الفائدة وانتهى الحكم ، والقول بعدم اشتراط الغسل يجعل جملة : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾ لا فائدة لها وهذا لا يجوز .<sup>(١)</sup>

و لم يحصل من العلماء إجماع -بمعناه الأصولي- على أن المرأة لا تجتمع حتى تغتسل فقد ذهب أبو حنيفة -رحمه الله - إلى جواز جماعها بعد طهارة أكثر الحيض ، وهو عشرة أيام ، أما إذا انقطع لأقل : فلا يجوز حتى تغتسل ، أو يمضي عليها وقت صلاة من غير أن تجد دم الحيض .<sup>(٢)</sup>

وبماثل الآية في المعنى قوله -تعالى- : ﴿ وَأَبْلُوا إِلَيْكُمْ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ [النساء: ٦] فقد أوجب الله -عزّ وجلّ- على وليّ اليتيم أن يؤتي اليتيم ماله بعد توفر شرطين فيمن كان يتيماً وهما : بلوغ النكاح ، وإيناس الرشد منهم وحسن التصرف ، فلا يكفي أحد الشرطين عن الآخر ، بل لا بد منهما جميعاً ، وكذا الطاهر من الحيض لا يحل وطؤها إلا بشرطين : انقطاع الدم ، والاعتسال ، فلا يباح الجماع إلا بهما .<sup>(٣)</sup>

(١) انظر الكشف لمكي (١/٢٩٣) .

(٢) انظر أحكام القرآن (٢/٣٥-٣٦) ، لأبي بكر الجصاص ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي .

(٣) انظر المعني (١/٣٣٨) ، طبع عالم الكتب .

## المطلب الرابع: أن يضعف السباق واللحاق القراءة :

١- مثال تضعيف السباق للقراءة : قال - رحمه الله - : " وقوله : ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [الإسراء: ٣٨] فإن القراء اختلفت فيه : فقرأه بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة : ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ على الإضافة<sup>(١)</sup> بمعنى : كل هذا الذي ذكرنا من هذه الأمور التي عددنا من مبتدأ قولنا : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣]... إلى قولنا : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْمًا ﴾ [الإسراء: ٣٧] ﴿ كَانَ سَيِّئُهُ ﴾ يقول : سيئ ما عددنا عليك عند ربك مكروهاً . وقال قارئو هذه القراءة : إنما قيل : ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ ﴾ بالإضافة ؛ لأن فيما عددنا من قوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ أموراً هي أمر بالجميل ، كقوله : ﴿ وَإِلَىٰ الْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ ، وقوله : ﴿ وَمَاتَ ذَا الْقَرْبَيْنِ حَقِّمًا ﴾ [الإسراء: ٢٦] وما أشبه ذلك ، قالوا : فليس كل ما فيه نهيًا عن سيئة ، بل فيه نهي عن سيئة وأمر بحسنة ، فلذلك قرأنا ﴿ سَيِّئُهُ ﴾ . وقرأ عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة : ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ ﴾<sup>(٢)</sup> وقالوا : إنما عني بذلك : كل ما عددنا من قولنا : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَتَّىٰ إِذَا قَرَّبُوا إِلَىٰ مَوْتِهِمْ نَفْسًا سَاءَةً ﴾ [الإسراء: ٣١] ، ولم يدخل فيه ما قبل ذلك . قالوا : وكل ما عددنا من ذلك الموضوع إلى هذا الموضوع سيئة لا حسنة فيه ، فالصواب قراءته بالتنوين . ومن قرأ هذه القراءة ، فإنه ينبغي أن يكون من نيته أن يكون المكروه مقدمًا على السيئة ، وأن يكون معنى الكلام عنده : كل ذلك كان مكروهاً سيئاً ؛ لأنه إن جعل قوله : ﴿ مَكْرُوهًا ﴾ نعت السيئة من نعت السيئة لزمه أن تكون القراءة : كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروهاً ، وذلك خلاف ما في مصاحف المسلمين .

وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب : قراءة من قرأ : ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ على إضافة السبيح إلى الهاء ، بمعنى : كل ذلك الذي عددنا من : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾... ﴿ كَانَ سَيِّئُهُ ﴾

(١) قرأ بها : ابن عامر وعاصم وحمره والكسائي وخلف ، وأحسن تقدير لها : أي كل ما ذكر مما أمرتم به ونهيتم عنه كان سيئاً وهو ما نهيتم عنه أمراً مكروهاً - كما ذكر ابن جرير - . انظر إتحاف فضلاء البشر (٢/١٩٧) ، والمبسوط صفحة (٢٢٨) .

(٢) قرأ بها : أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب منوثة منصوبة . انظر المبسوط صفحة (٢٢٨) .

سَيِّئُهُ ﴿١﴾ ؛ لأن في ذلك أموراً منهيّاً عنها ، وأموراً مأموراً بها ، وابتداء الوصية والعهد من ذلك الموضوع دون قوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ﴾ إنما هو عطف على ما تقدّم من قوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ فإذا كان ذلك كذلك ، فقراءته بإضافة السيئ إلى الهاء ، أولى وأحقّ من قراءته {سَيِّئَةً} بالتنوين ، بمعنى السيئة الواحدة . (١)

فحين أشير إلى جمع بأنه مكروه سيئ ، وفي الجمع المتقدم أفعال حسنة ، كان إلحاق الجميع بالمكروه غير صحيح ؛ لما يوجب من قطع الكلام بعضه عن بعض ، مع أن العطف في النص ما زال متصلاً .

وتوجيه القراءة الأخرى كما قال الأزهري - رحمه الله - : " ومن قرأ : {سَيِّئَةً} جعل كلاً إحاطة بالمنهي عنه فقط ، والمعنى : كل ما نهى الله عنه كان سيئة . " (٢)

وقال مكي - رحمه الله - : بتمام الكلام عند قوله : ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٥] وابتداء كلام جديد من قوله : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦] وكل ما ذكر بعده كان سيئاً ليس فيه ما يحسن فعله ، قال بعد : ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً ﴾ إذ فعل جميعه سيئ . " (٣)

٢- مثال تضعيف اللحاق للقراءة : قوله - تعالى - : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكَبُرُّ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩] قال - رحمه الله - : "... واختلفت القراءة في قراءة ذلك : فقراه أهل المدينة وبعض الكوفيين والبصريين : ﴿ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ بالباء (٤) ،

(١) جامع البيان (٨٢/٨) . وانظر مواضع أخرى في : المائدة (١٣) ﴿ فِيمَا نَقُضِبِهِمْ مَيِّتَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَدْسِيَةً ﴾ الآية جامع البيان (٤/٤٩٥-٤٩٦) ، والأنعام (٩١) ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٢٦٤-٢٦٥) ، والأعراف (١٩٠) ﴿ فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَاحِبًا جَمَلًا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَلَّىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [١٩٠] جامع البيان (٦/١٤٧-١٤٨) ، والعنكبوت (٤٢) ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٤٢] جامع البيان (١٠/١٤٣) .

(٢) معاني القراءات (٢/٩٥) .

(٣) انظر الكشف لمكي (٢/٤٧) .

(٤) قرأ بها : نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب وحلف . انظر إتحاف فضلاء البشر (١/٤٣٧) ،

بمعنى : قل في شرب هذه ، والقمار هذا ، كبير من الآثام . وقرأه آخرون من أهل المصرين البصرة والكوفة : {قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَثِيرٌ} <sup>(١)</sup> . بمعنى الكثرة من الآثام ، وكأنهم رأوا أن الإثم بمعنى الآثام ، وإن كان في اللفظ واحداً ، فوصفوه بمعناه من الكثرة .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأه بالباء : ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَثِيرٌ﴾ ؛ لإجماع جميعهم على قوله : ﴿وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ وقراءته بالباء ، وفي ذلك دلالة بيّنة على أن الذي وصف به الإثم الأول من ذلك هو العظم والكبر ، لا الكثرة في العدد . ولو كان الذي وصف به من ذلك الكثرة ، لقليل : وإثمه أكبر من نفعهما . <sup>(٢)</sup>

وكما هو واضح من تضعيف القراءة بسبب ورود موضع متفق عليه بين القراء وقد قرعوه بأحد القراءتين ، فإن حمل القراءة على لفظ واحد متفق عليه في الموضع المختلف فيه أولى وأحسن . وما أحسن قول أبي منصور الأزهري - رحمه الله - : " ما أقرب معنى الكثير من الكبير ، فافقراً كيف شئت . " <sup>(٣)</sup>

ويؤيد قراءة الكثير : قوله - تعالى - : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَالْمَيْسِرِ وَبِصَدَّتُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١] وعن ابن عمر <sup>(٤)</sup> - رضي الله عنهما - أن

والمبسوط صفحة (١٣٠) .

(١) قرأ بالتاء المثلثة : حمزة والكسائي . انظر إتحاف فضلاء البشر (٤٣٧/١) ، والمبسوط صفحة (١٣٠) .

(٢) جامع البيان (٣٧٣/٢) ، وتحقيق شاكر (٣٢٨/٤) . وانظر مواضع أخرى في : آل عمران (١٨١) ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ وَخَشِيُّ ابْنِ أَبِي إِسْحَاقَ﴾ الآية جامع البيان (٥٣٧/٣) ، والشعراء (١٣٨) ﴿وَمَا تَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ﴾ جامع البيان (٤٦٣-٤٦٤) ، والنمل (٦٦) ﴿بَلْ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ جامع البيان (٨-٧/١٠) .

(٣) معاني القراءات (٢٠١/١) .

(٤) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي ، ولد قبل الهجرة بعشر ، وأسلم وهاجر مع أبيه ، شهد الخندق وما بعدها ، أحد العبادلة الأربعة ، وأحد الستة المكثرين من الرواية ، وله ألفان وستمائة وثلاثون حديثاً ، أفقح الناس ستين سنة ،

رسول الله ﷺ - قال : " لعن الله الخمر ، وشاربها ، وساقياها ، وبائعها ، ومبتاعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وأكل ثمنها . " (١) وهؤلاء كثرة (٢) .

وقد جمع الله منافعها فقال : ﴿ وَمَنْفَعُ النَّاسِ ﴾ وكذلك يجب أن تكون آثامها ، وحسن مكّي القراءتين وقال بتداخلهما ؛ لأن القراءة بالتاء مراد بها العظم ، ولا شك أن ما عظم فقد كثر ، وقد كبر ، والباء أحب إلي ؛ لأن الجماعة عليه . (٣)

**وفي نهاية هذا الفصل :** يتبين ما للسياق من أثر في الترجيح بين القراءات - دون تضعيف شيء من المتواتر - ، وقد أتبع كل موضع فيه قراءة لم يختارها ابن جرير - رحمه الله - بوجه قراءتها ؛ لإظهار إعجاز القرآن وصحة القراءة ، والقراءة الصحيحة هي التي تحكم على اللغة والبلاغة . -والحمد لله رب العالمين - .

كان من الزهاد العباد ، وهو آخر الصحابة موتاً بمكة ، توفي سنة ثلاث وسبعين . انظر تهذيب الأسماء واللغات (١/٢٧٨) ، والإصابة (٤/١٠٧) ، والأعلام (٤/٢٤٦) .

(١) رواه أبو داود في كتاب الأشربة ، باب العنب يعصر للخمر (٤/٨١) حديث (٣٦٧٤) ، والحاكم في كتاب الأشربة ، في ذكر أحاديث تحريم الخمر ، وصححه الذهبي في التلخيص على المستدرک (٤/١٤٥) والألباني في صحيح الجامع (٢/٩٠٧) .

(٢) انظر إتحاف فضلاء البشر (١/٤٣٧) ، والحجة للقراء السبعة (٢/٢٣٨) ، لأبي علي الفارسي .

(٣) انظر الكشف لمكي (١/٢٩١-٢٩٢) .

## الفصل الثاني

أثر دلالة السياق  
في بيان الأصح من أسباب النزول :

## الفصل الثاني : أثر دلالة السياق في بيان الأصح من أسباب النزول :

إن المتأمل للفصل الماضي يظهر له أثر السياق في علم القراءات والترجيح بينها في الاختيار ونحو ذلك ، وفي هذا الفصل يتبين لنا أثر السياق في نوع من علوم القرآن ، وهو أسباب النزول المعينة على فهم المعنى وإزالة الإشكال ، والسياس بدوره يختار لنا المناسب له من أسباب النزول ، تطبيقاً لقاعدة : الكلام على اتصال السياق ما لم يدل دليل على انقطاعه<sup>(١)</sup>.

وسأعرض لأمثلة هذا الفصل من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول : بيان الأصح من أسباب النزول .

المبحث الثاني : ترجيح سبب النزول لا يعني تخصيص الآية بمن كان فيه سبب النزول ، بل يدخل فيه من يشابهه .

المبحث الثالث : ترجيح المخاطب بالآيات .

المبحث الرابع : موضع لم يرجح فيه الإمام الأرجح من أسباب النزول .

(١) انظر صفحة (١٤٢) وما بعدها .



## المبحث الأول : بيان الأصح من أسباب النزول :

في قوله -تعالى- : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١] قال -رحمه الله- : " اختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الآية وإن كان مأموراً بذلك جميع المؤمنين ، فقال بعضهم : عنى بذلك : عبادة بن الصامت <sup>(١)</sup> وعبد الله بن أبي ابن سلول <sup>(٢)</sup> ، في براءة عبادة من حلف اليهود ، وفي تمسك عبد الله بن أبي ابن سلول بحلف اليهود ، بعد ما ظهرت عداوتهم لله ولرسوله -ﷺ- ، وأخبره الله أنه إذا تولاهم وتمسك بحلفهم : أنه منهم في براءته من الله ورسوله كبراءتكم منهما... وقال آخرون : [كالسدي] بل عني بذلك قوم من المؤمنين كانوا هموا حين نالهم بأحد من أعدائهم من المشركين ما نالهم ، أن يأخذوا من اليهود عصماً [أي : عهداً] ، فنهاهم الله عن ذلك ، وأعلمهم أن من فعل ذلك منهم فهو منهم... عن السدي : ... قال : لما كانت وقعة أحد ، اشتد على طائفة من الناس ، وتخوفوا أن يدال عليهم الكفار ، فقال رجل لصاحبه : أما أنا فألحق بدهلك <sup>(٣)</sup> اليهودي فأخذ منه أماناً وأتخوذ معه ، فإني أخاف أن تدال علينا اليهود . وقال الآخر : أما أنا فألحق بفلان النصراني ببعض أرض الشام ، فأخذ منه أماناً وأتصّر معه . فأنزل الله -تعالى- ذكره -ينهاهما : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ

(١) هو أبو الوليد ، عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري ، ولد قبل الهجرة بثمان وثلاثين ، وهو أحد النقباء ليلة العقبة ، ومن أعيان أهل بدر ، سكن بيت المقدس وهو أول قاضٍ فيها ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله -ﷺ- ، مات بالرملة سنة أربع وثلاثين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . انظر سير أعلام النبلاء (٥/٢) ، والإصابة (٢٧/٤) ، والأعلام (٣٠/٤) .

(٢) هو عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث الخزرجي ، المشهور بابن سلول ، وسلول جدته لأبيه ، رأس المنافقين في الإسلام ، كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم ، أظهر الإسلام بعد بدر تقيّة ، انخرل بثلاثمائة يوم أحد ، ويمثلهم في تبوك ، وكان عملاقاً يركب الفرس فتخطّ إماماه في الأرض ، توفي سنة تسع ، صلى عليه النبي -ﷺ- - وكفنه في ثوبه ، فنزل النهي عن ذلك في قوله : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نُقَمِ عَلَيْهِ قَبْرَهُ﴾ [التوبة: ٨٤] . انظر المعارف صفحة (١٥٩) ، والأعلام (١١٨/٤) .

(٣) لم أجد له ترجمة ، وفي تحقيق شاکر قال : " ويظهر أن في اسمه تحريفاً " (٣٩٧/١٠) ، ونحو ذلك في تحقيق التركي ٥٠٦/٨ .

﴿فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥١) ... وقال آخرون : بل عُني بذلك : أبو لبابة بن عبد المنذر (١) في إعلامه بني قريظة إذ رضوا بحكم سعد (٢) : أنه الذبح...

**قال أبو جعفر :** والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله -تعالى ذكّره- نهي المؤمنين جميعاً أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصاراً وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله وغيرهم ، وأخبر أنه من اتخذهم نصيراً وحليفاً وولياً من دون الله ورسوله والمؤمنين ، فإنه منهم في التحزب على الله وعلى رسوله والمؤمنين ، وأن الله ورسوله منه بريتان ، وقد يجوز أن تكون الآية نزلت في شأن عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي ابن سلول وحلفائهما من اليهود ، ويجوز أن تكون نزلت في أبي لبابة بسبب فعله في بني قريظة، ويجوز أن تكون نزلت في شأن الرجلين اللذين ذكر السدي... ولم يصحّ بواحدٍ من هذه الأقوال الثلاثة خبر تثبت بمثله حجة فيسلم لصحته القول بأنه كما قيل . فإذا كان ذلك كذلك فالصواب أن يُحكم لظاهر التنزيل بالعموم على ما عمّ ، ويجوز ما قاله أهل التأويل فيه من القول الذي لا علم عندنا بخلافه ، غير أنه لا شك أن الآية نزلت في منافق كان يوالي يهوداً أو نصارى ، خوفاً على نفسه من دوائر الدهر ؛ لأن الآية التي بعد هذه تدل على ذلك ، وذلك قوله :

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢] الآية... (٣)

فقد ذكر الإمام الطبري -رحمه الله- الأقوال وجوزها ، إذ ليس فيها خبر عن سبب النزول ،

(١) هو بشير ، وقيل : يسير ، وقيل : رفاعة بن عبد المنذر الأوسي ، شهد بدرًا بسهمه وأجره ، وأمره على المدينة، ولما أشار إلى بني قريظة بالذبح أحسّ بالذنب ، فحبس نفسه في المسجد حتى تاب الله عليه ، فأراد أن ينخلع من جميع ماله ، فقال النبي ﷺ - : يجزئ عنك الثلث من مالك . انظر السيرة النبوية لابن هشام (٣/٤٢٧ و٤٢٧) ، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (١٠٨/٣) ، والإصابة (١٦٥/٧) .

(٢) هو أبو عمر ، سعد بن معاذ بن النعمان ، السيد الكبير الشهيد ، الأنصاري الأوسي ، البدري ، كان من أطول الناس وأعظمهم جسماً ، أسلم على يد مصعب بن عمير ، ثم أسلم بنو عبد الأشهل لإسلامه له مناقب كثيرة ، رمي يوم الخندق فجرح ، فعاش شهراً ، حكم في بني قريظة بقتل رجالهم وسبي نساءهم وذرائعهم ، ثم انتقض جرحه فمات ، اهتزّ عرش الرحمن لموته ، وكان عمره سبعاً وثلاثين سنة . انظر سير أعلام النبلاء (١/٢٧٩) ، والإصابة (٣/٨٧) ، والأعلام (١٣٩/٣) .

(٣) جامع البيان (٤/٦١٥-٦١٧) ، وتحقيق شاکر (١٠/٣٩٥) ، والآية من المائدة (٥٢) .

وإنما هي أقوال للمفسرين ؛ ولكن لا بدّ من أن يكون المخاطب منافقاً ، ودليل هذا الوصف الآية التالية وهي قوله -تعالى- : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ الآية ، والمقصود مرض النفاق ، فلا يصحّ قول يخالف سياق الآية .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٢] قال -رحمه الله-: "...اختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الآية ، والسبب الذي من أجله أنزلت فيه ، فقال بعضهم : نزلت في عشرة أنفس كانوا تخلفوا عن رسول الله -ﷺ- في غزوة تبوك ، منهم أبو لبابة ، فربط سبعة منهم أنفسهم إلى السواري عند مقدم النبي -ﷺ- - توبة منهم من ذنبهم... وقال آخرون : بل كانوا ستة ، أحدهم أبو لبابة... وقال آخرون : الذين ربطوا أنفسهم بالسواري كانوا ثمانية... وقال آخرون : كانوا سبعة... وقال آخرون : بل عني بهذه الآية أبو لبابة خاصة ، وذنبه الذي اعترف به فتب عليه فيه : ما كان من أمره في بني قريظة... وقال آخرون : بل نزلت في أبي لبابة بسبب تخلفه عن تبوك... وقال بعضهم : عني بهذه الآية الأعراب..."

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال : نزلت هذه الآية في المعترفين بخطأ فعلهم في تخلفهم عن رسول الله -ﷺ- وتركهم الجهاد معه والخروج لغزو الروم حين شخص إلى تبوك <sup>(١)</sup> ، وأن الذين نزل ذلك فيهم جماعة أحدهم أبو لبابة ، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك ؛ لأن الله -جلّ ثناؤه- قال : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ﴾ فأخبر عن اعتراف جماعة بذنوبهم ، ولم يكن المعترف بذنبه الموثق نفسه بالسارية في حصار قريظة غير أبي لبابة وحده . فإذا كان ذلك [كذلك] ، وكان الله -تبارك وتعالى- قد وصف في قوله : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ﴾ بالاعتراف بذنوبهم جماعة ، علم أن الجماعة الذين وصفهم بذلك ليست الواحد ، فقد تبين بذلك أن هذه الصفة إذا لم تكن إلا لجماعة ، وكان لا جماعة فعلت ذلك -فيما نقله أهل السير والأخبار وأجمع عليه أهل التأويل- إلا جماعة من المتخلفين عن غزوة تبوك ، صحّ ما قلنا في ذلك ، وقلنا : كان منهم أبو لبابة ؛

(١) الشخص هو : السير من بلد إلى بلد . انظر العين ولسان العرب مادة ش خ ص .

لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك . " (١)

فقد رجح السياق أن من نزلت فيهم الآيات جمع لا فرد ، بدليل قوله -تعالى- : ﴿ وَمَا آخِرُونَ  
أَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ﴾ فهو دليل على أنهم كانوا جماعة اعترفوا بذنوبهم ، ولا يصح حمل الآية على أنها نزلت  
في شخص واحد .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ  
عَلَيْكُمْ كَيْلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩١] ذكر -رحمه الله اختلاف أهل التأويل: "...،  
فقال بعضهم [كبريدة (٢)]: : عُنِي بِمَا الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - على الإسلام ، وفيهم  
أنزلت... وقال آخرون : نزلت في الحلف الذي كان أهل الشرك تحالفوا في الجاهلية ، فأمرهم الله -عزَّ  
وجلَّ- في الإسلام أن يوفوا به ولا ينقضوه... [وساق] عن مجاهد.. قال : تغليظها في الحلف..

والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن الله -تعالى- أمر في هذه الآية عباده بالوفاء بعهوده  
التي يجعلونها على أنفسهم ، ونهاهم عن نقض الأيمان بعد توكيدها على أنفسهم لآخرين بعقود تكون  
بينهم بحق مما لا يكرهه الله . وجائز أن تكون نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ - بنهيهم عن  
نقض بيعتهم حذراً من قلة عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين ، وأن تكون نزلت في الذين أرادوا  
الانتقال بحلفهم عن حلفائهم ؛ لقلّة عددهم في آخرين لكثرة عددهم ، وجائز أن تكون في غير  
ذلك. ولا خير تُثَبَّتْ به الحجة أنها نزلت في شيء من ذلك دون شيء ، ولا دلالة في كتاب ولا حجة  
عقل أي ذلك عُنِيَ بها ، ولا قول في ذلك أولى بالحقّ مما قلنا لدلالة ظاهره عليه ، وأن الآية كانت قد  
نزلت لسبب من الأسباب ، ويكون الحكم بها عاماً في كلّ ما كان بمعنى السبب الذي نزلت فيه . " (٣)

ساق -رحمه الله- الأقوال ولم يرجح أحدها ؛ لعدم الدليل من الكتاب ولا العقل في التعيين

(١) جامع البيان (٦/٤٥٩-٤٦٣) ، وتحقيق شاكر (٤٤٧/١٤) .

(٢) هو أبو عبد الله ، بريدة بن الحصيب الأسلمي ، صحابي أسلم قبل بدر ولم يشهدا ، وشهد خيبر وفتح مكة ، واستعمله  
النبي ﷺ - على صدقات قومه ، توفي بمرو سنة ثلاث وستين . انظر تهذيب التهذيب (١/٢١٩) .

(٣) جامع البيان (٧/٦٣٦-٦٣٧) .

ثم تبين له -رحمه الله- في الآية التالية تعيين من نزلت فيه بدلالة السياق : فقال في قوله -تعالى- : ﴿وَلَا تَنخِذُوا يَمِينَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَسْوَأَ الَّذِي كُنْتُمْ عَدَابُكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ٩٤] "... وهذه الآية تدل على أن تأويل بريدة - الذي ذكرنا عنه في قوله : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل: ٩١] والآيات التي بعدها ، أنه عُنِيَ بذلك : الذين بايعوا رسول الله -ﷺ- على الإسلام ، عن مفارقة الإسلام لقله أهله ، وكثرة أهل الشرك - هو الصواب ، دون الذي قال مجاهد أنهم عنوا به <sup>(١)</sup> ؛ لأنه ليس في انتقال قوم تحالفوا عن حلفائهم إلى آخرين غيرهم صد عن سبيل الله ولا ضلال عن الهدى ، وقد وصف -تعالى ذكروه- في هذه الآية فاعلي ذلك : أنهم باتخاذهم الأيمان دخلاً بينهم ونقضهم الأيمان بعد توكيدها ، صادون عن سبيل الله ، وأهم أهل ضلال في التي قبلها ، وهذه صفة أهل الكفر بالله ، لا صفة أهل الثقله بالحلف عن قوم إلى قوم . " <sup>(٢)</sup>

فهذه الآية الماضية ترجح أن سبب نزول الآية التي قبلها في المشركين ، وبهذه الدقة في مراعاة السياق يكون ترجيح لسبب نزول ماض ، وقد توصل الإمام إليه لَمَّا راعى في الفهم الآيات كلها بنظرة شمولية ، والآيات منتظمة ترتيباً دقيقاً معجزاً ، فأثبت بالحجة والبرهان ، أن الآية في الكفار لا في المسلمين ؛ لشدة الوعيد ووصفهم بالصد عن سبيل الله ، وهذا لا يكون في التحول من حلف قوم إلى آخرين <sup>(٣)</sup> .

وقد يكون السياق دالاً على أن الحديث النبوي قد لا يدخل في تفسير الآية: ففي قوله

(١) قول مجاهد هو : "كانوا يخالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعزّ ، فينقضون حلف هؤلاء ، ويخالفون هؤلاء الذين هم أعزّ منهم ، فنهوا عن ذلك " . جامع البيان (٦٣٨/٧) .

(٢) جامع البيان (٦٤٠/٧) .

(٣) وانظر مواضع أخرى في : النساء (٦٥) ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النحل: ٦٥] جامع البيان (١٦٢/٤-١٦٣) ، والمائدة (٩٧-٩٨) ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكُفْرَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ فِيمَا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْمَدِينَةَ وَقَلْبَهُ عَلَىٰ الْأَعْيُنِ وَأَنزَلَ الْوَحْيَ فِيهَا فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ كَافِرِينَ﴾ [النحل: ١٠٧] جامع البيان (٩٧-٩٦/٨) ، والصف (٣-١) ﴿سَجَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ١٠١] جامع البيان (٨١-٧٩/١٢) .

تعالى - : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ۝٣٨ وَكُلًّا صَبَّأْنَاهُ الْأَمْتَلُ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا ۝٣٩ ﴾ [الفرقان: ٣٨ - ٣٩] قال - رحمه الله - : "...واختلف أهل التأويل في أصحاب الرسّ : فقال بعضهم : أصحاب الرسّ من ثمود... وقال آخرون : بل هي قرية من اليمامة يقال لها الفلج... قال قتادة : الرسّ : قرية من اليمامة يقال لها : الفلج ، وقال عكرمة : أصحاب الرسّ بفلج هم أصحاب يسس ، وقال آخرون : هم قوم رسّوا نبيهم في بئر... وقال آخرون : هي بئر كانت تسمى الرسّ..."

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : قول من قال : هم قوم كانوا على بئر ، وذلك أن الرسّ في كلام العرب : كلّ محفور ، مثل : البئر ، والقبر ، ونحو ذلك... ولا أعلم قوماً كانت لهم قصة بسبب حفرة ، ذكرهم الله في كتابه ، إلا أصحاب الأخدود ، فإن يكونوا هم المعنيين بقوله : ﴿ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ ﴾ فإننا سندكر خبرهم - إن شاء الله - إذا انتهينا إلى سورة البروج ، وإن يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خبراً ، إلا ما جاء من جملة الخبر عنهم أنهم قوم رسّوا نبيهم في حفرة . إلا ما... قال رسول الله - ﷺ - : «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ»<sup>(١)</sup> . وذلك أن الله - تبارك وتعالى - بعث نبياً إلى أهل قرية فلم يؤمن من أهلها أحد إلا ذلك الأسود ، ثم إن أهل القرية عدوا على النبي - عليه السلام - ، فحفروا له بئراً فألقوه فيها ، ثم أطبقوا عليه بحجر ضخيم ، قال : وكان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره ، ثم يأتي بحطبه فيبيعه ، فيشتري به طعاماً وشراباً ، ثم يأتي به إلى ذلك البئر ، فيرفع تلك الصخرة ، فيعينه الله عليها ، فيدلي إليه طعامه وشرابه ، ثم يعيدها كما كانت ، قال : فكان كذلك ما شاء الله أن يكون . ثم إنه ذهب يوماً يحتطب ، كما كان يصنع ، فجمع حطبه ، وحزم حزمته وفرغ منها ، فلما أراد أن يحتملها وجد سِنَّةً ، فاضطجع فنام ، فضرب الله على أذنه سبع سنين نائماً ، ثم إنه هبّ فتمطى ، فتحول لشقة الآخر ، فاضطجع ، فضرب الله على أذنه سبع سنين

(١) سند ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي ورفعه ، قال ابن كثير - رحمه الله - " وفيه غرابة ونكارة ، ولعلّ فيه إدراجاً " . تفسير القرآن العظيم (١٢٠/٦) طبع الشعب ، وانظر تحقيق التركي ٤٥٥/١٧ ، ويضاف لذلك أن الحديث مرسل منقطع ، فمحمد بن كعب تابعي ، وقد كان أبوه كعب من سبي بني قريظة ، قيل : ولد محمد بن كعب في حياة النبي - ﷺ - ولم يصحّ ذلك ، وتوفي ثمان ومائة . انظر سير أعلام النبلاء . (٦٥/٥) .

أخرى . ثم إنه هبّ فاحتمل حزمته ، ولا يحسب إلا أنه نام ساعة من نهار ، فجاء إلى القرية فباع حزمته ، ثم اشترى طعاماً وشراباً كما كان يصنع ، ثم ذهب إلى الحفرة في موضعها التي كانت فيه فالتمسه فلم يجده ، وقد كان بدا لقومه فيه بداء ، فاستخرجوه وآمنوا به وصدّقه ، قال : فكان النبيّ -عليه السلام - يسألهم عن ذلك الأسود : ما فعل ؟ فيقولون: ما ندري ، حتى قبض الله النبيّ ، فأهّب الله الأسود من نومته بعد ذلك ، فقال رسول الله -ﷺ- : «إِنَّ ذَلِكَ الْأَسْوَدَ لِأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup> .

غير أن هؤلاء في هذا الخبر يذكر محمد بن كعب عن النبيّ -ﷺ- - أنهم آمنوا بنبيهم واستخرجوه من حفرتهم ، فلا ينبغي أن يكونوا المعنيين بقوله : ﴿وَأَمَّصَبَ الرِّسْنَ﴾ ؛ لأن الله أخبر عن أصحاب الرّسّ أنه دمرهم تدميراً ، إلا أن يكونوا دمرّوا بأحداث أحدثوها بعد نبيهم الذي استخرجوه من الحفرة وآمنوا به ، فيكون ذلك وجهاً .<sup>(٢)</sup>

فالحديث المرفوع - إن ثبت - فيه إثبات إيمان من رسوا نبيهم ، ثم آمنوا بالعبد الأسود بعد موت نبيهم ؛ ولكن الآية تثبت وقوع العذاب عليهم وتدميرهم لما كذبوا الرسل ، فالظاهر أن الحديث ليس مفسراً للآية لعدم تطابقهما في المعنى ، إلا على وجه من التأويل فيقال : إنهم آمنوا فنجاهم الله ثم أمهلهم حتى عصوا ثم وقع عليهم العذاب بعد ذلك . والله أعلم.

(١) سبق تخريجه آنفاً .

(٢) جامع البيان (٩/٣٨٩-٣٩١) .

## المبحث الثاني :

### ترجيح سبب النزول لا يعني تخصيص الآية به بل يدخل من يشابهه :

وهذا من باب التأكيد لهذه المسألة وقد سبق بيانها بالتفصيل في مبحث مستقل<sup>(١)</sup>.

ومن الأمثلة على ذلك مع ذكر أسباب النزول : قوله -تعالى- : ﴿ هَذَانِ حَصَمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَيْبِهِمُ الْقَالِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ [الحج: ١٩] الآية<sup>(٢)</sup> قال -رحمه الله- : " اختلف أهل التأويل في المعنى بهذين الخصمين اللذين ذكرهما الله ، فقال بعضهم : أحد الفريقين : أهل الإيمان ، والفريق الآخر: عبدة الأوثان من مشركي قريش الذين تبارزوا يوم بدر [كما قال أبو ذر] ... وقال آخرون : ممن قال أحد الفريقين فريق الإيمان : بل الفريق الآخر أهل الكتاب... وقال آخرون منهم : بل الفريق الآخر الكفار كلهم من أي ملة كانوا... وقال آخرون : الخصمان اللذان ذكرهما الله في هذه الآية : الجنة والنار..."

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب وأشبهها بتأويل الآية : قول من قال : عُني بالخصمين : جميع الكفار من أي أصناف الكفر كانوا ، وجميع المؤمنين . وإنما قلت ذلك أولى بالصواب ؛ لأنه - تعالى ذكره - ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه : أحدهما أهل طاعة له بالسجود له ، والآخر : أهل معصية له ، قد حق عليه العذاب ، فقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ [الحج: ١٨] ثم قال : ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ [الحج: ١٨] ، ثم أتبع ذلك صفة الصنفين كليهما وما هو فاعل بهما ، فقال : ﴿ فَأَلَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ وقال الله :

(١) انظر : تعيين من نزل بهم الخطاب لا يعني تخصيصهم بل يدخل من يشابههم ، صفحة (٢٣٦) وما بعدها .

(٢) ويكتمل الحديث عن الفريقين في سورة الحج إلى الآية (٢٤) ﴿ وَهَدَّوْا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ -والله أعلم -.

(٣) المبارزين من كفار قريش : عتبة بن ربيعة ، وأخوه شيبه ، والوليد بن عتبة ، ومن المؤمنين : عبيدة بن الحارث ، وحمزة بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، فقتل المشركون ، وسلم المسلمون ، وأُتخِنَ عبيدة بالجراح . انظر السيرة النبوية لابن



﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الحج: ٢٣]، فكان بيننا بذلك أن ما بين ذلك خبر عنهما . فإن قال قائل : فما أنت قائل فيما روي عن أبي ذرّ في قوله : إن ذلك نزل في الذين بارزوا يوم بدر ؟ . قيل : ذلك إن شاء الله كما روي عنه ، ولكن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب ، ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب . وهذه من تلك ، وذلك أن الذين تبارزوا إنما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله ، والآخر أهل إيمان بالله وطاعة له ، فكل كافر في حكم فريق الشرك منهما في أنه لأهل الإيمان خصم ، وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الإيمان منهما في أنه لأهل الشرك خصم .<sup>(١)</sup>

فذهب إلى أن المراد بالخطاب : العموم في الكفار والمؤمنين ، بدليل السباق واللاحق : فقد ذكر الله -تعالى- قبلها أن من الناس من يسجد لله بالعبادة ومن لا يسجد ، وذكر بعدها جزاء الكفار بالنار ، وجزاء المؤمنين بالجنة ، فدل على العموم ، وإن قيل بنزولها في أحد معيّن ، فلا مانع من دخول من هم على شاكلته .

(١) جامع البيان (١٢٣/٩-١٢٥) . ومثله في البقرة (٢٠٥) ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَكَئِ فِي الْأَرْضِ لِئُسْهِدَ فِيهَا وَنُهَلَكَ الْحَرْتِ وَالسَّلْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [٢٠٥] جامع البيان (٣٢٩/٢-٣٣٠) .

### المبحث الثالث : ترجيح تعيين المخاطب بالآيات السابقة أو اللاحقة :

ففي قوله -تعالى- : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [البقرة: ٦] قال -رحمه الله- : " اختلف أهل التأويل فيمن عُني بهذه الآية ، وفي من نزلت : فكان ابن عباس يقول... : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي : بما أنزل إليك من ربك ، وإن قالوا : إنا قد آمننا بما قد جاءنا من قبلك . وكان ابن عباس يرى أن هذه الآية نزلت في : اليهود الذين كانوا بنواحي المدينة ، على عهد رسول الله -ﷺ- ، تويخاً لهم في جحودهم نبوة محمد -ﷺ- ، وتكذيبهم به ، مع علمهم به ، ومعرفتهم بأنه رسول الله -ﷺ- - إليهم وإلى الناس كافة . [وورد عنه قول آخر : أن النبي -ﷺ- كان: يحرص على إيمان جميع الناس ، فأخبره الله : أنه لا يؤمن إلا من كتب له ذلك ، ولا يضل إلا من كتب عليه ذلك ، وقال آخرون : إنما في قادة الأحزاب ، ثم رجح الإمام القول الأول : أنها في المنافقين ، وإن كان للأقوال الأخرى مذهب ، ولكل منها توجيه ثم قال] : وأما علتنا في اختيارنا... فهي أن قول الله -جل ثناؤه- : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ عقيب خبر الله -جل ثناؤه- عن مؤمني أهل الكتاب ، وعقيب نعتهم وصفتهم ، وثناؤه عليهم بإيمانهم به وبكتبه ورسله ، فأولى الأمور بحكمة الله ، أن يتلى ذلك الخبر عن كفارهم ونعوتهم ، وذم أسباجهم وأحوالهم ، وإظهار شتمهم ، والبراءة منهم ؛ لأن مؤمنهم ومشركيهم ، وإن اختلفت أحوالهم في اختلاف أديانهم ، فإن الجنس يجمع جميعهم بأنهم بنوا إسرائيل . " (١)

فلما كان الحديث السابق عن مؤمني أهل الكتاب ، فاللائق بالسياق والحكمة في الكلام ، أن يتبع بالفريق المقابل لهم : وهم الكافرون والمنافقون من بني إسرائيل ؛ لأن الذي يربط اختلاف معتقداتهم هو نسبهم إلى إسرائيل -عليه السلام- .

وفي قوله -تعالى- : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١] قال أبو جعفر : " اختلف أهل التأويل في السبب الذي أنزلت هذه الآية فيه : فقال

(١) انظر جامع البيان (١/١٤١-١٤٢) ، وتحقيق شاكر (١/٢٥١) .

بعضهم : أنزلت في قوم قالوا على عهد النبي - ﷺ - : إنا نحب ربنا ، فأمر الله - جلّ وعزّ - نبيّه محمداً - ﷺ - أن يقول لهم : إن كنتم صادقين فيما تقولون فاتبعوني ، فإن ذلك علامة صدقكم فيما قلتم من ذلك... [عن] الحسن يقول : قال قوم على عهد النبي - ﷺ - : يا محمد : إنا نحب ربنا ! . فأنزل الله - عزّ وجلّ - : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ فجعل أتباع نبيّه محمداً - ﷺ - - علماً لحبه وعذابه من خالفه... وقال آخرون : بل هذا أمر من الله نبيّه محمداً - ﷺ - أن يقول لوفد نجران الذين قدموا عليه من النصارى : إن كان الذي تقولونه في عيسى من عظيم القول ، إنما تقولونه تعظيماً لله وحباً له ، فاتبعوا محمداً - ﷺ - . . . عن محمد بن جعفر بن الزبير <sup>(١)</sup> : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ أي : إن كان هذا من قولكم - يعني : في عيسى - ، حباً لله ، وتعظيماً له ، ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ أي : ما مضى من كفركم ، ﴿ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

قال أبو جعفر : وأولى القولين بتأويل الآية ، قول محمد بن جعفر بن الزبير ؛ لأنه لم يجر لغير وفد نجران في هذه السورة ، ولا قبل هذه الآية ذكر قوم ادّعوا أنهم يحبون الله ، ولا أنهم يعظمونه ، فيكون قوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ جواباً لقولهم على ما قاله الحسن . وأما ما روى الحسن في ذلك مما قد ذكرناه ، فلا خبر به عندنا يصحّ ، فيجوز أن يقال : إن ذلك كذلك ، وإن لم يكن في السورة دلالة على أنه كما قال . إلا أن يكون الحسن أراد بالقوم الذين ذكر أنهم قالوا ذلك على عهد رسول الله - ﷺ - : وفد نجران من النصارى ، فيكون ذلك من قوله نظير اختيارنا فيه ، فإذا لم يكن بذلك خبر على ما قلنا ، ولا في الآية دليل على ما وصفنا ، فأولى الأمور بنا أن نلحق تأويله بالذي عليه الدلالة من آي السورة ، وذلك هو ما وصفنا ؛ لأن ما قبل هذه الآية من مبتدأ هذه السورة وما بعدها خبر عنهم ، واحتجاج من الله لنبيه محمد - ﷺ - ، ودليل على بطول قولهم في

(١) هو محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي المدني ، شيخ ابن إسحاق في أخباره ، وكان فقيهاً عالماً ، وثقته

النسائي ، وذكره ابن حبان في الثقات ، توفي بين عشرٍ ومائة إلى عشرين ومائة . انظر تهذيب التهذيب (٣/٥٣٠) .

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٢٨) ، وقد حكى قصة الوفد من رواية محمد بن جعفر بن الزبير هذا .

المسيح، فالواجب أن تكون هي أيضاً مصروفة المعنى إلى نحو ما قبلها، ومعنى ما بعدها .<sup>(١)</sup> فالسياق كلام متتابع على نظام واحد لا يجيد عنه الكلام إلا بدليل منه ، أو بحديث نبوي، أو بسبب نزول صحيح ، وهذه الآيات من سورة آل عمران نزلت في وفد نصارى نجران ، والآية التي نحن بصددنا واقعة في ثنايا الحديث عن النصارى ومجادلتهم، فالقول بلا حجة ، ونسبته لغير المتحدث فيه يضعفه السياق؛ لأن الأصل اتصال السياق .

وفي قوله -تعالى- : ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣] قال أبو جعفر : " اختلف أهل التأويل في الذين عُنيوا بقوله : ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ فقال بعضهم : عُني بقوله : ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ﴾ أهل الإسلام... وقال آخرون : بل عنى الله بقوله : ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ : أهل الشرك به من عبدة الأوثان... عن مجاهد في قوله : ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ قال : قريش ، قالت : لن نُبعث ولن نُعذب... وقال آخرون : عُني به أهل الكتاب خاصة...

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب في ذلك : ما قال مجاهد ، من أنه عنى بقوله : ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ﴾ مشركي قريش . وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ؛ لأن المسلمين لم يجر لأمانيتهم ذكر فيما مضى من الآي قبل قوله : ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ﴾ ، وإنما جرى ذكر أمانيت نصيب الشيطان المفروض ، وذلك في قوله : ﴿وَلَا صَلَاتِهِمْ وَلَا مُعِينَتِهِمْ وَلَا مَرْئِيَّتَهُمْ فَلَيَبْتَئِكُنَّ مَا آذَاتِ الْأَنْعَامِ﴾ [النساء: ١١٩] وقوله : ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُؤْتِيهِمْ﴾ [النساء: ١٢٠] فالحاق معنى قوله -جل ثناؤه- : ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ﴾ بما قد جرى ذكره قبل أحق وأولى من ادعاء تأويل فيه ، لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل ، ولا أثر عن الرسول -ﷺ- ، ولا إجماع من أهل التأويل . وإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية إذن : ليس الأمر بأمانيتكم يا معشر أولياء الشيطان وحزبه ، التي يمينكموها وليكم عدواً لله ، من إنقاذكم ممن أرادكم بسوء ، ونصرتكم عليه ، وإظفاركم به ، ولا أمانيت أهل الكتاب الذين قالوا اغتراراً بالله وبحلمه عنهم : ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَنْتِنَا مَا مَعْدُوهُ﴾ [البقرة: ٨٠] ، و ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ [البقرة:

(١) جامع البيان (٢٩٠/٣) ، وتحقيق شاكر (٣٢٢/٦) .

[١١١] ، فإن الله مجازي كل عامل منكم جزاء عمله ، من يعمل منكم سوءاً ومن غيركم يجر به ، ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة . ومما يدل على صحة ما قلنا في تأويل ذلك ، وأنه عني بقوله : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ ﴾ مشركو العرب كما قال مجاهد ، أن الله وصف وعد الشيطان ما وعد أوليائه ، وأخبر بحال وعده ، ثم أتبع ذلك بصفة وعده الصادق بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا ﴾ [النساء: ١٢٢] وقد ذكر -جل ثناؤه- مع وصفه وعد الشيطان أوليائه ، تمنيته إياهم الأمان ، بقوله : ﴿ يَوْمَهُمْ وَيُمْنِهِمْ ﴾ كما ذكر وعده إياهم ، فالذي هو أشبه : أن يتبع تمنيته إياهم من الصفة ، بمثل الذي أتبع عدته إياهم به من الصفة . وإذا كان ذلك كذلك صح أن قوله : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ ﴾ الآية ، إنما هو خبر من الله عن أمانى أولياء الشيطان ، وما إليه صائرة أمانيتهم ، مع سيئ أعمالهم من سوء الجزاء ، وما إليه صائرة أعمال أولياء الله من حسن الجزاء . وإنما ضم -جل ثناؤه- أهل الكتاب إلى المشركين في قوله : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ ؛ لأن أمانى الفريقين من تمنية الشيطان إياهم التي وعدهم أن يمنهموها بقوله : ﴿ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَنَّتْهُمْ وَلَا مَرَّتْهُمْ ﴾ .<sup>(١)</sup>

فابن جرير -رحمه الله- يرى أن السياق لم يذكر المسلمين ، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وقد ذكر آخرون أن سياق الآيات في المسلمين لا المشركين ، ويدل لذلك قصة نزول الآية ، وشكوى الصحابة للنبي -ﷺ- ، والسورة مدنية لا مكية ، وممن ذهب لذلك : مقاتل ، وصاحب

(١) جامع البيان (٤/٢٨٧-٢٩١) ، وتحقيق شاکر (٩/٢٢٨) . وانظر مواضع أخرى في : النساء (١٦٣-١٦٦) ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَلِمًا أَوحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ الآيات جامع البيان (٤/٣٦٦-٣٧٠) ، والنحل (١١٤) ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلْالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُفْرَ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿ ١٣٧ ﴾ جامع البيان (٧/٦٥٧) ، والإسراء (٧٦) ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿ ١٧٦ ﴾ جامع البيان (٨/١٢١-١٢٢) ، والكهف (٩) ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَبَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا ﴾ ﴿ ١٠ ﴾ جامع البيان (٨/١٧٩-١٨٠) .

الجلالين ، وابن تيمية ، وأصحاب التفسير الميسر وغيرهم .  
يقول ابن تيمية : " والأول [أنها في المسلمين وأهل الكتاب] أشهر في النقل وأظهر في الدليل :  
لأن السورة مدنية بالاتفاق ، فالخطاب فيها مع المؤمنين كسائر السور المدنية .  
وأيضاً فإنه قد استفاض من وجوه متعددة أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوًّا بُجِرَ بِهِ ﴾ [النساء: ١٢٣] شق ذلك على أصحاب النبي - ﷺ - حتى بين لهم النبي - ﷺ - أن مصائب الدنيا من الجزاء ، وبها يجزى المؤمن ، فعلم أنهم مخاطبون بهذه الآية لا مجرد الكفار .  
وأيضاً قوله بعد هذا : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ [النساء: ١٢٤] الآية ، وقوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا ﴾ [النساء: ١٢٥] يدل على أن هناك تنازعا في تفضيل الأديان لا مجرد إنكار عقوبة بعد الموت .  
وأيضاً فما قبلها وما بعدها خطاب مع المؤمنين وجواب لهم ، فكان المخاطب في هذه الآية هو المخاطب في بقية الآيات " .<sup>(١)</sup>

(١) مجموع الفتاوى (٤٢٦/١٤) وما بعدها .

## المبحث الرابع : موضع لم يرجح فيه الإمام الأرحج من أسباب النزول:

في قوله -تعالى- : ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿١٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨] قال -رحمه الله-: "...وقوله : ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ يقول -جل ثناؤه- لنبيه -ﷺ- : ولا تصرف عينك عن هؤلاء الذين أمرتك يا محمد أن تصبر نفسك معهم إلى غيرهم من الكفار ، ولا تجاوزهم إليه ...

وقوله : ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يقول -تعالى- ذكره -لنبيه -ﷺ- : لا تعد عينك عن هؤلاء المؤمنين الذين يدعون ربهم إلى أشرف المشركين ، تبغي بمجالستهم الشرف والفخر ، وذلك أن رسول الله -ﷺ- - أتاه فيما ذكر قوم من عظماء أهل الشرك ، وقال بعضهم : بل من عظماء قبائل العرب ممن لا بصيرة لهم بالإسلام ، فأروه جالساً مع حَبَّاب<sup>(١)</sup> ، وصهيب<sup>(٢)</sup> ، وبلال<sup>(٣)</sup> ، فسألوه أن يقيمهم عنه إذا حضروا ، قالوا : فهم رسول الله -ﷺ- ، فأنزل الله عليه : ﴿وَلَا تَطْرُقِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ

- (١) هو أبو يحيى ، أو أبو عبد الله ، حَبَّاب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي ، كان قيناً يعمل السيوف ، من نجباء السابقين ، عذب على إسلامه ، شهد بدرًا والمشاهد ، عاش سبعاً وسبعين سنة ، وتوفي بالكوفة ، سنة سبع وثلاثين ، وصلى عليه علي بن أبي طالب . انظر سير أعلام النبلاء (٣٢٣/٢) ، والإصابة (١٠١/٢) ، والأعلام (٣٤٤/٢) .
- (٢) هو أبو يحيى ، صهيب بن سنان بن مالك ، من بني النمر بن قاسط ، الرومي ؛ لسي الروم له مدة ، كان أبوه أو عمه من أشرف الجاهليين ، ولاءه كسرى على الأبلّة منازل قومه قرب الموصل ، وبها ولد صهيب ، أغارت الروم فسبته صغيراً ، فعاش بينهم فكان ألكن ، واشتري فجيء به مكة ، ثم أعتقه عبد الله بن جدعان الجاهلي ، فكان يحترف التجارة ، وكان من أرمى العرب سهماً ، صحب النبي قبل أن يوحى إليه ، وهو من السابقين ، ولما جاءت الهجرة ترك ماله كله ، فقال النبي -ﷺ- : "ريح صهيب ، ريح صهيب" شهد بدرًا والمشاهد ، أنابه عمر لما طعن للصلاة بالناس حتى يختار خليفة ، توفي سنة ثمان وثلاثين . انظر سير أعلام النبلاء (١٧/٢) ، والإصابة (٢٥٤/٣) ، والأعلام (٣٠٢/٣) .
- (٣) هو أبو عبد الله ، بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق ، وهو مؤذن رسول الله -ﷺ- ، وخازنه على بيت ماله ، من السابقين إلى الإسلام ، عذب فكان يقول : أحدٌ أحدٌ ، شهد بدرًا ، وشهد له الرسول بالجنة ، عاش على الصحيح بضعا وستين سنة ، يقال : إنه حبشي ، وقيل من مولدي الحجاز ، توفي بدمشق ، سنة عشرين ، وقيل غير ذلك . انظر سير أعلام النبلاء (٣٤٧/١) ، والإصابة (١٧٠/١) ، والأعلام (٤٩/٢) .

وَالْمَشِي يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴿الأنعام: ٥٢﴾ ثم كان يقوم إذا أراد القيام ، ويتركهم قعوداً ، فأُنزل الله عليه: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقَدْرَةِ وَالْمَشِي﴾ الآية ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقَدْرَةِ وَالْمَشِي﴾ يريد زينة الحياة الدنيا : مجالسة أولئك العظماء الأشراف...

عن ابن جريج ، قال : أخبرت أن عيينة بن حصن <sup>(١)</sup> قال للنبي ﷺ - قبل أن يُسلم : لقد آذاني ريح سلمان الفارسي، فاجعل لنا مجلساً منك لا يجامعوننا فيه ، واجعل لهم مجلساً لا نجتمعهم فيه ، فنزلت الآية <sup>(٢)</sup>...

عن سلمان الفارسي قال : جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ - عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس <sup>(٣)</sup> ، وذووهم ، فقالوا : يا نبي الله ، إنك لو جلست في صدر المسجد ، ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم ، يعنون سلمان ، وأبا ذر <sup>(٤)</sup> وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف ، ولم يكن عليهم غيرها ، جلسنا إليك وحادثناك ، وأخذنا عنك فأُنزل الله :

(١) هو أبو مالك ، عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، من زعماء غطفان ، كان اسمه حذيفة فأصيب في عينه فسُمي عيينة ، من المؤلفة قلوبهم ، أعطاه النبي ﷺ - مائة من الإبل يوم حنين كما أخرج ذلك البخاري في صحيحه ، ثم ارتدّ واتبع طليحة حين تنبأ، وأتى به أبا بكر أسيراً ، فمنّ عليه . انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٢٦ و٢٩٤ و٣٠١) ، والمعارف صفحة (٣٠٢-٣٠٤) ، والإصابة (٥٥/٥) .

(٢) سند الحديث قال ابن جرير : حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال ثني حجاج ، عن عكرمة قال : أخبرت . وهذا إسناد منقطع ؛ لجهالة من أخبر عكرمة ، هل هو صحابي أم تابعي ؟! ، وهناك أحاديث أخرى ضعيفة في المعنى نفسه ، إلا أن المفسرين قد أجمعوا على ذكر هذا السبب ، فيقال به ؛ لإجماع المفسرين على المعنى الذي دل عليه الحديث ، كما يشهد له سياق الآيات . انظر المحرر في أسباب النزول للدكتور خالد المزيبي (٢/٦٨٤) .

(٣) هو الأقرع بن حابس بن عقّال الجاشعي الدارمي التميمي ، كان أفرع الرأس ، من سادات العرب في الجاهلية ، دان بالمجوسية ثم أسلم مع وفد بني دارم من تميم ، له عشرة من الولد ، أعطاه النبي ﷺ - مائة من الإبل يوم حنين تألفاً كما أخرج ذلك البخاري في صحيحه ، شهد حنيناً والطائف ، كان مع خالد بن الوليد في الوقائع حتى اليمامة، استشهد بالجوزجان ، سنة إحدى وثلاثين. انظر المعارف صفحة (٣٤٢ و٥٧٩ و٦٢١) ، والإصابة (١/٨٥) ، والأعلام (١/٣٤٣) .

(٤) قيل هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد الغفاري ، قصة إسلامه في الصحيح مشهورة ، استعمله النبي ﷺ - على المدينة غزوة بني المصطلق ، توفي سنة اثنتين وثلاثين . انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٥٢) و(٣/٣٠٢) ، والإصابة (٧/٦٠) ، وشذرات الذهب (١/٣٩) ، والأعلام (٢/١٣٦) .



﴿ وَأَتْلُ مَا أُرْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجْعَدَ مِنْ دُونِهِ مَلْتَحَمًا ۗ ﴾ [الكهف: ٢٧] حتى بلغ: ﴿ إِنَّا آتَيْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَزَيَّنَّا لَكُمُ الْبَصَائِرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الكهف: ٢٩] يتهددهم بالنار ، فقام نبي الله - ﷺ - يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله ، فقال : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُمْتِنِي حَتَّىٰ أَمْرَنِي أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَ رِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي ، مَعَكُمْ الْمَحْيَا وَمَعَكُمْ الْمَمَاتُ »<sup>(١)</sup> .

وقوله : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ [الكهف: ٢٨] يقول - تعالى ذكره - لنبيه - ﷺ - : ولا تطع يا محمد من شغلنا قلبه من الكفار ، الذين سألوك طرد الرهط ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ رِجْلَهُمْ بِالغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ ﴾ عنك عن ذكرنا بالكفر وغلبة الشقاء عليه ، واتبع هواه ، وترك اتباع أمر الله ونهيه ، وأثر هوى نفسه على طاعة ربه ، وهم فيما ذكر : عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، وذووهم...<sup>(٢)</sup>

ففي قول سلمان - ﷺ - : أهم المؤلفة قلوبهم ، تناقض مع الآية التي وصفتهم بأنهم : أغفلت قلوبهم عن ذكر الله ، واتبعوا أهوائهم وأمرهم إلى ضياع في قوله : ﴿ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ ، فهذه صفات الكفار ، كما بيّن الإمام الطبري - رحمه الله - معناها ، والمؤلفة قلوبهم مسلمون ، إلا أن يكون المراد بالمؤلفة قلوبهم أناس قبل دخولهم الإسلام فيكون لذلك وجه محتمل - والله أعلم - .

هذه بعض المواضع التي تدرج تحت هذا الأثر ، وقد تبين أن الواجب تمحيص سبب النزول وتأمله مع نص الآية وسياقها فلا يقال بدخول مسلم في سياق الكفار ولا العكس ، ثم لا مانع من إدخال من شابه من نزلت فيه الآيات ؛ لأن القرآن أنزل للعالمين ، وظهر جلياً أثر السياق في هذا التمحيص والتدقيق ، وفي ترجيح المناسب الموافق لسياق الآيات . - والله أعلم - .

(١) أخرجه ابن مردويه ، وأبو نعيم ، والبيهقي في شعب الإيمان ، وأبو الشيخ من طريق سليمان بن عطاء عن مسلمة به ، وإسناده ضعيف ، بسبب سليمان بن عطاء الجزري قال ابن حجر في التقریب : " منكر الحديث " ، تقریب التهذيب صفحة (٣٢٨/١) ، وانظر أسباب النزول للواحدي صفحة (٢٩٧-٢٩٨) ، وفي مجمع الزوائد (٢١/٧) قال عبد الرحمن بن سهل بن حنيف : " نزلت هذه الآية على النبي - ﷺ - وهو في بعض آياته ، وفيه قال - ﷺ - : " الحمد لله الذي جعل في أمي من أمرني أن أصبر نفسي معهم " . رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، وانظر تفسير ابن كثير (٧٩/٣) ، والصواب أنه مرسل فعبد الرحمن بن سهل تابعي وليس بصحابي .

(٢) جامع البيان (٨/٢١٤-٢١٥) .



## الفصل الثالث

أثر دلالة السياق في  
إظهار تناسب الآيات وتربطها :

## الفصل الثالث : أثر دلالة السياق في إظهار تناسب الآيات وارتباطها:

علم المناسبات علم عظيم ، يثمر ربط كلام الله -عزّ وجلّ- بعضه ببعض ، ويعين على فهم الآية ، ويظهر إعجاز القرآن ، وأنه مترل من حكيم عليم قال تعالى: ﴿الرَّكُنْتُ أُحْكِمْتُ أَيْنَهُ ثُمَّ فَهِمْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١].

**والمناسبة في اللغة :** المقاربة ، وفلان يناسب فلاناً أي : يقرب منه ويشاكله ، ومنه النسب ، الذي هو : القريب المتصل ، كالأخوين وابن العم ونحوه ، وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما ، وهو القرابة .

**والمناسبة :** أمر معقول ، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول ، وكذلك المناسبة بين فواتح الآي وخواتيمها .

**وفائدة علم المناسبات :** جعل أجزاء الكلام آخذ بعضها بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال الأكيد البناء المحكم المتلائم الأجزاء . قال بعض الأئمة من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ؛ لئلا يكون منقطعاً<sup>(١)</sup>.

**وقد ثبت بالاستقراء :** أن التناسب بين سور القرآن الكريم موجود ، وألفت فيه مؤلفات منها: البرهان في تناسب سور القرآن لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي<sup>(٢)</sup> ، وتناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي -رحمه الله- ، وإذا ثبت هذا فالمناسبات بين الآيات ، وتعلّق بعضها ببعض وجوده من باب الأولى ، حتى إن المتأمل لكلام الله -عزّ وجلّ- يظهر له أن القرآن كله كالمقطع الواحد المترابط المتناسب الآخذ بعضه برقاب بعض .

**ومن محاسن المناسبات :** أنها تساعد على حسن التفسير ، ودقة الفهم ، وعدم مراعاة المناسبات يوقع المفسر في الخطأ عند تفسير الآيات .

(١) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/١٣١-١٣٦) .

(٢) توفي سنة ٧٠٨ هـ ، وقد حقق الكتاب الدكتور سعيد بن جمعة الفلاح ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠٨ هـ .

ومن اهتم بالمناسبات في تفسيره :

برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي - رحمه الله - ، المتوفى سنة خمس وثمانين وثمانمائة للهجرة ، في تفسيره : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، وهو من أوسعها وأشملها ، وإن كان فيه بعض التكلف .

وفخر الدين محمد بن عمر الرازي - رحمه الله - ، المتوفى سنة ست وستمائة للهجرة ، في تفسيره المسمى : التفسير الكبير ، أو مفاتيح الغيب .

ومن المعاصرين : سيد قطب - رحمه الله -<sup>(١)</sup> ، المقتول سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وألف للهجرة ، في تفسيره الذي أسماه : في ظلال القرآن .

وليس هناك فرق بين المناسبة والرابط فكل مناسبة رابط ، وكل ربط فهو مناسبة ، كما عبّر عن ذلك الزركشي - رحمه الله -<sup>(٢)</sup> .

ومن الأمثلة على : الربط بين الآيات المتتاليات ، عند ابن جرير - رحمه الله - : في قوله - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقَةً النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا قَرِينًا ﴾ [النساء: ٣٨] قال أبو جعفر : " يعني بذلك - جل ثناؤه - : وأعتدنا للكافرين بالله من اليهود الذين وصف الله صفتهم عذاباً مهيناً ، ﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقَةً النَّاسِ ﴾ ، ﴿ وَالَّذِينَ ﴾ في موضع خفض عطفاً على الكافرين . وقوله : ﴿ رِيقَةً النَّاسِ ﴾ يعني : ينفقه مراعاة الناس ، في غير طاعة الله أو غير سبيله ، ولكن في سبيل الشيطان ، ﴿ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ يقول : ولا يصدّقون بوحدانية الله ، ولا بالمعاد إليه يوم القيامة - الذي فيه جزاء الأعمال - أنه كائن... " <sup>(٣)</sup>

(١) هو سيد قطب بن الحاج قطب إبراهيم ، ولد ١٩٠٦م وبعد تخرجه زاول التدريس سنوات ، ثم أوفد إلى أمريكا للاطلاع على مناهج التعليم ، وله مؤلفات منها غير التفسير : التصوير الفني في القرآن ، ومعالم في الطريق ، أعدم سنة ١٩٦٦م ويوافق ١٣٨٨هـ ، انظر سيد قطب الشهيد الحي من الميلاد إلى الاستشهاد د. صلاح عبد الفتاح الخالدي .

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن (١/٣١ و١٣٦) .

(٣) جامع البيان (٤/٩٠) ، وتحقيق شاکر (٨/٣٥٦) .

وفي قوله -تعالى-: ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ۝٣٩ ﴾ [النساء: ٣٩] قال أبو جعفر: " يعني بذلك -جل ثناؤه-: وأي شيء على هؤلاء الذين ينفقون أموالهم رياء الناس، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾... " (١)

وفي قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠ ﴾ [النساء: ٤٠] قال أبو جعفر: " يعني بذلك -جل ثناؤه-: ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ﴾، فإن الله لا يبخس أحداً من خلقه أنفق في سبيله، مما رزقه من ثواب نفقته في الدنيا، ولا من أجرها يوم القيامة، ﴿ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ أي: ما يزنها ويكون على قدر ثقلها في الوزن، ولكنه يجازيه به، ويشبهه عليه... وإنما اخترنا [هذا التأويل]...؛ لموافقته الأثر عن رسول الله -ﷺ- مع دلالة ظاهر التنزيل على صحته، إذ كان في سياق الآية التي قبلها، التي حث الله فيها على النفقة في طاعته، وذم النفقة في طاعة الشيطان، ثم وصل ذلك بما وعد المنافقين في طاعته بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠ ﴾... " (٢)

وفي قوله -تعالى-: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ۝٤١ ﴾ [النساء: ٤١] قال أبو جعفر: " يعني بذلك -جل ثناؤه-: إن الله لا يظلم عباده مثقال ذرة، فكيف بهم ﴿ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ يعني: بمن يشهد عليها بأعمالها، وتصديقها رسلها، أو تكذيبها. " (٣)

وهكذا يظهر أن كل آية تلي أختها بينهما نسب وقرب، يكون إدراكه راجع إلى ما عند المفسر من دقة التأمل، وحسن التفكير، وكمال العلم بالتفسير، ولا مانع من تعدد المناسبات، فهي دالة على إعجاز هذا القرآن من أوجه متعددة بتعدد وجوه المناسبة. - والله أعلم - .

وسأعرض لأمثلة هذا الفصل من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول : علامات تظهر الترابط والتناسب بين الكلام .

(١) جامع البيان (٤/٩١)، وتحقيق شاكر (٨/٣٥٩).

(٢) تحقيق شاكر (٨/٣٥٩).

(٣) جامع البيان (٤/٩٠-٩٤)، وتحقيق شاكر (٨/٣٦٨).

- المبحث الثاني : الترابط والتناسب في الآية الواحدة .
- المبحث الثالث : المناسبات بين الآيات .
- المبحث الرابع : الربط بين مقاطع السورة .
- المبحث الخامس : التناسب والتقسيم .
- المبحث السادس : مناسبات إشارية .
- المبحث السابع : مواضع لم يذكر فيها الإمام الطبري - رحمه الله - الربط بين الآيات .

## المبحث الأول : علامات تظهر الترابط والتناسب بين الكلام :

سبق الحديث عن اتصال الكلام وأن له روابط تدل عليه <sup>(١)</sup> ، وهنا سأذكر هذه الروابط ونحوها مما كان له أثر من جهة إظهار تناسب الآيات وترابطها ، ومن هذه الروابط ما يلي :

### ١- القصة الواحدة :

أ- أحداث القصة مسوقة حسب وقوعها ، ومرتبة حسب سردها ، وما يساق فيها مرتب بعضه على بعض : مثال ذلك : قصة آدم - عليه السلام - مع الملائكة - عليهم السلام - في سورة البقرة ، وما كان من أمر الله بهبوط آدم وزوجه وإبليس : قال - تعالى : ﴿ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة: ٣٦] قال أبو جعفر : " يقال : هبط فلان أرض كذا ، ووادي كذا : إذا حلّ ذلك... وقد أبان هذا القول من الله - جلّ ثناؤه - عن صحة ما قلنا من أن المخرج آدم من الجنة هو الله - جلّ ثناؤه - ، وأن إضافة الله إلى إبليس ما أضاف إليه من إخراجهما ، كان على ما وصفنا ، ودلّ بذلك أيضاً على أن هبوط آدم وزوجته وعدوهما إبليس كان في وقت واحد ، بجمع الله إياهم في الخير عن إهباطهم بعد الذي كان من خطيئة آدم وزوجته ، وتسبب إبليس ذلك لهما ، على ما وصفه ربنا - جلّ ذكره - عنهم . " <sup>(٢)</sup>

فالمثال يظهر أن القصة مرتبة ، وأن خروج آدم معطوف على خطيئته حين أكل من الشجرة ، بعد نهي الله عنها ، وكان الخروج للثلاثة بدليل جمع الخطاب لهم في قوله : ﴿ اهْبِطُوا ﴾ .

ب- الأقوال في القصة الواحدة يُرجع الجواب في القصة على السؤال المقابل له منها : فما يكون في القصة من أقوال للرسول مع الأقوام ونحو ذلك ، هو في الواقع إجابة لفعل أو قول للآخر : ففي قوله - تعالى - : ﴿ وَيَنْقُورُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي الْأَرْضِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ

(١) انظر صفحة (١٥٩) وما بعدها .

(٢) جامع البيان (١/٢٧٧) ، وتحقيق شاكر (١/٥٣٤) . وانظر قوله تعالى في البقرة (٣١) : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ

عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ جامع البيان (١/٢٥٥-٢٥٦) .



قَرِيبٌ ﴿١٦﴾ [هود: ٦٤] قال أبو جعفر: " يقول -تعالى ذِكْرُهُ- مخبراً عن قيل صالح لقومه من ثمود إذ قالوا له: ﴿وَإِنَّا لَنَرِي سَلَكِ سَبِيلًا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبًا﴾ [هود: ٦٢] وسألوه الآية على ما دعاهم إليه: ﴿وَيَنْقُورُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾... " (١)

فكلام الله العزيز عن قصة صالح -عليه السلام- مع قومه ، وأنه قال : ﴿وَيَنْقُورُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءِ فِعْلِكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ ﴿١٦﴾ هو ردُّ على تكذيبهم السابق له وقولهم : ﴿وَإِنَّا لَنَرِي سَلَكِ سَبِيلًا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبًا﴾ ، وكذلك قصص الرسل مع أقوامهم ونحوهم ، يحكي واقع المواجهة والمجابهة والجدال والردود ، فإذا استحضرت القصة ، وجدت الأقوال فيها لها مرجع إلى قول سابق مناسب -والله أعلم- .

- وكذلك يكون الكلام في ختام القصة تعقيباً من الله -جل جلاله- على قول سبق للقوم الظالمين : ففي قوله -تعالى- : ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا يَمُوتُونَ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿١٧﴾ [الأعراف: ٩٢] قال أبو جعفر: " وقوله : ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ يقول -تعالى ذِكْرُهُ- : لم يكن الذين اتبعوا شعيباً الخاسرين ، بل الذين كذبوه كانوا هم الخاسرين الهالكين ؛ لأنه أخبر عنهم -جل ثناؤه- أن الذين كذبوا شعيباً قالوا للذين أرادوا اتباعه : ﴿لَئِن آتَيْتُم شُعَيْبًا إِكْرَامًا إِذَا لَخَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ٩٠] فكذبهم الله بما أحلَّ بهم من عاجل نكاله ، ثم قال لنبيه محمد -ﷺ- : ما خسر تباع شعيب ، بل كان الذين كذبوا شعيباً لما جاءت عقوبة الله هم الخاسرين ، دون الذين صدقوا وآمنوا به . " (٢)

فتعقيب الله -عز وجل- ببيان الخاسر حقيقة ، رد على الكفرة من قوم شعيب حين قالوا : ﴿لَئِن آتَيْتُم شُعَيْبًا إِكْرَامًا إِذَا لَخَيْرٌ مِّنْهُ﴾ فلا صحة لقولهم وقد أهلكهم الله ، وهذا الكلام وإن كان من الله -عز وجل- فهو ردّ عليهم حين زعموا أن متبع شعيب خاسر .

(١) جامع البيان (٦٣/٧) ، وتحقيق شاکر (٣٧١/١٥) .

(٢) جامع البيان (٧/٦) ، وتحقيق شاکر (٥٧٠/١٢) .

## ٢- الأمر بالقول :

فما يكون من أمر بالقول للنبي - ﷺ - أو لغيره - كالمؤمنين في قوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا﴾ [البقرة: ١٣٦] - هو في سياق الردّ على كلام سابق، وإجابة وتعليق عليه : ولذلك أمثلة كثيرة منها : قوله - تعالى - : ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٦] قال أبو جعفر : " وهذا أيضاً احتجاج من الله - تعالى - ذكره - لنبيه - ﷺ - على النصارى القائلين في المسيح ما وصف من قبلهم فيه قبل <sup>(١)</sup> ، يقول - تعالى - ذكره - لمحمد - ﷺ - : قل يا محمد لهؤلاء الكفرة من النصارى الزاعمين أن المسيح ربهم ، والقائلين إن الله ثالث ثلاثة : أتعبدون سوى الله - الذي يملك ضرركم ونفعكم ، وهو الذي خلقكم ورزقكم ، وهو يحييكم ويميتكم - شيئاً لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً ؟ يخبرهم - تعالى - ذكره - : أن المسيح الذي زعم من زعم من النصارى أنه إله ، والذي زعم من زعم منهم أنه الله ابن ، لا يملك لهم ضرراً يدفعه عنهم إن أحله الله بهم ، ولا نفعاً يجلبه إليهم إن لم يقضه الله لهم ، يقول - تعالى - ذكره - : فكيف يكون رباً وإلهاً من كانت هذه صفته ؟ بل الربّ المعبود الذي بيده كل شيء ، والقادر على كل شيء ، فإياه فاعبدوا ، وأخلصوا له العبادة ، دون غيره من العجزة الذين لا ينفعونكم ولا يضرّون . " <sup>(٢)</sup>

(١) ورد وصف المسيح - عليه السلام - في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ [٣٧] لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ تَالِكٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَجِدْ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٧﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٣] .

(٢) جامع البيان (٤/٦٥٥) ، وتحقيق شاكر (١٠/٤٨٦) . ومثله في : البقرة (١٢٦) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْدُهَا أَهْلَهُ مِن الشَّرِّ مَن آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية جامع البيان (١/٥٩٣) ، و(١٣٩) ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لهُ مُخْلِصُونَ﴾ جامع البيان (١/٦٢٤) ، وآل عمران (٨٤) ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا مِنْ دُونِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ الآية جامع البيان (٣/٣٣٦) ، والأنعام (١١) ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ جامع البيان (٥/١٥٤) ، والأعراف (١٨٨) ﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ الآية جامع البيان (٦/١٤٠-١٤١) ، ويونس (١٧) ﴿فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ

فلما أمر الله نبيه ﷺ - بالقول في سياق ذكر أقوال النصارى في عيسى - عليه السلام - كان هذا دليلاً على أنه من باب الرد عليهم وفضح عوار معتقدهم الباطل .

- وكذلك ما عطف على الأمر بالقول فهو أمرٌ به أيضاً مكتمل لبقية الكلام : كما في قوله

-تعالى-: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أُنثَاهُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ مَنْ وَرَثَ لَكَ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨] قال أبو جعفر : " يقول - تعالى - ذكروه - لنبيه محمد - ﷺ - : قل لهؤلاء المعرضين عنك المكذبين بآيات الله : أيها القوم لا تحسبن الله غافلاً عما تعملون ، أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون ، وكيف يغفل عن أعمالكم ، أو يترك مجازاتكم عليها ، وهو غير غافل عن عمل شيء دبّ على الأرض صغير أو كبير ، ولا عمل طائر طار بجناحيه في الهواء ؟ ، بل جعل ذلك أجناساً كله مجتسمة وأصنافاً مصنفة ، تعرف كما تعرفون ، وتتصرف فيما سخرت له كما تتصرفون ، ومحفوظ عليها ما عملت من عمل لها وعليها ، ومثبت كل ذلك من أعمالها في أم الكتاب ، ثم إنه -تعالى- ذكروه -ميتها ثم منشرها ومجازيها يوم القيامة جزاء أعمالها ، يقول : فالرب الذي لم يضع حفظ أعمال البهائم والدواب في الأرض ، والطير في الهواء ، حتى حفظ عليها حركاتها وأفعالها ، وأثبت ذلك منها في أم الكتاب ، وحشرها ثم جازاها على ما سلف منها في دار البلاء ، أحرى أن لا يضع أعمالكم ، ولا يفرط في حفظ أفعالكم التي تجتري حولها أيها الناس ، حتى يحشركم فيجازيكم على جميعها ، إن خيراً

كذبا أو كذب يعاقبونه إنك لا تعلم الجحيم ﴿١٧﴾ جامع البيان (٥٤٢/٦) و(٤٩) ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ الآية جامع البيان (٥٦٥/٦) ، والإسراء (١٠٧) ﴿ قُلْ مَا مَثُورٌ بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذَانِ سُجَّدًا ﴾ ﴿١٧﴾ جامع البيان (١٦٣/٨) ، والأنبياء (٤١) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاهُمْ بِلُوحٍ مِنْ رَبِّكَ فَكَفَرُوا بِالَّذِينَ سَخَّرْنَا لَهُمْ مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ﴿١١﴾ جامع البيان (٢٩/٩) ، و(٤٥) ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ جامع البيان (٣٢/٩) ، والنور (٥٤) ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٢/٩) ، والشعراء (٨١) ﴿ وَالَّذِي يُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ الآية جامع البيان (٤٥٢/٩) ، وسورة ص (٨٦) ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ ثَمَرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ ﴿٨٦﴾ جامع البيان (٦٠٨/١٠) ، والمالك (٢٦-٢٣) ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ الآيات جامع البيان (١٧٢/١٢) .

فخيراً، وإن شراً فشرّاً ، إذ كان قد خصكم من نعمه ، وبسط عليكم من فضله ما لم يعمّ به غيركم في الدنيا ، وكنتم بشكره أحقّ ، وبمعرفة واجبه عليكم أولى ؛ لما أعطاكم من العقل الذي به بين الأشياء تميزون ، والفهم الذي لم يعطه البهائم والطير ، الذي به بين مصالحكم ومضاركم تفرّقون . " (١)

فهذه الآية معطوفة على أمر بالقول للنبي - ﷺ - في قوله سبحانه: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُزِلَّ آيَةَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٧] ، ثم قال: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أُمَّتَانِمْ مَا قَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ سُوْرَةٍ ﴾ الآية أي: وكل ما من دابة...؛ لأنها جملة معطوفة على أمر بالقول الذي في الآية الكريمة الماضية: ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ ﴾ الآية .

### - ٣ - أسماء الإشارة ونحوها :

أ- ما يشار به فهو رابط : فهناك ، وذلك ، وهذا ، وتلك ، وذلكم ، وكذا أحرف العطف الواو ، وثم ، تعتبر كلها روابط : ففي قوله - تعالى - : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٤١] قال - رحمه الله - : "... ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ يقول : هذا الذي أمركم به من النفر في سبيل الله - تعالى - خفيفاً وثقلاً وجهاد أعدائه بأموالكم وأنفسكم ، خير لكم من التناقل إلى الأرض إذا استنفرتم ، والخلود إليها والرضا بالقليل من متاع الحياة الدنيا عوضاً من الآخرة، إن كنتم من أهل العلم بحقيقة ما بين لكم من فضل الجهاد في سبيل الله على القعود عنه . " (٢)

(١) جامع البيان (١٨٦/٥) ، وتحقيق شاكر (٣٤٤/١١) .

(٢) جامع البيان (٣٧٩/٦) ، وتحقيق شاكر (٢٧٠/١٤) . وانظر بقية الأمثلة : في البقرة (٢٢٩) ﴿ اذْهَبْ إِلَى الْآيَةِ الَّتِي نُنَادِي بِهَا نُنَادِيكُمْ وَإِنَّكُمْ لَمُرْسِلِينَ ﴾ ، و(٢٥٢) ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ، و(٣٨) ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ ، و(٢٤٧/٢) ، وآل عمران (٣٨) ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ ، و(١٠٨) ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴾ ، و(١٧٥) ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ، و(٣٢) ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ الآية جامع البيان (٥٤٠/٤) ، والأنعام (١٥٣) ﴿ وَأَنَّ هَذَا

فرجع اسم الإشارة : ذلكم إلى أول الآية فارتبط الكلام ، وتلاحمت الجمل ، وفهم المعنى ، واتضح المراد .

ب- إذا تكرر اسم الإشارة فالمشار إليه ما قبله مباشرة ، لا ما أشير إليه أوّل : فقله -  
 تعالى:- ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٦١]  
 وقوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢]  
 يختلف مرجع اسم الإشارة : ﴿ ذَلِكَ ﴾ في الموضعين : ففي الأول : أرجعه ابن جرير -  
 رحمه الله- إلى النصر في قوله : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ ﴾ [الحج: ٦٠] ،  
 فقال : " ﴿ ذَلِكَ ﴾ هذا النصر الذي أنصره على من بغى عليه على الباغي ؛ لأني القادر على ما  
 أشاء، فمن قدرته ﴿ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ﴾ ... وبالقدرة التي تفعل ذلك ينصر محمداً - ﷺ -  
 وأصحابه على الذين بغوا عليهم ، فأخرجوهم من ديارهم وأموالهم . " (١)

وفي الموضع الثاني : أرجعه إلى إيلاج الليل في النهار فقال : " ﴿ ذَلِكَ ﴾ هذا الفعل الذي  
 فعلت من إيلاجي الليل في النهار وإيلاجي النهار في الليل ؛ لأني أنا الحق الذي لا مثل لي ولا شريك  
 ولا ند ، وأن الذي يدعوه هؤلاء المشركون إلهاً من دونه : هو الباطل الذي لا يقدر على صنعة شيء ،

صِرْطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴿ الآية جامع البيان (٣٩٦/٥) ، ومن أمثلة العطف : قوله تعالى في البقرة (١١٦) ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ  
 اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَمْ يَكُن لَّهُ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ لَّهُ قَنِينٌ ﴾ جامع البيان (٥٥٤/١-٥٥٦) ، و(١٢٣) ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمَ لَا  
 تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ الآية جامع البيان (٥٧١/١) ، وآل عمران (١٣٥) ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَتِنُوا فَجَسَدُوا أَوْ  
 ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ الآية جامع البيان (٤٣٩/٣) ، والنساء (٧٨) ﴿ آيَاتِنَا تَكُونُوا يَدْرِكِكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ  
 كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾ الآية جامع البيان (١٧٦/٤-١٧٧) ، والأنعام (١) ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ  
 وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ جامع البيان (١٤٤/٥) ، والجن (١٨) ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا  
 ﴿١٨﴾ جامع البيان (٢٧١/١٢) .

(١) جامع البيان (١٨٣/٩) .

بل هو المصنوع... " (١)

فلا بد من إرجاع الإشارة إلى ما يناسب الجمل قبله وبعده إذا تكررت ، كما في تفسير هذه الآيات .

ج- الأصل أن العطف يربط بين الجمل - كما سبق - ولكن قد يرد السياق بلا عطف ، ويفهم منه الترابط : كما في قوله - تعالى - : ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٨] قال أبو جعفر : " يقول - تعالى - ذكره - لنبية محمد - ﷺ - : لا تمنين يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا ، متاعاً للأغنياء من قومك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يتمتعون فيها ، فإن من ورائهم عذاباً غليظاً ، ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ يقول : ولا تحزن على ما متتوا به فعجل لهم ، فإن لك في الآخرة ما هو خير منه ، مع الذي قد عجلنا لك في الدنيا من الكرامة ، بإعطائنا السبع المثاني ، والقرآن العظيم . " (٢)

فقد ذكر الله - سبحانه - نعمته على رسوله - ﷺ - بالقرآن العظيم ، ومنه السبع المثاني ، وبعدها نماه عن زينة الحياة الدنيا ، ولم يعطف ، ولكن الكلام يفهم منه ارتباط هذا بنعمة القرآن والسبع المثاني ، والمعنى : فليكن منك شكر الله على هذه النعمة - نعمة الدين - فهي سبب النعيم الباقي ، وأما الدنيا فهي الفانية الزائلة .

#### - ٤ - الاستفهام رابط :

ففي قوله - تعالى - : ﴿ أَوْ مَن كَانَ مَبْتَغًا فَآجِبْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَمْسَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٢] قال أبو جعفر : " وهذا الكلام من الله - جل ثناؤه - يدل على نهيه المؤمنين برسوله يومئذ عن طاعة بعض المشركين ، الذين جادلوهم في أكل

(١) جامع البيان (٩/١٨٣) .

(٢) جامع البيان (٧/٥٤٢) . وانظر مثلاً آخر في آل عمران (١٨٣) ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ اٰتِنَا اَلَّا نُوْمِرَ رَسُوْلًا حَقًّا يٰۤاٰتِنَا بِمُرَاٰنٍ تَاْكُلُهٗ اَنْۢسَاۗءُ ﴾ الآية جامع البيان (٣/٥٣٨-٥٣٩) .

الميتة... " (١)

أي : أن هذه الآية مرتبطة بالسابقة ، وهي قوله -تعالى- : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوْلِيَاءَهُمْ لِيُجَدِّدُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١] فَعُتِبَ عَلَى أَنْ طَاعَةَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْمُشْرِكِينَ ، استبدال لنور الإيمان بظلمات الكفر ، التي يعيش فيها الكافر ، فالأولى بمن علم أنه على نور ، وأن من يجادله في ظلمة ، ألا يستمع لكلامه وألا يأبه لشبهه .<sup>(٢)</sup>

-٥- من الروابط (أم) و(ألا) و(أفلا) :

وسأمثل على (أم) في قوله -تعالى- : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَوْتَى نَصْرَ اللَّهِ ءَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤] قال أبو جعفر : " وأما قوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾ كأنه استفهم بـ«أم» في ابتداء لم يتقدمه حرف استفهام لسبوق كلام هو به متصل ، ولو لم يكن قبله كلام يكون به متصلاً ، وكان ابتداء لم يكن إلا بحرف من حروف الاستفهام ؛ لأن قائلاً لو كان قال مبتدئاً كلاماً لآخر : أم عندك أخوك ؟ لكان قائلاً ما لا معنى له ، ولكن لو قال : أنت رجل مدلل بقوتك أم عندك أخوك ينصرك ؟ كان مصيباً... فمعنى الكلام: أم حسبتم أنكم أيها المؤمنون بالله ورسله تدخلون الجنة ، ولم يصيبكم مثل ما أصاب من قبلكم، من أتباع الأنبياء والرسول من الشدائد والحن والاختبار... " (٣)

(١) جامع البيان (٣٣١/٥) ، وتحقيق شاكر (٨٨/١٢) .

(٢) وانظر مثله في البقرة (٢١١) ﴿ سَلِّ بِنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ ءَايَاتِنَا بَيِّنَاتٍ ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٤/٢) ، والأعراف (١٨٤)

﴿ أَلَمْ يَنْفَعِكُمْ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ جامع البيان (١٣٤/٦) ، والزمر (٤٣) ﴿ أَرَأَيْتُمْ أَزْوَاجَهُمْ لَمَّا أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ أَزْوَاجَهُمْ شَرِيكًا وَلَا يَقُولُونَ ﴿ ٦٣ ﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/١١) ، و(٥٢) ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ جامع البيان (١٤/١١) .

(٣) جامع البيان (٣٥٣/٢) ، وتحقيق شاكر (٢٨٧/٤) . وانظر أمثلة أخرى لـ(أم) في : هود (١٣) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلُوبًا قَدْحًا يُصْنَعُ سُوْرًا وَيُنَادِيهِمْ مَقْرِنَاتٍ وَاذْعُوا مِنْ آسَاطِينِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ جامع البيان (١١/٧) ، و(ألا) في النور

(٦٤) ﴿ أَلَا إِنَّكَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْشُرَ عَلَيْهِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٦١/٩) ، و(أفلا) في الغاشية (١٧)

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْرٰهِيْمَ كَيْفَ خُلِقَ ﴾ جامع البيان (٥٥٦/١٢) .

فلاستفهام خطاب لمن كان الحديث السابق عنهم ، وهم : المؤمنون المصدقون بالرسول ،  
﴿ أَمْ ﴾ في قوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾ ربطت هذه الآية بالسابقة .

#### ٦- (إذ) عاطف ورباط :

كما في قوله -تعالى-: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿١١﴾ ﴿ [الإسراء: ٦١] قال -رحمه الله- : " يقول -تعالى- ذِكْرُهُ- لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ- : واذكر يا محمد تمادي هؤلاء المشركين في غيهم ، وارتدادهم عتوًّا على ربهم ، بتخويفه إياهم تحقيقهم قول عدوهم وعدو والدهم ، حين أمره ربه بالسجود له فعصاه وأبى السجود له ، حسداً واستكباراً : ﴿ كَيْنَ آخَرَتَيْنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْسَنِكَ دُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً ﴿١٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٢] ، وكيف صدقوا ظنه فيهم ، وخالفوا أمر ربهم وطاعته ، واتبعوا أمر عدوهم وعدو والدهم . " (١)

وقد عهد من استعمالات القرآن أن (إذ) فيها تذكير بأمر معين يناسب السياق ، وهنا كان ما وقع من الكفار شبيهاً بما حصل من إبليس ، وقد وصفهم الله تعالى بكثرة التكذيب مع كثرة التذكير ، فقال : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّبِّيَّاءَ الَّتِي آمَنَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ مِنَّا إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحِرْتُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٠] فما أشبه تكذيبهم بتكذيب إبليس في هذه القصة .

#### ٧- التشبيه يعتبر رابطاً بين شيئين :

فقوله -تعالى-: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَتَكُونَ الرُّسُلَ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرُّسُلَ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ أِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالْكَافِرِينَ لَزُءٌ وَفٍ رَجِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣] قال -رحمه الله- : " يعني -جل ثناؤه- بقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد عليه السلام ، وبما جاءكم به من عند الله ، فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته ، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل

(١) جامع البيان (١٠٦/٨) . وانظر نحوه في البقرة (٣٠) ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ الآية جامع

البيان (٢٣٣/١-٢٣٤) ، و(١٢٤) ﴿ وَإِذْ أُنزِلَتْ الرُّسُلُ بِرُؤْيُكُمْ فَاتَمَّتُوا ﴾ الآية جامع البيان (٥٩٠/١) ، وآل عمران (٥٥)

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُوسُفَ إِنِّي مَتْرُوفٌ وَإِنِّي مَتْرُوفٌ وَإِنِّي مَتْرُوفٌ ﴾ الآية جامع البيان (٢٨٨/٣) .



الملل ، كذلك خصصناكم ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان بأن جعلناكم أمة وسطاً .<sup>(١)</sup> فبعد أن ذكر الله نعمة الهداية الأكمل ، وهي اتباع ملة إبراهيم -عليه السلام- والتوجه إلى الكعبة المشرفة ، أعقبها بذكر نعمة أخرى ، وهي جعل الأمة المحمدية عدلة ، وشاهدة على الأمم كلها.

٨- كلمة (بعد) رابط :

ففي قوله -تعالى-: ﴿ تَمَرَاتٍ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٠] قال -رحمه الله -: " يقول -تعالى- ذكروه -: ثم إن ربك يا محمد للذين هاجروا من ديارهم ومساكنهم وعشائرهم من المشركين ، وانتقلوا عنهم إلى ديار أهل الإسلام ومساكنهم وأهل ولايتهم ، من بعد ما فتنهم المشركون الذين كانوا بين أظهرهم ، قبل هجرتهم عن دينهم ، ثم جاهدوا المشركين بعد ذلك بأيديهم بالسيف ، وبألسنتهم بالبراءة منهم ومما يعبدون من دون الله ، وصبروا على جهادهم ."<sup>(٢)</sup>

فكلمة : (بعد) في قوله : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ﴾ راجعة إلى ما تقدم ذكره من الإكراه وأحكامه ، في قوله -تعالى-: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل: ١٠٦] فكلمة ﴿ بَعْدِ ﴾ ربطت بين الآية وما قبلها .

٩- كلمة (يوم) رابط :

كما في قوله -تعالى-: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

(١) جامع البيان (٨/٢) ، وتحقيق شاکر (١٤١/٣) . ومثله في الأنفال (٥٢) ﴿ كَذَّابٍ مَالٍ فُرَعُونَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٩/٦) ، و(٥٤) ﴿ كَذَّابٍ مَالٍ فُرَعُونَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٩/٦) ، والقلم (٣٣) ﴿ كَذَلِكَ الْمَنَابِتُ وَالْمَنَابِتُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ جامع البيان (١٩٥/١٢) .  
(٢) جامع البيان (٦٥٣/٧) .

فَذَوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٧٦﴾ [آل عمران: ١٠٦] قال -رحمه الله- : "...وأما معنى قوله -جلّ ثناؤه-: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عني به ، فقال بعضهم : عني به أهل قبلتنا من المسلمين... وقال آخرون : عني بذلك كل من كفر بالله بعد الإيمان الذي آمن ، حين أخذ الله من صلب آدم ذريته وأشهدهم على أنفسهم بما بين في كتابه... عن أبي بن كعب ، في قوله : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال : صاروا يوم القيامة فريقين ، فقال لمن اسود وجهه وغيرهم : ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذَوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ قال : هو الإيمان الذي كان قبل الاختلاف في زمان آدم ، حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم ، وأقروا كلهم بالعبودية ، وفطروهم على الإسلام ، فكانوا أمة واحدة مسلمين ، يقول : أكفرتم بعد إيمانكم ، يقول بعد ذلك الذي كان في زمان آدم ، وقال في الآخرين : الذين استقاموا على إيمانهم ذلك ، فأخلصوا له الدين والعمل ، فبيض الله وجوههم ، وأدخلهم في رضوانه وجنته ، وقال آخرون : بل الذين عنوا بقوله : ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ المنافقون...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب : القول الذي ذكرناه عن أبي بن كعب : أنه عني بذلك جميع الكفار ، وأن الإيمان الذي يوبخون على ارتدادهم عنه ، هو الإيمان الذي أقروا به يوم قيل لهم : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢] وذلك أن الله -جلّ ثناؤه- جعل جميع أهل الآخرة فريقين : أحدهما : سوداً وجوهه ، والآخر : بيضاً وجوهه ، فمعلوم إذ لم يكن هنالك إلا هذان الفريقان أن جميع الكفار داخلون في فريق من سود وجهه ، وأن جميع المؤمنين داخلون في فريق من بيض وجهه ، فلا وجه إذاً لقول قائل عني بقوله : ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ بعض الكفار دون بعض ، وقد عمّ الله -جلّ ثناؤه- الخبر عنهم جميعهم ، وإذا دخل جميعهم في ذلك ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها ، ثم ارتدوا كافرين بعد إلا حالة واحدة ، كان معلوماً أنها المرادة بذلك .<sup>(١)</sup>

- ١٠ - اللام رابط :

كما في قوله -تعالى- : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي

(١) جامع البيان (٣/٣٨٦) ، وتحقيق شاكر (٧/٩٣) . ومثله أيضا في المجادلة (٦) ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾

أَخَصَّهُ اللَّهُ وَسْوَدَّ وُجُوهَهُمْ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ جامع البيان (١٢/١٣) .

الْأَنْزِبِ بِحَسْبِهِمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٧٣﴾ [البقرة: ٢٧٣] قال أبو جعفر: "أما قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فبيان من الله - عزَّ وجلَّ - عن سبيل النفقة ووجهها ، ومعنى الكلام : وما تنفقوا من خير فلا تنفسيكم ، تنفقون للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله . واللام التي في : "الفقراء" ، مردودة على موضع اللام في : ﴿فَلَا تُنْفِسْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ، كأنه قال : ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ يعني به : وما تصدقوا به من مال ، فللفقراء الذين أحصروا في سبيل الله...<sup>(١)</sup>

فهذه الآية بينت مصرف النفقة التي حث الله عليها في الآية الماضية ، وبين الله - سبحانه - في الآية الماضية أن أثر هذه النفقة وخيرها يعود على النفس وذلك في قوله : ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]<sup>(٢)</sup>.

#### - ١١ - (كلام) رابط :

لأنها رد ونفي لما سبق : كما في قوله - تعالى - : ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّوَافِلَ ﴿٦٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٧٧﴾﴾ [القيامة: ٢٦ - ٢٧] قال - رحمه الله - : " يقول - تعالى - ذكروه - : ليس الأمر كما يظن هؤلاء المشركون ، من أنهم لا يعاقبون على شركهم ومعصيتهم ربهم ، بل إذا بلغت نفس أحدهم التراقي عند مماته وحشرج بها... ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ يقول - تعالى - ذكروه - : وقال أهله : من ذا يرقيه ليشفيه مما قد نزل به ، وطلبوا له الأطباء والمداوين ، فلم يغنوا عنه من أمر الله الذي قد نزل به شيئاً . " <sup>(٣)</sup>

فربطت (كلام) الرادعة الكلام بما قبله وبما بعده ، حيث إن الكفار في سورة القيامة يكذبون

(١) جامع البيان (٩٦/٣) ، وتحقيق شاکر (٥٩٠/٥) .

(٢) ومثله في : سبأ (٦-٤) ﴿لِيَجْزِيَكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَصَلُوا الصَّالِحِينَ﴾ الآيات جامع البيان (٣٤٦-٣٤٧/١٠) ، والحشر (٨)

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهْلَجِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ جامع

البيان (٣٩/١٢) .

(٣) جامع البيان (٣٤٥/١٢) .

باليوم الآخر ، كما أخبر الله عنهم : ﴿ اِيْحَسَبُ الْاِاِنْسَانُ اَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾ [القيامة: ٣] <sup>(١)</sup> ، وسباق الآيات قبل قوله : ﴿ كَلَّا اِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ ولحاقه ، كله في إثبات اليوم الآخر، فمعنى ﴿ كَلَّا ﴾ : ردع وزجر -عن التكذيب الواقع من الكفار -وتأكيد لوقوع اليوم الآخر.

١٢- الختام لجملة من الآيات رابط بينها :

ففي قوله -تعالى-: ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ اَنْيَّ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِاَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا اَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٣] قال -رحمه الله- في قوله -تعالى-: ﴿ وَقَدِّمُوا لِاَنْفُسِكُمْ ﴾ : " اختلف أهل التأويل في معنى ذلك : فقال بعضهم [كالسدي] : معنى ذلك : قدّموا لأنفسكم الخير... وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقدّموا لأنفسكم ذكر الله عند الجماع وإتيان الحرث قبل إتيانه... "

قال أبو جعفر : والذي هو أولى بتأويل الآية ما روينا عن السدي ، وهو أن قوله : ﴿ وَقَدِّمُوا لِاَنْفُسِكُمْ ﴾ أمر من الله -تعالى ذكره- عباده بتقديم الخير ، والصالح من الأعمال ليوم معادهم إلى ربهم ، عدة منهم ذلك لأنفسهم عند لقائه في موقف الحساب ، فإنه قال -تعالى ذكره- : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِاَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ ﴾ [البقرة: ١١٠ ، المزمل: ٢٠] ، وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ؛ لأن الله -تعالى ذكره- عقب قوله : ﴿ وَقَدِّمُوا لِاَنْفُسِكُمْ ﴾ بالأمر باتقائه في ركوب معاصيه ، فكان الذي هو أولى بأن يكون قبل التهتد على المعصية -إذ كان التهتد على المعصية عاماً -الأمر بالطاعة عاماً . فإن قال لنا قائل : وما وجه الأمر بالطاعة بقوله : ﴿ وَقَدِّمُوا لِاَنْفُسِكُمْ ﴾ من قوله : ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ اَنْيَّ شِئْتُمْ ﴾ ؟ قيل : إن ذلك لم يقصد به ما توهمته ، وإنما عني به : وقدّموا لأنفسكم من الخيرات التي ندبناكم إليها بقولنا : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ [البقرة: ٢١٥] ، وما بعده من سائر ما سألوها رسول الله -ﷺ- ، فأجيبوا عنه مما ذكره الله -تعالى ذكره- في هذه الآيات <sup>(٢)</sup> ، ثم قال -تعالى ذكره- :

(١) ومثله في السورة نفسها (٢٠) ﴿ كَلَّا بَلْ يُجِئُونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ [القيامة: ٢٠] جامع البيان (١٢/٣٤٢) .

(٢) إلى قوله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أذى فَأَعْرَضُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] .

قد بينا لكم ما فيه رشدكم وهدايتكم إلى ما يرضي ربكم عنكم ، فقدموا لأنفسكم الخير الذي أمركم به ، واتخذوا عنده به عهداً لتجدوه لديه إذا لقيتموه في معادكم ، واتقوه في معاصيه أن تقربوها ، وفي حدوده أن تضيعوها ، واعلموا أنكم لا محالة ملاقوه في معادكم ، فمجاز المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ."<sup>(١)</sup>

(١) جامع البيان (٤١٢/٢) ، وتحقيق شاكر (٤١٦/٤) . ومثله في البقرة (٢٢٨) ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ إِلَىٰ آبَائِهِنَّ بِمَا كُنَّ عَلَيْهِنَّ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكُنَّ مَعَ اللَّهِ فِي أَرْحَامِهِنَّ ﴾ الآية جامع البيان (٤٦٩/٢) .

## المبحث الثاني : الترابط والتناسب في الآية الواحدة :

كما في قوله -تعالى-: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١١] قال -رحمه الله- : " يقول -تعالى- ذِكْرُهُ- : لم يصب أحداً من الخلق مصيبة ﴿ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ، يقول : إلا بقضاء الله وتقديره ذلك عليه ، ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾ ، يقول : ومن يصدق بالله فيعلم : أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك ، ﴿ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾ يقول : يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه . " (١).

فهذا التفسير للجمل في الآية : تريك ما لكل جملة منها من معنى متمم للأخرى ، وأن هذا الترتيب له حكمه ومعانيه ، وبهذا التفسير تجد الكلام قد أخذ بعضه بأعناق بعض، حتى صارت الجملة كالكلمة الواحدة .

وفي قوله -تعالى-: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّكَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٨] قال -رحمه الله- : " وقوله : ﴿ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ يقول للمؤمنين : فلا تدعوهم أن يقربوا المسجد الحرام بدخولهم الحرم . وإنما عني بذلك منعهم من دخول الحرم ؛ لأنهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا المسجد الحرام... وقوله : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾ يقول للمؤمنين : وإن خفتم فاقة وفقراً بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام ، ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ ﴾ ...وأما قوله: ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ فإن معناه : إن الله عليم بما حدثتكم به أنفسكم أيها المؤمنون من خوف العيلة عليها بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام ، وغير ذلك من مصالح عباده ، حكيم في تدبيره إياهم وتدبير جميع خلقه . " (٢).

(١) جامع البيان (١١٥/١٢) .

(٢) جامع البيان (٣٥٤/٦-٣٤٨) ، وتحقيق شاعر (١٩١/١٤) .

فخوف العيلة مرتبط بمنع المشركين من دخول المسجد الحرام - مكة - ومعهم بضاعتهم ،  
وليس منع المشركين من دخول المسجد الحرام بمعزل عن تأمين المؤمنين من العيلة .<sup>(١)</sup>

(١) وانظر بقية المواضع في : البقرة (١٤٠) ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ لَوْلَا رَبُّهُمَا لَآسَأْتُمُ اللَّهَ أَن يَأْتِيَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ مِنَ السَّمَاءِ فِي سُبْحَانَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا نَبِيًّا ۖ وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ وَأَلِيقُوا بِالْعَلِيِّ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۗ ﴾ الآية جامع البيان (١/٦٢٥) ، و(١٧٥) ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالصَّدَاقَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ۗ ﴾ جامع البيان (٢/٩٧) ، و(١٧٨) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الضَّمَالُ فِي الْقِتَالِ لَكُمْ بِالْحَرْبِ وَالْمَبْدُ وَالْمَبْدُ وَالْأَنْفَىٰ بِالْأَنْفَىٰ ۗ ﴾ الآية جامع البيان (٢/١١٤) ، و(٢٢٤) ﴿ وَلَا تَجْمَعُوا لِلَّهِ عَرْشَةً لِيَأْتِيَكُمْ أَن تَبْرُوا وَتَقْتُلُوا وَتَضْلُوا بِيَتِّبَ النَّاسُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۗ ﴾ جامع البيان (٢/٤١٢-٤١٦) ، و(٢٣٢) ﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا فَكَّحْتُمُوهُنَّ أَلَيْسَ لهنَّ مِنْ مَّا نَفَقْتُمَ لَهُنَّ شَيْءٌ ۚ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ إِذَا نَفَقْتُمُوهُنَّ لَأَنفَقْتُمُوهُنَّ مِمَّا نَفَقْتُمُوهُنَّ مِنْ أَمْوَالِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَأَنفَقْتُمُوهُنَّ مِمَّا نَفَقْتُمُوهُنَّ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَمَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۗ ﴾ جامع البيان (٣/٦٣) ، والنساء (٣٤) ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۗ ﴾ الآية جامع البيان (٤/٧١) ، و(١٤٢) ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ يَخْدَعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۗ ﴾ جامع البيان (٤/٣٣٣) ، و(١٧٠) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۗ ﴾ جامع البيان (٤/٣٧١) ، و(١٧١) ﴿ يَا هَذِهِ الْأَكْتَابُ لَا تَسْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۗ ﴾ الآية جامع البيان (٣٧٥-٣٧٦) ، والأنعام (٣٤) ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدَعُوا فِي أَنفُسِهِمْ نَصْرًا ۗ ﴾ الآية جامع البيان (٥/١٨٢) ، والأعراف (٦٩) ﴿ أَوْ يَحْسَبُونَ أَن جَاءَكُمْ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۗ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٥٢٣) ، والتوبة (٦١) ﴿ وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّيِّقَ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ۗ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٤٠٦) ، ويونس (١١) ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفَضَحَ إِلَىٰهِمْ أَجْلُهُمْ فَتَذَّرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۗ ﴾ جامع البيان (٦/٥٣٧) ، ويوسف (٥) ﴿ قَالَ يَبْنَؤُ لَا تَقْصُصْ رَأْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۗ ﴾ الآية جامع البيان (٧/١٤٩-١٥٠) ، والرعد (٣١) ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْمَوْتُ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ ﴾ الآية جامع البيان (٧/٣٨٩) ، والكهف (١٨) ﴿ وَتَحَسَّبَهُمْ أَنْفُسًا وَهُمْ رُوْدٌ ۗ وَقَالَتِ هُنَّ ذَاتُ الْيَمِينِ ذَاتُ الشِّمَالِ وَكَلَّبَهُمْ بَنِي سَيْدٍ وَرَأَوُا بِالْوَصِيدِ ۗ ﴾ الآية جامع البيان (٨/١٩٤) ، و(٢٦) ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَسْأَلُ لَهَ عَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْصُرَ بِهِ وَأَسْمَعُ ۗ ﴾ الآية جامع البيان (٨/٢١٢) ، والمؤمنون (٩٢) ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَمَلَّكَهَا مِمَّا يَشْرِكُونَ ۗ ﴾ جامع البيان (٩/٢٤٠) ، وفاطر (١) ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكَةَ رِيَالًا أَوْ إِنْجِنًا ۗ ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٣٩٣) ، والحديد (١٠) ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُؤْمِنُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَرْثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ ﴾ الآية جامع البيان (١١/٦٧٣) .

### المبحث الثالث : المناسبات بين الآيات :

لا شك أن السورة متناسبة آياتها ، بل القرآن كله متناسب مترابط ، بين سوره وآياته وحمله وكلماته وحروفه ، كما وصفه رب العالمين بقوله : ﴿الرَّكَيبُ أُخِصَّتْ لَآيَتُهُ، ثُمَّ قُضِلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾﴾ [هود: ١].

والمناسبة بين الآيات - عند ابن جرير رحمه الله - على أنواع ، وسأمثل لها - إن شاء الله - في المطالب التالية :

المطلب الأول : مناسبة الآية مع ما قبلها .

المطلب الثاني : مناسبة الآية مع ما بعدها .

المطلب الثالث : مناسبة الآية مع ما قبلها وما بعدها .

المطلب الرابع : قد يعود بالمناسبة على متقدم بعيد في السورة .

وهذا التصنيف حسب ما ظهر من كلام الإمام الطبري - رحمه الله -، وستلاحظ بين هذه الأمثلة المذكورة تداخلاً مع ما سبق من علامات الترابط العاطفة .



## المطلب الأول : مناسبة الآية مع ما قبلها :

كما في قوله -تعالى-: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] قال أبو جعفر: " يقول -تعالى- ذكروه- للمؤمنين به المصدقين بكتابه الذين القرآن لهم هدى ورحمة: إذا قرئ عليكم أيها المؤمنون القرآن ﴿ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ يقول: أصغوا له سمعكم؛ لتتفهموا آياته، وتعتبروا بمواعظه، وأنصتوا إليه؛ لتعقلوه وتندبروه، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه. ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ يقول: ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه، واعتباركم بعيره، واستعمالكم ما بينه لكم ربكم من فرائضه في آية. (١)"

فهذه الآية فيها دعوة لتحقيق رحمة القرآن للمؤمنين، التي ذكرها الله في قوله: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِيكُمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَاطًا مِّنْ رَبِّي وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٣] فمن أسباب تحقيقها: الإنصات لتلاوته في قوله: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢).

(١) جامع البيان (١٦١/٦)، وتحقيق شاكر (٣٤٤/١٣).

(٢) وانظر بقية المواضع في: البقرة (١٠٢) ﴿ وَأَتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا مِنَ التَّوْرَةِ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ ﴾ الآية جامع البيان (٤٩١/١-٤٩٢)، و(١٠٥) ﴿ مَا يَوْذُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٥٠٢/١)، و(١٠٧) ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ جامع البيان (٥٢٩/١)، و(١١٠) ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ جامع البيان (٥٣٨/١)، و(١١٥) ﴿ وَاللَّهُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَانْجِبُوا اللَّهَ عَنَّا إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عِلْمَهُ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ جامع البيان (٥٥١-٥٥٣)، و(١٢١) ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَتَّىٰ تَلَوتِهِمْ أَوْ لَوْلَا أَلْفَاظُهُ يَكْفُرُونَ ﴾ الآية جامع البيان (٣٣٢/٢)، و(٢١١) ﴿ سَلِّبُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٥/٢)، و(٢١٢) ﴿ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَسَعْرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٦/٢)، و(٢٤٤) ﴿ وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ جامع البيان (٦٠٦/٢)، و(٢٤٥) ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا

كثيرةً **﴿١٥٦﴾** والله يقض ويبيط وإني ترجعون **﴿١٥٦﴾** ﴿ جامع البيان (٢/٦٠٩) ، و(٢٥٢) ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَوِنَ الْمُرْسَلِينَ **﴿١٥٧﴾** ﴿ جامع البيان (٢/٦٤٨) ، و(٢٥٦) ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ **﴿١٥٨﴾** الآية جامع البيان (٣/١٩٣) ، و(٢٥٩) ﴿ أَوْ كَأَلَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُغَيِّبُ اللَّهُ عَنَّا هَذِهِ أَفَعَدَّ مَوَظِعَهَا **﴿١٥٩﴾** الآية جامع البيان (٣/٣١) ، وآل عمران (١٤) ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرَجِ **﴿١٦٠﴾** الآية جامع البيان (٣/١٩٨) ، و(٤٠) ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ **﴿١٦١﴾** الآية جامع البيان (٣/٢٥٧) ، و(٨٢) ﴿ فَمَنْ قَوْلَ بَدَدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ **﴿١٦٢﴾** ﴿ جامع البيان (٣/٣٣٣) ، و(١٠٩) ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ **﴿١٦٣﴾** ﴿ جامع البيان (٣/٣٨٨) ، و(١٢٣) ﴿ وَلَقَدْ فَصَّرْنَاكُمْ أَثَدًا وَقَدْ آتَيْنَاكُمْ آيَاتِنَا فَكُنْتُمْ أَكْذٰبًا فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ **﴿١٦٤﴾** ﴿ جامع البيان (٣/٤٢٠) ، و(١٢٩) ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَقُولُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ **﴿١٦٥﴾** ﴿ جامع البيان (٣/٤٣٤) ، و(١٣٧) ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ **﴿١٦٦﴾** ﴿ جامع البيان (٣/٤٤٣-٤٤٤) ، و(١٥٦-١٥٧) ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا **﴿١٦٧﴾** الآيتين جامع البيان (٣/٤٩٢) ، و(١٨٥) ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذٰئِمَةٌ لِّلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجْرَكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ **﴿١٦٨﴾** الآية جامع البيان (٣/٥٤٠) ، و(١٩٠) ﴿ إِنَّكَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ **﴿١٦٩﴾** ﴿ جامع البيان (٣/٥٥٠) ، والنساء (٦٤) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ **﴿١٧٠﴾** الآية جامع البيان (٤/١٥٩) ، و(١١١) ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا **﴿١٧١﴾** ﴿ جامع البيان (٤/٢٧٣) ، و(١١٨) ﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا **﴿١٧٢﴾** ﴿ جامع البيان (٤/٢٨٠) ، و(١٢٢) ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ سَنُدِّخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ **﴿١٧٣﴾** الآية جامع البيان (٤/٢٨٦-٢٨٧) ، و(١٢٦) ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا **﴿١٧٤﴾** ﴿ جامع البيان (٤/٢٩٧) ، و(١٣٠) ﴿ وَإِن يَنفَرَا يَمُنَّ اللَّهُ كَمَا كَفَرُوا وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا **﴿١٧٥﴾** ﴿ جامع البيان (٤/٣١٧) ، و(١٤٦) ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا **﴿١٧٦﴾** ﴿ جامع البيان (٤/٣٣٧) ، والمائدة (٣٣) ﴿ إِنَّمَا جَزَاؤُهُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأرجُلُهُم مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ **﴿١٧٧﴾** الآية جامع البيان (٤/٥٤٦) ، و(٧٢-٧٣) ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ **﴿١٧٨﴾** الآيتين جامع البيان (٤/٦٥٢) ، و(٩٠) ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْفَنَاءُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَهْبَابُ وَالْأَرْكَانُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطٰنِ **﴿١٧٩﴾** الآية جامع البيان (٥/٣٣) ، و(١٢٠) ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ **﴿١٨٠﴾** ﴿ جامع البيان (٥/١٤٢) ، والأنعام (٥٩-٦٠) ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ **﴿١٨١﴾** الآيتين جامع البيان (٥/٢١١-٢١٣) ، و(٩٢) ﴿ وَهٰذَا كِتٰبٌ أَنْزَلْنَاهُ

﴿مُبَارَكٌ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٧/٥)، و(١٦٠) ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا بِمَاذَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٧﴾ جامع البيان (٤١٥/٥)، والأعراف (٢٢) ﴿فَدَلَّهَامَا يُقْرَبُونَ﴾ الآية جامع البيان (٤٥٣/٥)، و(٢٦) ﴿يَنْبَغِي مَاذَمٌ قَدْ أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ لِمَا يُؤْرَىٰ سَوَاءٌ لَكُمْ وَرِشَاءٌ﴾ الآية جامع البيان (٤٥٥/٥)، و(١٩٥) ﴿أَلَمْ تَأْمُرُوا بِمَا أَمَرْتُمْ أَيْدِي يَطْبَعُونَ بِهَا أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَكُمْ أذانٌ يُسْمَعُونَ بِهَا﴾ الآية جامع البيان (١٥٠/٦)، والأنفال (٣٠) ﴿وَإِذْ يَبْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْسِتُواكَ أَوْ يُقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ الآية جامع البيان (٢٢٥/٦)، والتوبة (٢٨) ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ الآية جامع البيان (٣٤٦-٣٤٧)، و(٦٢) ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٢﴾ جامع البيان (٤٠٧/٦)، و(٨٥) ﴿وَلَا تُجِيبِكُمْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ جامع البيان (٤٤١/٦)، ويونس (٢٥) ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿١٥﴾ جامع البيان (٥٤٨/٦)، و(٥٥) ﴿الْآيَةُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية جامع البيان (٥٦٧/٦)، و(٩٦-٩٧) ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ بَرَأْنَا مِنَ الْآلَمِينَ﴾ ﴿١٧﴾ جامع البيان (٦١١/٦)، وهود (٦) ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَّ اللَّهُ رِزْقَهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٦﴾ جامع البيان (٤٧-٥٠)، و(١٤) ﴿فَلَمَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ لَأَنْزِيلٌ مِنَ اللَّهِ وَإِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٤﴾ جامع البيان (١٢٧/٦)، والرعد (١٥) ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْعُدْوِ وَالْأَصْبَالِ﴾ ﴿٥٥﴾ جامع البيان (٣٦٦/٧)، والحجر (٩٥) ﴿إِنَّا كُنِينَاكَ الْمُسْتَهْزَبِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ جامع البيان (٥٥٠/٧)، والنحل (١٧) ﴿أَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٧﴾ جامع البيان (٥٧٣/٧)، و(٤٠) ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٤٠﴾ جامع البيان (٥٨٥/٧)، و(٩٠) ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٦﴾ جامع البيان (٦٣٤/٧)، و(١٠٥) ﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ جامع البيان (٦٥٠/٧)، والإسراء (٤٤) ﴿سُحِبَ لَهُ السَّبُوتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ الآية جامع البيان (٨٤/٨)، والأنبياء (١٩) ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ﴿١٩﴾ جامع البيان (١٣/٩)، و(٩٧) ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية جامع البيان (٨٧/٩)، والفرقان (٢٤) ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ﴿٢٤﴾ جامع البيان (٣٨١/٩)، و(٥٥) ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ ﴿٥٥﴾ جامع البيان (٤٠١/٩)، والنمل (٢٦) ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٦﴾ جامع البيان (٥١١-٥١٢)، و(٧٣) ﴿وَلَيْدٌ رَبِّكَ نَدُوٌّ فَضَّلِ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٣﴾ جامع البيان (١١/١٠)، والقصاص

(٧٠) ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٧﴾ جامع البيان (٩٧/١٠)، والعنكبوت (٢٢) ﴿ وَمَا أَنْشَرِ الْمُتَمَجِّجِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ﴿٨﴾ جامع البيان (١٣١/١٠)، والروم (١٩) ﴿ يَخْرُجُ النَّعَى مِنَ اللَّيْتِ وَيَخْرُجُ اللَّيْتُ مِنَ النَّعَى وَيَخْرُجُ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكَ ﴾ ﴿٩﴾ جامع البيان (١٧٤/١٠)، و(٥١) ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾ جامع البيان (١٩٧/١٠)، ولقمان (١٠) ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِعَبْرِ عَمِدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ الآية جامع البيان (٢٠٦/١٠)، والأحزاب (٥) ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَسْمَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٢٥٧/١٠)، وسبأ (٢٧) ﴿ قُلْ أَزْوَاجُ الذَّبَابِ الْحَقْمَةُ بِهِ شُرَكَاءُ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْمَنِينُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٧٧﴾ جامع البيان (٣٧٧/١٠)، وفاطر (٥) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٥/١٠)، و(١٦) ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ ﴿٨٦﴾ جامع البيان (٤٠٥/١٠)، والزمر (٤٢) ﴿ اللَّهُ يَتَوَكَّفُ الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ الآية جامع البيان (٩/١١)، وغافر (٥) ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُهُمْ قَوْمٌ نُوْحٍ وَالْأَخْرَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ الآية جامع البيان (٤٠/١١)، وفصلت (٣٦) ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿٦٥﴾ جامع البيان (١١٢/١١)، والشورى (٤٦) ﴿ وَمَا كَانَتْ لَكُمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ بِصُورَتِكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ مُضِلٌّ سَبِيلًا ﴾ ﴿٥٥﴾ جامع البيان (١٦٠/١١)، والزخرف (٢٦) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ ﴿٦٣﴾ جامع البيان (١٧٨/١١)، و(٤١) ﴿ فَإِنَّمَا نَذَرْنَا بِكَ فَإِنَّا مِنْتُمْ مُنْقِمُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ جامع البيان (١٩٠/١١-١٩١)، والجاثية (٢٢) ﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْمَنِّ وَالشَّجَرَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ﴿٦٥﴾ جامع البيان (٢٦١/١١)، وسورة ق (١٤) ﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمِ تُبَّعٍ كُلِّ كَذَّبَ الرَّسُلَ عَنْ وَصِيدٍ ﴾ ﴿١٥﴾ جامع البيان (٤١٣/١١)، والطور (٢٤) ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يُزْوَجُونَ ﴾ ﴿١٦﴾ جامع البيان (٤٩٢/١١)، والنجم (٣١) ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَفَا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ ﴾ ﴿٦٥﴾ جامع البيان (٥٢٥/١١)، والحديد (١٧) ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾ جامع البيان (٦٨٢/١١)، والمجادلة (٢٢) ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٢٦/١٢)، والحاقة (٣٦) ﴿ وَلَا طَلَمٌ إِلَّا مِنْ غَائِبِينَ ﴾ ﴿٦١﴾ جامع البيان (٢٢١/١٢)، والجن (٥) ﴿ وَأَنَا طُنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسِ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ ﴿٥٥﴾ جامع البيان (٢٦٢/١٢)، والمرسلات (٤١) ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴾ ﴿٥٥﴾ جامع البيان (٣٩٢/١٢)، والنبأ (١٩) ﴿ وَيُحْيِي السَّمَاءَ فَكَانَتْ أَسُودًا ﴾ ﴿١٩﴾ جامع البيان (٤٠٢/١٢)، والليل (١٣) ﴿ وَإِذْ لَنَا الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴾ ﴿١٣﴾ جامع البيان (٦١٨/١٢)، والعلق (٩-١٠) ﴿ أَرْمَيْتَ اللَّيْلَ بِنَعْنَى ﴾ ﴿١٠﴾ عبدا إذا صلَّى ﴿١٠﴾ جامع البيان (٦٤٧/١٢) .

## المطلب الثاني : مناسبة الآية مع ما بعدها :

ومثاله قوله -تعالى-: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣] قال -رحمه الله-: "...وأما قوله: ﴿ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ فإنه يعني: أنهم خرجوا من حذر الموت فراراً منه... قال أبو جعفر: وإتما حث الله -تعالى ذكره- عباده بهذه الآية على المواظبة على الجهاد في سبيله، والصبر على قتال أعداء دينه، وشجعهم بإعلامه إياهم وتذكيره لهم أن الإمامة والإحياء بيديه وإليه دون خلقه، وأن الفرار من القتال والهرب من الجهاد ولقاء الأعداء إلى التحصن في الحصون، والاختباء في المنازل والدور، غير منح أحدًا من قضائه إذا حل بساحته، ولا دافع عنه أسباب منيته إذا نزل بعقوبته [هكذا، أي: بساحته]، كما لم ينفع الهاربين من الطاعون الذين وصف الله -تعالى ذكره- صفتهم في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ فرارهم من أوطانهم، وانتقالهم من منازلهم إلى الموضوع الذي أمثلوا بالمصير إليه السلامة، وبالموتل النجاة من المنية، حتى أتاهم أمر الله، فتركهم جميعاً خموداً صرعى، وفي الأرض هلكى، ونجا مما حل بهم الذين باشرُوا كرب الوباء وخالطوا بأنفسهم عظيم البلاء. " (١)

فهذا التنبيه بقصة الفارين من الموت ولم ينفعهم فرارهم بل أنزله الله عليهم؛ ليستجيب المؤمن لدعوة الله في الآية التالية وهي قوله: ﴿ وَفَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٤٤].

(١) جامع البيان (٢/٦٠٥)، وتحقيق شاكر (٥/٢٧٧)، وانظر مواضع أخرى في: البقرة (٤٣) ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَبُوا مَعَ الرِّكَابِ ﴾ [٤٣] جامع البيان (١/٢٩٥)، و(٢٠٨) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَافَّةً وَلَا تَخْشَوُا خُطُوبَ السَّخَطِ إِنَّكُمْ عِنْدَ اللَّهِ لَكَرِيمُونَ ﴾ [٤٣] جامع البيان (٢/٣٣٨)، والأنفال (٦٣) ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٦٣] جامع البيان (٦/٢٨٠)، والحج (١٧) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُجْرِمِينَ وَالَّذِينَ اشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ جامع البيان (٩/١٢١).

## المطلب الثالث : مناسبة الآية مع ما قبلها وما بعدها :

ففي قوله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَهْوٌ وَلَهُوَ لَئِيمٌ وَإِن تَوَمَّنُوا وَتَنَقَّلُوا فِي أَمْثَلِكُمْ وَلَا يَسْتَأْذِنُكُمْ أَمْوَالِكُمْ ۗ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُخْفِئْكُمْ بِهَا فَيَكْفُرُوا بِمَا آتَوْا وَيَخْرُجُوا عَلَيْكُمْ غَضَبًا وَمُنْجَبًا ۗ فَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ﴾ [محمد: ٣٦ - ٣٧] قال -رحمه الله-: " يقول -تعالى- ذكروه-: حاضاً عباده المؤمنين على جهاد أعدائه ، والنفقة في سبيله ، وبذل مهجتهم في قتال أهل الكفر به : قاتلوا أيها المؤمنون أعداء الله وأعداءكم من أهل الكفر ، ولا تدعكم الرغبة في الحياة إلى ترك قتالهم ، فإنما الحياة الدنيا لعب ولهو ، إلا ما كان منها لله من عمل في سبيله ، وطلب رضاه ، فأما ما عدا ذلك فإنما هو لعب ولهو ، يضمحل فيذهب ويندرس فيمر ، أو إثم يبقى على صاحبه عاره وحزبه... " (١)

فالآيات قبل هذه الآية وبعدها في ذكر أحكام الجهاد ، وهنا يبحث الله -عز وجل- على النفقة في الجهاد التي هي من أهم دعائمه ، وبعدها قول الله تعالى : ﴿هَاتِئِنَّ هَؤُلَاءِ جُنُودٌ لِّسَفْهِائِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۗ وَلَئِن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ۗ﴾ [محمد: ٣٨] (٢).

(١) جامع البيان (١١/٣٢٨).

(٢) وانظر مواضع أخرى في : البقرة (٤٠) ﴿يَبْقَىٰ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نَعْبَىٰ آلِي أَنْثَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ الآية جامع البيان (١/٢٨٦-٢٨٧) ، و(١٣٠) ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ الآية جامع البيان (١/٦٠٨) ، و(١٥٣-١٥٤) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ الآيتين جامع البيان (٢/٤١-٤٤) ، وآل عمران (١٣٢) ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ جامع البيان (٣/٤٣٥) ، والنساء (١٤٤) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكٰفِرِينَ ءَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية جامع البيان (٤/٣٣٥) ، والمائدة (٧٨) ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ الآية جامع البيان (٤/٦٥٦) ، والتوبة (٢٣) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَءَخْوَانَكُمْ ءَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكٰفِرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْكُمْ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ جامع البيان (٦/٢٣) ، ويونس (٤٢-٤٤) ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَعِينُ إِلَيْكَ ءَأَن تَسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ الآيات جامع البيان (٦/٥٦٣-٥٦٤) ، والنحل (٥٢) ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَءَلْأَرْضِ ۗ وَلَهُ الَّذِينَ ءَصٰبَ ءَأَفْدَرُ اللَّهُ نَفْسًا﴾ جامع البيان (٧/٥٩٦) ، والإسراء (٥٥) ﴿وَرَبُّكَ ءَعَلَّمَ يَمِينَ﴾

### المطلب الرابع : قد يعود بالمناسبة على متقدّم بعيد في السورة :

كما في قوله تعالى: ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٠] قال - رحمه الله -: " يقول -جلّ ثناؤه- : وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى محمد -ﷺ- ذكراً لمن تذكر به ، وموعظة لمن اتعظ به ، مبارك أنزلناه كما أنزلنا التوراة إلى موسى وهارون ذكراً للمتقين . ﴿ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ يقول - تعالى ذكره- : أفأنتم أيها القوم لهذا الكتاب الذي أنزلناه إلى محمد منكرون ، وتقولون هو ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ بِكُلِّ آفْرَةٍ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥] وإنما الذي آتيناه من ذلك ذكراً للمتقين ، كالذي آتيناه موسى وهارون ذكراً للمتقين . " (١)

لقد ساق الله - سبحانه - قول الكافرين أول السورة فقال: ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ بِكُلِّ آفْرَةٍ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴾ ، وفي هذه الآية رد على قولهم وتكذيبهم ، ولو طال الفصل، وللآية مناسبة قريبة بعد ذكر التوراة في قوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيكَهُ وَذَكَرْنَا لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨] ، فمحمد -ﷺ- - أوتي مثل ما أوتي موسى -ﷺ- . (٢)

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَمَاتَيْنَا دَاوُدَ دُرُورًا ﴿٥٥﴾ جامع البيان (٩/٩٤) ، وطه (٥١) ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴾ ﴿٥٥﴾ جامع البيان (٨/٤٢٣) ، والدخان (٣٨) ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادِكُمْ ﴾ ﴿٣٧﴾ جامع البيان (١١/٢٤٢) .  
(١) جامع البيان (٩/٣٥) .

(٢) وانظر بقية المواضع في : البقرة (٨٧) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ الآية جامع البيان (١/٤٥٠) ، و (١٥٠) ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۚ إِنَّهَا يُكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٣٨) ، و (٢٤٦) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ آلِ الْعَالِيَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ قَالُوا لَتَنَجِّنَا اللَّهُ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّةِ إِنَّا كُنَّا مُّؤْمِنِينَ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٦١٥) ، والنساء (٨٣) ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِعَدُوِّهِمْ ﴾ الآية جامع البيان (٤/١٨٥) ، والمائدة (٤٠) ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الآية جامع البيان (٤/٥٧١) ، و (٦٤) ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾

## المبحث الرابع : الربط بين مقاطع السورة :

وقد يُبرز الربط بين المقاطع شيئاً من محور السورة ، ولا شك أن تتبع المناسبات في السورة الواحدة عمدة إبراز محور السورة في التفسير الموضوعي<sup>(١)</sup> ، وأكبر مثال على ذلك: ربط الإمام بين آيات سورة الأنعام ، وإحالة الآيات إلى الحديث عن العادلين برهم في أول السورة ، وهم المشركون : وكان هذا الربط في آيات منها قوله -تعالى-: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُشْكِكِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأنعام: ١١]<sup>(٢)</sup> وقوله -تعالى-: ﴿ قُلْ لِمَنْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنَّ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢]<sup>(٣)</sup> وقوله -تعالى-: ﴿ وَمَنْ يَسْتَعْجِلْ بِكَ وَسَجَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا مِنْهُ لَا يُؤْمِنُ بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٥]<sup>(٤)</sup> وقوله -تعالى-: ﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٩]<sup>(٥)</sup> وقوله -تعالى-: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبِثٌ وَلَهُوَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّالَّذِينَ يَنْقُورُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣]<sup>(٦)</sup> وقوله -تعالى-: ﴿ قُلِ اللَّهُ يَتَّبِعِكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ مَكْرَبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُنْشِرُونَ

عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُؤْمُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُوقِفُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴿ الآية جامع البيان (٤/٦٤٢) ، وسورة ص (٦٧) ﴾ ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ

﴿٣٧﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٦٠٣) ، والأحقاف (٣٣) ﴾ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ يُعَذِّبُهُنَّ بِقَدِيرٍ

عَلَىٰ أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ جامع البيان (١١/٣٠١).

(١) انظر مباحث في التفسير الموضوعي للدكتور مصطفى مسلم صفحة (٥٧) ، والتفسير الموضوعي : علم يتناول القضايا ، حسب المقاصد القرآنية ، من خلال سورة أو أكثر . المرجع نفسه صفحة (٦) .

(٢) جامع البيان (٥/١٥٤) .

(٣) جامع البيان (٥/١٥٤) .

(٤) جامع البيان (٥/١٦٨) .

(٥) جامع البيان (٥/١٧٦) .

(٦) جامع البيان (٥/١٧٩) .



﴿٤٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم مَّا بَعْضٌ أَنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْأَيَّاتِ لِمَن لَّمْ يَهْتَدِ لِيُفْقَهُنَّ ﴿٤٥﴾ [الأنعام: ٦٤ - ٦٥] <sup>(١)</sup> وقوله -تعالى-: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَيِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ ﴿٣٣﴾ [الأنعام: ٧٣] <sup>(٢)</sup> وقوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ تُوَفُّوْنَ ﴿٥٥﴾ [الأنعام: ٩٥] <sup>(٣)</sup> وقوله -تعالى-: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا بِمَعْشَرٍ لَّيِّنٍ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَلِيلِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٨﴾ [الأنعام: ١٢٨] <sup>(٤)</sup> وقوله -تعالى-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيُرِدُّوهُمْ وَلِيَاسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ ﴿١٣٧﴾ [الأنعام: ١٣٧] <sup>(٥)</sup> وقوله -تعالى-: ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنفُسُكُمْ وَجَعَلْنَاهَا سِرَّاتٍ لَّيِّنًا وَمَا نَرَاهُمْ بِمَشْرِعَةٍ وَأَنفُسُكُمْ كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ ﴿١٣٨﴾ [الأنعام: ١٣٨] <sup>(٦)</sup> وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَعَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَادًا وَالزَّيْتُونَ وَالزَّمَانُ مُمْتَكِنًا وَعَيْرَ مُمْتَكِنًا كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ [الأنعام: ١٤١] الآيات <sup>(٧)</sup> وقوله -تعالى-: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنزِلْ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ عَلَىٰ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا نَفْسٍ مِّنْهَا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي كَفَرْتُمْ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ﴿١٥١﴾ [الأنعام: ١٥١] <sup>(٨)</sup> .

(١) جامع البيان (٢١٧/٥) .

(٢) جامع البيان (٢٣٥/٥) .

(٣) جامع البيان (٢٧٥/٥) .

(٤) جامع البيان (٣٤٣/٥) .

(٥) جامع البيان (٣٥٢/٥) .

(٦) جامع البيان (٣٥٤/٥) .

(٧) من (١٤١-١٤٤) ، جامع البيان (٣٦١-٣٧٧) .

(٨) جامع البيان (٣٩٠/٥) .

فتلاحظ أن الإمام -رحمه الله- في تفسيره سورة الأنعام: أعاد هذه الآيات المتعددة إلى العادلين برهم أول السورة، من قوله -تعالى-: ﴿لِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١]؛ وقد ورد هذا الوصف آخر السورة قبل آيات الوصايا العشر في قوله -تعالى-: ﴿قُلْ هَلَمْ شُهِدْكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا إِنْ شِئْتُمْ فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنَتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنعام: ١٥٠]، وهذا يؤكد محور السورة التي تحدثت عنه -والله أعلم-، وغير هذه السورة كثير.

(١) وانظر مواضع أخرى في: البقرة (٢٨) ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَنًا فَأَحْيَيْكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُكُمْ ثُمَّ يَأْتِيكُمُ ﴿٣٨﴾﴾ جامع البيان (١/٢٢٢-٢٢٧)، و﴿فَلَمَّا قَسَتْ أَوْدَانُ مِنْ رَبِّهِمْ كَلِمَتًا فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ الْقَوَابِ الرَّجِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ جامع البيان (١/٢٨٣)، و﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَمْرَيْنَاكُمَا وَغَرَقْنَا هَالِ فَهَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ الآيات جامع البيان (١/٣١٧-٣٧٠)، و﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ جامع البيان (١/٤٣٢)، و﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٧٨﴾﴾ جامع البيان (١/٥٣٢-٥٣٣)، و﴿وَأَيُّهَا الْحَجَّ وَالْمُرَّةَ لِلَّهِ ﴿١٩٦﴾﴾ الآية جامع البيان (٢/٢١٩)، و﴿وَأَلْ عَمْرَانِ (١٢١) ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٠﴾﴾ جامع البيان (٣/٤١٥)، و﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴿١٤٧﴾﴾ الآية جامع البيان (٣/٤٦٥)، و﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾ جامع البيان (٣/٥٢٦-٥٢٧)، والمائدة (١٢) ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ﴿١٢﴾﴾ الآية جامع البيان (٤/٤٨٨)، و﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ﴿٢٧﴾﴾ الآية جامع البيان (٤/٥٢٧)، والأعراف (٨٤) ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ جامع البيان (٥/٥٤٢)، وهود (١١٠) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِنَ بِهِمْ وَإِنِّي لَأَنَّ فِي سُلَيْكُ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿١١٠﴾﴾ جامع البيان (٧/١٢٠)، و﴿وَكَلَّا تَقْضُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴿١٢٠﴾﴾ الآية جامع البيان (٧/١٤٢)، والرعد (٨) ﴿اللَّهُ يَتَكَلَّمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْفٍ وَمَا تَرِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزِدَادُ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ جامع البيان (٧/٣٤٤)، وإبراهيم (٥) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِعَايِنَتِنَا أَنْتَ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ ﴿٥﴾﴾ الآية جامع البيان (٧/٤١٦)، الكهف (٨٢) ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴿٨٢﴾﴾ الآية جامع البيان (٨/٢٧٠)، وطه (١١٥) ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا لِآدَمَ مِنْ

## المبحث الخامس : التناسب والتقسيم :

وهذا العنوان يبرز ويؤكد قضية المثاني في القرآن الكريم ، لقد وصف الله عزّ وجلّ - كتابه بأنه مثاني فقال : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًا ﴾ [الزمر: ٢٣] ، ساق ابن كثير - رحمه الله -

قَبْلَ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١٧﴾ ﴿ جامع البيان (٤٦٥/٨) ، والفرقان (٢٠) ﴾ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِفْتِهَمَ لِيَأْكُلُوا الطَّلْعَامَ وَيَشْرَبُوا فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٧٦/٩) ، والشعراء (١٩٥) ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿ جامع البيان (٤٧٦/٩) ، والنمل (٩٣) ﴾ ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَ مَا يُدْرِكُ أَيْدِيَهُمْ فَنَعْرِفُونَهَا وَمَا رُكَّعٌ يُغْفَلُ عَنْهَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿ جامع البيان (٢٥/١٠) ، والقصص (٤٠) ﴾ ﴿ فَأَخَذْتَهُ وَخَوَّدَهُ. فَسَبَّحْنَاهُمْ فِي الْآيَةِ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿ (٧١) ، و(٧٥/١٠) ﴾ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَبْعُمًا لَيْلًا فَقَالُوا لَيْسَ اللَّهُ بِذِي عِلْمٍ ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿ جامع البيان (٩٧/١٠) ، وسبأ (٢٢) ﴾ ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَضَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْكُمْ شَيْئًا وَكَانَ شِرْكُهُمْ أَعْيُنُكُمْ وَأَلْأَبْصَارُكُمْ فَاعْبُدُوا اللَّهَ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ وَجْهِهِ الْكَاذِبُ بَلَّغَ الْأَبْرَارَ ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿ جامع البيان (٣٧١/١٠) ، وسورة ص (١٧) ﴾ ﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿ جامع البيان (٥٦١/١٠) ، و(٤٨) ﴾ ﴿ وَأَذْكُرْ إسماعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿ جامع البيان (٥٩٤/١٠) ، و(٧٥-٧٦) ﴾ ﴿ قَالَ يَا إِبْرَاهِيمُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ إِنَّكَ كَبْرَتَ الْاِسْمَاءِ بَلْ أَنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿ فصلت (٣٤) ﴾ ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿ جامع البيان (١١٠-١١١) ، والزخرف (٤٦) ﴾ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ فَجَاءُوا بِرُسُلِهِمْ فَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ وَالْحَقْلَ وَالْأَحْقَافَ ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿ وَأَذْكُرْ أَنَا عَلُو إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّجْدُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ الآية جامع البيان (٢٩٠/١١) ، والفتح (٢٨) ﴾ ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَبِالْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿ جامع البيان (٣٦٩/١١) ، وسورة ق (١٥) ﴾ ﴿ أَنْصِبْنَا بِالْحَلَقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿ جامع البيان (٤١٤/١١) ، والقمر (٤٣) ﴾ ﴿ أَكْفَرْتُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيئِكُمْ أَنْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿ جامع البيان (٥٦٦/١١) ، الواقعة (٥٨) ﴾ ﴿ أَقْرَبَيْتُمْ مَا تَشْتَرُونَ ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿ جامع البيان (٦٥١/١١) ، والنازعات (٤٢) ﴾ ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿ جامع البيان (٤٤١/١٢) .

أقوال المفسرين في معنى : ﴿مَثَانِي﴾ ومنها قول مجاهد : " يعني: القرآن كله ، متشابه مثاني ، وقال قتادة : الآية تشبه الآية ، والحرف يشبه الحرف ، وقال الضحَّاك : ﴿مَثَانِي﴾ : ترديد القول ؛ ليفهموا عن ربه عزَّ وجلَّ - ، وقال عكرمة والحسن : ثنى الله فيه القضاء ، زاد الحسن : تكون السورة فيها آية ، وفي السورة الأخرى آية تشبهها ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿مَثَانِي﴾ مرَّد ، ردَّد موسى في القرآن ، وصالح ، وهود ، والأنبياء عليهم السلام - في أمكنة كثيرة ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : ﴿مَثَانِي﴾ قال : القرآن يشبه بعضه بعضاً ، ويردُّ بعضه على بعض ، وقال بعض العلماء : ويروى عن سفيان بن عيينة ، معنى قوله : ﴿مُتَشَبِّهًا مَثَانِي﴾ أن سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد ، فهذا من المتشابه ، وتارة تكون بذكر الشيء وضده ، كذكر المؤمنين ثم الكافرين ، وكصفة الجنة ثم صفة النار ، وما أشبه هذا ، فهذا من المثاني ، كقوله - تعالى - : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ الْأَفْجَارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٤] وكقوله : ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧٧﴾﴾ [المطففين: ٧] إلى أن قال : ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿٨٨﴾﴾ [المطففين: ١٨] ، ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَنَاقِبٍ ﴿٩١﴾﴾ [ص: ٤٩] إلى أن قال : ﴿هَذَا وَإِلَى الطَّاغِيَةِ لَنُزُومٍ ﴿٩٥﴾﴾ [ص: ٥٥] ، ونحو هذا من السياقات ، فهذا كله من المثاني ، أي : في معنيين اثنين ، وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد ، يشبه بعضه بعضاً : فهو المتشابه ، وليس هذا من المتشابه المذكور في قوله : ﴿مِنْهُ مَا يَكْتُبُ مَحْكُومٌ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ وَأَخْرُ مُتَشَبِّهَةٌ﴾ [آل عمران: ٧] ذلك معنى آخر .<sup>(١)</sup>

ومن المثاني كما سبق في قول سفيان بن عيينة - رحمه الله - : أنها تارة تكون بذكر الشيء وضده ، كذكر المؤمنين ثم الكافرين ، وكصفة الجنة ثم صفة النار ، وما أشبه هذا . ويشبه هذا - إلى حدٍّ ما - ، ما يعطف في القرآن من صفات فريق على فريق آخر فهو مقابل له في الصفات ، ووجه إظهاره لتناسب الآيات : من جهة التقابل والتضاد .

ومن أمثلة هذا النوع : قوله - تعالى - : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ إِلَهِمَ إِلَّا اللَّهُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٦] قال أبو جعفر : " يعني بذلك - جل ثناؤه - : وإذا قيل لهذا المنافق - الذي

(١) تفسير القرآن العظيم (٥٢/٤) ، ودار الشعب (٨٤/٧) .

نعت نعتة لنبيه عليه السلام وأخبره أنه يعجبه قوله في الحياة الدنيا- : اتق الله ، وحفّه في إفسادك في أرض الله ، وسعيك فيها بما حرّم الله عليك من معاصيه ، وإهلاكك حروث المسلمين ونسلهم ، استكبر ودخلته عزّة وحمية بما حرّم الله عليه ، وتمادى في غيه وضلاله صليّ نار جهنم ، ولبس المهاد لصاليتها...

واختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية : فقال بعضهم : عني بها كل فاسق ومنافق... أبو رجاء العطاردي<sup>(١)</sup> : قال سمعت عليّاً في هذه الآية : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [البقرة: ٢٠٤] إلى : ﴿ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧] قال عليّ : اقتتلا وربّ الكعبة...

[و] قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧] قال : كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إذا صلى السبحة<sup>(٢)</sup> وفرغ، دخل مربرداً له<sup>(٣)</sup>، فأرسل إلى فتیان قد قرعوا القرآن ، منهم ابن عباس ، وابن أخي عيينة<sup>(٤)</sup>، قال : فيأتون فيقرعون القرآن ويتدارسونه ، فإذا كانت القائلة انصرف . قال فمرّوا بهذه الآية : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ إِلْهَآئُهُ ﴾ [البقرة: ٢٠٦ - ٢٠٧] قال ابن زيد : وهؤلاء المجاهدون في سبيل الله . فقال ابن عباس لبعض من كان إلى جنبه : اقتتل الرجلان . فسمع عمر ما قال ، فقال : وأي شيء قلت ؟ قال : لا شيء ، يا أمير المؤمنين . قال : ماذا قلت ؟ اقتتل الرجلان ؟ قال : فلما رأى ذلك ابن عباس ، قال : أرى هاهنا من إذا أمر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم ، وأرى من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ، يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله ، فإذا لم يقبل وأخذته العزة بالإثم ، قال هذا : وأنا أشتري نفسي فقاتله ، فاقتتل الرجلان . فقال عمر: لله بلادك يا ابن عباس<sup>(٥)</sup>.

(١) هو عمران بن ملحان ، وقيل : تيم ، ويقال عطاردي بن برد ، التميمي البصري ، من أكابر المخضرمين ، أدرك الجاهلية ، وأسلم بعد الفتح ، ولم ير النبي -صلى الله عليه وسلم- ، كان عبداً كثير القراءة للقرآن ، مات سنة خمس ومائة ، وقيل غير ذلك ، وله أكثر من عشرين ومائة سنة . انظر سير أعلام النبلاء (٤/٢٥٣) ، وشذرات الذهب (١/١٣٠).

(٢) السبحة هي : التطوع من الذكر والصلاة . انظر القاموس المحيط ومختار الصحاح مادة (س ب ح) .

(٣) المربرد فضاء وراء البيوت يرتفق به ، أو موضع يجفف فيه التمر . انظر تحقيق شاکر (٤/٢٤٥) .

(٤) هو الحرّ بن قيس بن حصين ، ويقال : الحارث ، كان من نفر الذين يدنيهم عمر . تحقيق شاکر (٤/٢٤٥) .

(٥) لله بلادك : كلمة تقال في المدح ، كقولك : لله درك .

وقال آخرون : بل عني به الأحنس بن شريق . " (١)

-ثم قال في قوله -تعالى-: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧] : " ثم اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية فيه ، ومن عني بها: فقال بعضهم : نزلت في المهاجرين والأنصار ، وعني بها : المجاهدون في سبيل الله... وقال بعضهم : نزلت في رجال من المهاجرين بأعيانهم... وقال آخرون : بل عني بذلك كل شار نفسه في طاعة الله وجهاد في سبيله ، أو أمر بمعروف... عن أبي الخليل<sup>(٢)</sup> ، قال : سمع عمر إنساناً قرأ هذه الآية : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ قال : استرجع عمر فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون، قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل .

قال أبو جعفر : والذي هو أولى بظاهر هذه الآية من التأويل : ما روي عن عمر ابن الخطاب، وعن علي بن أبي طالب ، وابن عباس -رضي الله عنهم- ، من أن يكون عني بها الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر . وذلك أن الله -جل ثناؤه- وصف صفة فريقين : أحدهما : منافق ، يقول بلسانه خلاف ما في نفسه ، وإذا اقتدر على معصية الله ركبها ، وإذا لم يقتدر رامها ، وإذا نُهي أخذته العزة بالإثم بما هو به آثم ، والآخر منهما : بائع نفسه ، طالب من الله رضا الله . فكان الظاهر من التأويل : أن الفريق الموصوف بأنه شري نفسه لله ، وطلب رضاه ، إنما شراها للوثوب بالفريق الفاجر طلب رضا الله . فهذا هو الأغلب الأظهر من تأويل الآية . " (٣)

وهذا المعنى من المناسبة وصل إليه من جهة النظر إلى التقابل بين الفريقين ، وارتباط أحدهما بالآخر في الآيات ، وإن كان في الحقيقة له ارتباط بالمعنى .

(١) انظر جامع البيان (٣٣٢/٢) ، وتحقيق شاکر (٢٤٤/٤) ، والأحنس ، هو أبو ثعلبة ، أبي بن شريق بن عمرو الثقفي ، ويعرف بالأحنس ، كان حليف بني زهرة ، وأعطاه النبي ﷺ -مع المؤلفلة قلوبهم ، توفي في خلافة عمر . انظر أسد الغابة (٦٠/١) .

(٢) هو صالح بن أبي مريم الضبي البصري مولاهم ، من التابعين ، من الطبقة السادسة ، وثقه : ابن معين ، وأبو داود ، والنسائي ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وأغرب ابن عبد البر فقال : لا يحتج به . انظر تهذيب التهذيب (٢٠٠/٢) ، والتقريب ترجمة (٢٨٨٧) صفحة (٢١٥) .

(٣) جامع البيان (٣٣٢/٢-٣٣٤) ، وتحقيق شاکر (٢٤٧/٤) . وانظر البقرة (٢٥٤) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ بَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا حُلَّةَ وَلَا سَفَنَةَ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٣) .

## المبحث السادس : المناسبات الإشارية :

هناك مناسبات دقيقة قد تدخل في التفسير الإشاري ، والمقصود بالتفسير الإشاري: ما وراء الكلمات القرآنية من معاني باطنة ، فلآية ظاهر وباطن ، وهو نوعان : إذا أوغل الإنسان في الإشارات الخفية صار ضرباً من التجهيل<sup>(١)</sup>، وإذا كان أخذها من طريق القياس والإشارة المتوازنة ، فلا بد فيه من شروط أربعة نص عليها شيخ الإسلام ابن القيم -رحمه الله- وهي :

١. "أن لا يناقض معنى الآية .
٢. -وأن يكون معنى صحيحاً في نفسه .
٣. -وأن يكون في اللفظ إشعار به .
٤. -وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم ، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطاً حسناً"<sup>(٢)</sup>.

ففي قوله -تعالى-: ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرُونَ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعِبَادٍ لِّمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١١١] قال أبو جعفر : " يقول -تعالى- ذكْرُه- : لقد كان في قصص يوسف وإخوته عبرة لأهل الحجا والعقول ، يعتبرون بها ، وموعظة يتعظون بها ، وذلك أن الله -جل ثناؤه- بعد أن ألقى يوسف في الحب ليهلك ، ثم بيع العبيد بالخسيس من الثمن ، وبعد الإسار والحبس الطويل ملكه مصر ، ومكّن له في الأرض ، وأعلاه على من بغاه

(١) انظر مباحث في علوم القرآن (٣٦٧-٣٦٨) لمناع القطان .

(٢) التبيان في أقسام القرآن صفحة (٩٠) لابن القيم ، تحقيق فواز أحمد زمرلي .

ومن أمثلة التفسير الإشاري : ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٧٩] قال ابن تيمية : "القسم الثاني : أن يجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس لا من باب دلالة اللفظ ، فهذا من نوع القياس ، فالذي تسميه الفقهاء قياساً ، هو الذي تسميه الصوفية إشارة ، وهذا ينقسم إلى صحيح وباطل كأنقسام القياس إلى ذلك ، فمن سمع قول الله تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ وقال : إنه اللوح المحفوظ أو المصحف فقال كما أن اللوح المحفوظ الذي كتب فيه حروف القرآن لا يمسه إلا بدن طاهر ، فمعاني القرآن لا يدوقها إلا القلوب الطاهرة وهي قلوب المتقين ، كان هذا معنى صحيحاً ، واعتباراً صحيحاً ، ولهذا يروى هذا عن طائفة من السلف " . مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/٢٤١-٢٤٢) .

سوءاً من إخوته، وجمع بينه وبين والديه وإخوته بقدرته بعد المدة الطويلة ، وجاء بهم إليه من الشقة النائية البعيدة. فقال -جل ثناؤه- للمشركين من قريش من قوم نبيه محمد -ﷺ- : لقد كان لكم أيها القوم في قصصهم عبرة لو اعتبرتم به ، أن الذي فعل ذلك بيوسف وإخوته ، لا يتعذر عليه فعل مثله. محمد -ﷺ- ، فيخرجه من بين أظهركم ، ثم يظهره عليكم ، ويمكن له في البلاد، ويؤيده بالجند والرجال من الأتباع والأصحاب ، وإن مرت به شدائد وأتت دونه الأيام والليالي والدهور والأزمان . وكان مجاهد يقول : معنى ذلك : لقد كان في قصصهم عبرة ليوسف وإخوته ...

**قال أبو جعفر :** وهذا القول الذي قاله مجاهد ، وإن كان له وجه يحتمله التأويل ، فإن الذي قلنا في ذلك أولى به ؛ لأن ذلك عقيب الخبر عن نبينا محمد -ﷺ- وعن قومه من المشركين ، وعقيب تهديدهم ووعيدهم على الكفر بالله وبرسوله محمد -ﷺ- ، ومنقطع عن خبر يوسف وإخوته ، ومع ذلك أنه خبر عام عن جميع ذوي الألباب ، أن قصصهم لهم عبرة ، وغير مخصوص بعض به دون بعض. فإذا كان الأمر على ما وصفنا في ذلك ، فهو بأن يكون خبراً عن أنه عبرة لغيرهم أشبهه... " (١)

وهذه المناسبة ليست بظاهرة لأول وهلة ، وإنما خرجت بالتفكر والتأمل ، وقد ذكرها الرازي -رحمه الله- من أنواع العبر : حيث أشار إلى الاعتبار بما في إعزاز يوسف بعد إلقائه في الحب ، وما حصل له من الضعف والمصائب ، ووهبه الله الملك والعزة ، بعد زمان . (٢)

(١) جامع البيان (٧/٣٢٤-٣٢٥) .

(٢) انظر التفسير الكبير (جزء ١٨/٢٢٧-٢٢٨) . وانظر بقية المواضع في : البقرة (٢٤٨) ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٦٢٠) ، و(٢٥١) ﴿ فَهَزَمُوهُمْ يَدُونَ اللَّهِ وَقَتَل دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٦٤٦) ، وآل عمران (٤٤) ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ النَّبِيِّ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ الآية جامع البيان (٣/٢٦٧) ، والمائدة (٦٠) ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٍ عِنْدَ اللَّهِ أَمْ لَكُمْ آلِهَةٌ وَغَضِبَ عَلَيَّ ﴾ الآية جامع البيان (٤/٦٣٦) ، والأنفال (٣١) ﴿ وَإِذَا ثَلَاثَةٌ عَلَيْهِمْ فَلْيُتَنَّا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا ﴾ الآية جامع البيان (٦/٢٢٩) ، و(٣٢) ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اقْتُلْنَا بِعَذَابِ الْآلِمْ ﴾ جامع البيان (٦/٢٣٠) ، و(٣٥) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْفِكُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٤/٢٤١) ، و(٣٩) ﴿ وَقَدْ نَلَأْتُمْ حَقًّا لَا تَكُونُ فِتْنَةً وَيَكُفِّرُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية جامع البيان (٦/٢٤٥) .





تبلغهم رسالتي ، كما لم يثن الذين أرسلوا إلى هؤلاء ، فإن عاقبة من لم يصدّقك ويؤمن بك منهم إلى عطب وهلاك ، كالذي كان من هؤلاء الجنود ، ثم بين -جلّ ثناؤه- عن الجنود من هم ؟ . فقال : ﴿ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ يقول: فرعون ، فاجتزئ بذكره ، إذ كان رئيس جنده ، من ذكر جنده وتباعه . وإنما معنى الكلام : هل أتاك حديث الجنود ، فرعون وقومه وثمود ، وخفض فرعون رداً على الجنود ، على الترجمة عنهم ، وإنما فتح ؛ لأنه لا يجري وثمود .<sup>(١)</sup>

والذي يظهر من سياق قصة أصحاب الأندود : أن الله -عزّ وجلّ- لم يذكر عقاباً لأصحاب الأندود في الدنيا ، بل توعدهم بعذاب الآخرة ، فكان التعقيب ببيان قدرة الله -سبحانه- على البطش والإبداء والإعادة ، دالاً على إيقاع العذاب بهم في الدنيا ، حيث استدل على ذلك بحصول العذاب على فرعون وقومه ، حين أغرقوا في اليم في دار الدنيا ، وكما حصل لثمود ، حين أخذتهم الصيحة في الدنيا وهم أحياء ، فأصبحوا في دارهم جاثمين .<sup>(٢)</sup>

وهناك موضعان أشار الإمام -رحمه الله- فيهما : إلى أن الآية معترضة بين آيات: ففي قوله -تعالى- : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١] قال أبو جعفر : " وهذه الآية مردودة إلى قوله : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٥] والآيات التي بعدها إلى قوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ من قصص بني إسرائيل وخبرهم مع

(١) جامع البيان (٥٣٠/١٢) ومعنى قوله : عدم الإجراء : أي : عدم التنوين . وانظر بقية المواضع في : النساء (٧٤) ﴿ فَلْيَقْتَرِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾ الآية جامع البيان (١٧٠/٤) ، والإسراء (٨٣) ﴿ وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ آمْنًا وَعَنَّا بِمِغْنَمَتِنَا وَإِنَّا لَهُ لَنَدِيرٌ ﴾ الآية جامع البيان (٣٠٥/١٠) ، وسبأ (٣) ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٥/١٠) ، والذاريات (٣٨) ﴿ وَفِي مَوْجٍ إِذْ أَرْسَلْتَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ إِسْلَاطِنِ مُيِّمِينَ ﴾ جامع البيان (٤٦٧/١١) ، والتغابن (٧) ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ كُنَّا رِجَالًا كَذِبًا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعِنُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ جامع البيان (١١٤/١٢) ، والحاقة (٣٧) ﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِرُونَ ﴾ جامع البيان (٢٢٢/١٢) .

(٢) انظر في ظلال القرآن (جزء ٣٠/١١٣ و١١٦) .

طالوت وجالوت ، وما بعد ذلك من نبأ الذي حاج إبراهيم مع إبراهيم ، وأمر الذي مرّ على القرية الخاوية على عروشها ، وقصة إبراهيم ومسألته ربه ما سأل مما قد ذكرناه قبل ، اعتراض من الله -تعالى ذكره- بما اعترض به من قصصهم بين ذلك ، احتجاجاً منه ببعضه على المشركين الذين كانوا يكذبون بالبعث وقيام الساعة ، وحثاً منه ببعضه للمؤمنين على الجهاد في سبيله الذي أمرهم به في قوله : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٤] يعرفهم فيه أنه ناصرهم ، وإن قلّ عددهم ، وكثر عدد عدوّهم ، ويعدهم النصر عليهم ، ويعلمهم سنته فيمن كان على منهاجهم ، من ابتغاء رضوان الله أنه مؤيدهم ، وفي من كان على سبيل أعدائهم من الكفار ، بأنه خاذلهم ومفرّق جمعهم ، وموهن كيدهم ، وقطعاً منه ببعض عذر اليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجر رسول الله -ﷺ- ، بما أطلع نبيه عليه من خفيّ أمورهم ، ومكتوم أسرار أوائلهم وأسلافهم التي لم يعلمها سواهم؛ ليعلموا أن ما أتاهم به محمد -ﷺ- من عند الله ، وأنه ليس بتحرّص ولا اختلاق ، وإعذاراً منه به إلى أهل النفاق منهم ، ليحذروا بشكهم في أمر محمد -ﷺ- - أن يحلّ بهم من بأسه وسطوته ، مثل الذي أحلها بأسلافهم الذين كانوا في القرية التي أهلكتها ، فتركها خاوية على عروشها . ثم عاد -تعالى ذكره- إلى الخبر عن الذي يقرض الله قرضاً حسناً ، وما عنده له من الثواب على قرضه ، فقال :

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ " (١)

والحقيقة أن المناسبات لها أوجه عديدة : منها القريب ، ومنها البعيد ، ومن المناسبات مع الآية السابقة : وهي قوله -تعالى- : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠] أن إحياء الله -سبحانه- نوعان : حسي ، وهو ما وقع من إحياء القرية ، وما وقع لخليل الله إبراهيم -ﷺ- ، ومعنوي : وهو ما يكون في تكثير ثواب النفقة في سبيل الله (٢) ، ولها

(١) جامع البيان (٦١/٣) ، وتحقيق شاكر (٥١٢/٥) .

(٢) هذه المناسبة تلقيتها سمعاً عن الدكتور مصطفى مسلم -حفظه الله- ، في محاضرات السنة المنهجية ١٤١٥هـ .

أوجه من المناسبة أحر . (١)

هذه نماذج مختارة من مواضع كثيرة ، بذلت فيها جهداً أرجو أن أكون موفقاً ، وما لا يدرك  
كله ، لا يترك جلّه . - والحمد لله رب العالمين - .

---

(١) وانظر موضعاً آخر في : لقمان (١٥) ﴿ وَلَئِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ الآية جامع البيان (٢١٢/١٠) .

## الفصل الرابع

أثر دلالة السياق في الدلالة على المعنى :

## الفصل الرابع : أثر دلالة السياق في الدلالة على المعنى :

تقدّم في الفصل الماضي ذكر ما يتعلق بالسياق من المناسبات ، ولا يخفى في هذا المقام بيان أثر المناسبة في الدلالة على المعنى ، ولكن أهمية الدلالة على المعنى أساسية ، توجب إفراده بأمثلة موضحة ، والأمثلة كثيرة جداً ، وسأختار الأوضح منها حسب المستطاع . -والله الموفق- .

وسيكون الحديث في هذا الفصل حسب المباحث التالية :

المبحث الأول : دلالة السياق على المعنى في الآية الواحدة .

المبحث الثاني : دلالة السياق على المعنى في الآيات .

المبحث الثالث : دلالة السياق على المخاطب أو الموصوف .

المبحث الرابع : احتمال السياق لمعان متعددة .

المبحث الخامس : مواضع لم يستعن الإمام ابن جرير -رحمه الله- فيها بالسياق لإظهار المعنى .

## المبحث الأول : دلالة السياق على المعنى في الآية الواحدة :

ومن أمثلة ذلك : قوله -تعالى-: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ [البقرة: ٦٨] فجملة: ﴿ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ تفيد أنها ليست بكراً ، ولا فارضاً ، بل هي وسط بينهما .<sup>(١)</sup>

وفي قوله -تعالى-: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدَدٍ أَمْنَةً نُنَاسًا ﴾ [آل عمران: ١٥٤] قال أبو جعفر : " ...بَيْنَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عن الأمانة التي أنزلها عليهم ما هي ؟ فقال : نعاساً ، بنصب النعاس ، على الإبدال من الأمانة ."<sup>(٢)</sup>

وفي قوله -تعالى-: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدًا طَيِّبَةً وَرَبِّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ: ١٥] قال -رحمه الله- : " ورفعت الجنتان في قوله : ﴿ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ ترجمة عن الآية ؛ لأن معنى الكلام : لقد كان لسبأ في مسكنهم آية هي : جنتان عن أيامهم وشمائلهم ."<sup>(٣)</sup>

وفي قوله -تعالى-: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْفِقِينَ وَفَرْدَى ثُمَّ نَنْفَعِكُمْ وَأَبْصَحِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ: ٤٦] قال -رحمه الله- : " وقوله : ﴿ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْفِقِينَ وَفَرْدَى ﴾ يقول : وتلك الواحدة التي أعظكم بها هي : أن تقوموا لله اثنين اثنين ، وفردى فردى<sup>(٤)</sup> ، فـ ﴿ أَنْ ﴾ في موضع خفض ، ترجمة عن الواحدة ."<sup>(٥)</sup>

(١) انظر جامع البيان (٣٨٤/١) ، وتحقيق شاکر (١٩٣/٢) .

(٢) جامع البيان (٤٨٢/٣) ، وتحقيق شاکر (٣١٥/٧) .

(٣) جامع البيان (٣٦١/١٠) .

(٤) هكذا في المطبوعة ، ولعلها : فرداً فرداً ، وفي تحقيق التركي لتفسير ابن جرير (٣٠٤/١٩) فرداً فرداً ، وأشار إلى أن "فردى فردى" جاء في نسخة .

(٥) جامع البيان (٣٨٤/١٠) .

وفي قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حِكْمَانَا الَّتِي نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ [المؤمنون: ٣٧] فليس معنى نموت ونحيا: الحياة بعد الموت؛ لقولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ وإنما "نموت الأحياء منا فلا تحيا، ويحدث آخرون منا فيولدون أحياء، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ يقول: وما نحن بمبعوثين بعد الممات." (١)

وفي قوله -تعالى-: ﴿مِن دَرَابِهِمْ جَهَنَّمُ وَسُقْيَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ ﴿١٦﴾ [إبراهيم: ١٦] قال -رحمه الله-: "وقوله: ﴿وَسُقْيَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ يقول: ويسقى من ماء، ثم بين ذلك الماء -جل ثناؤه- وما هو؟ فقال: هو صديد." (٢)

وفي قوله -تعالى-: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٦٥﴾ [يونس: ٦٥] فكسر همزة ﴿إِنَّ﴾ من قوله: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ دليل على أن القول الماضي لم يعمل فيها؛ لأن القول عني به قول المشركين، وقوله: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ لم يكن قيل من المشركين، ولا هو خير عنهم أنهم قالوه، بل هو خير مبتدأ من الله. (٣)

ثم هذا القول لا يحزن النبي ﷺ، بل يفرحه؛ لأنه وعد له بالنصر، فهو دليل على أنه ليس قول المشركين الأعداء، الذين يقولون ما يحزن لا ما يسر. (٤)

(١) انظر جامع البيان (٢١٣/٩-٢١٤).

(٢) جامع البيان (٤٢٩/٧)، وتحقيق شاکر (٥٤٧/١٦).

(٣) انظر جامع البيان (٥٨٢/٦)، وتحقيق شاکر (١٤٢/١٥).

(٤) وانظر مواضع أخرى - على وجه العموم - تدل على معنى في الآية الواحدة: في البقرة (٣٦) ﴿فَأَرْجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ الآية جامع البيان (٢٧٩/١)، و(١١٣) ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَيْنَا وَوَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَيْنَا وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ الآية جامع البيان (٥٤٤/١)، و(١٣٠) ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ الآية جامع البيان (٦٠٩/١)، و(١٤٥) ﴿وَلَكِنْ أَنْتَبْتِ الَّذِينَ أَوْثَرُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِتْلَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِتْلَهُمْ﴾ الآية جامع البيان (٢٨/٢)، و(١٦٤) ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْمَالِ الَّذِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ الآية جامع البيان (٧١-٧٠/٢)، و(١٦٨) ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَاكًا مَلِيًّا﴾ الآية جامع البيان (٨١/٢)، و(١٧٤) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَسْتَرْوُونَ بِهِ مِمَّا قَلِيلًا﴾ الآية جامع البيان (٩٥/٢)، و(١٨٥) ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ الآية جامع البيان (١٦٤/٢)، و(٢٢٢) ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحْجِينَ قُلْ هُوَ





يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُورًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴿٣٧٩/٥﴾ الآية جامع البيان (٣٧٩/٥) ،  
 و﴿١٤٦﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَزَنًا كَلَّ ذِي ظُفْرِ ﴿٣٨٦/٥﴾ الآية جامع البيان (٣٨٦/٥) ، والأعراف (٤) ﴿وَكَمْ مِنْ قَرِيبٍ  
 أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤٠﴾﴾ جامع البيان (٤٢٨-٤٢٩) ، و﴿٢٠﴾ قَوْمًا لَمَّا الْفَيْصَلُ لِسَبِيٍّ لَمَّا مَا  
 دُورَى عَنْهَا مِنْ سَنُوهُنَّ ﴿٤٤٩/٥﴾ الآية جامع البيان (٤٤٩/٥) ، و﴿٣٨﴾ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ ﴿٤٤٩/٥﴾ الآية جامع البيان (٤٨٣-٤٨٢) ، و﴿٤٣﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ قَبْرِى مِنْ تَحِيْمٍ الْآتِهْرُ ﴿٤٨٣/٥﴾ الآية جامع البيان  
 (٤٩٢/٥) ، و﴿٤٤﴾ وَكَذَلِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا ﴿٤٩٥/٥﴾ الآية جامع البيان (٤٩٥/٥) ، و﴿٤٨﴾ وَكَذَلِكَ  
 أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِمَا لَا يَرَوْنَهُمْ يَبْسِمُهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٠٦/٥﴾ جامع البيان (٥٠٦/٥) ، و﴿٥٣﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا  
 تَأْوِيلَهُ ﴿٥١٢/٥﴾ الآية جامع البيان (٥١٢/٥) ، و﴿٩٥﴾ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ الْيَسْبَعِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا ﴿١٠/٦﴾ الآية جامع البيان (١٠/٦) ،  
 و﴿١٤٨﴾ وَأَخَذَ قَوْمَ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ﴿٦٣/٦﴾ الآية جامع البيان (٦٣/٦) ، و﴿١٥٠﴾ وَلَمَّا رَجَعَ  
 مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَيْفًا قَالَ يَبَسَمَا خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ﴿٦٩/٦﴾ الآية جامع البيان (٦٩/٦) ، و﴿١٥٧﴾ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ رَسُولَ اللَّهِ النَّبِيَّ  
 الْأُخْرَى الَّذِينَ يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿٨٦/٦﴾ الآية جامع البيان (٨٦/٦) ، و﴿١٦٨﴾ وَقَلَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ  
 أُمَّمًا يُنْتَهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ ﴿١٠٤/٦﴾ الآية جامع البيان (١٠٤/٦) ، والتوبة (١٢) ﴿وَأَنْ تَكْفُرُوا بِمَا كُنْتُمْ مِنْ بَعْدِ  
 عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَبِلُوا آيَةَ الْكُفْرِ ﴿٣٢٩/٦﴾ الآية جامع البيان (٣٢٩/٦) ، و﴿١٣﴾ أَلَا تَتَذَكَّرُونَ قَوْمًا نَكَرُوا  
 آيَاتِنَاهُمْ وَهَكَمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّوْهُمْ كَذِبًا ﴿٣٣١/٦﴾ الآية جامع البيان (٣٣١/٦) ، و﴿١٥﴾  
 ﴿وَيَذْهَبُ عَيْظٌ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ جامع البيان (٣٣٣/٦) ، و﴿٤٣﴾ عَمَّا اللَّهُ عِنْدَكَ  
 لَمْ أَدْنِ لَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨٠/٦﴾ الآية جامع البيان (٣٨٠/٦) ، و﴿٦٧﴾ الْمُتَّقُونَ  
 وَالْمُتَّقِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴿٤١١/٦﴾ الآية جامع البيان (٤١١/٦) ، و﴿٨٠﴾ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً  
 فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٤٣٤/٦﴾ الآية جامع البيان (٤٣٤/٦) ، و﴿١٠١-١٠٢﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَّفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ  
 مَرَدُوا عَلَى الْإِفْاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ﴿٤٥٩/٦﴾ الآية جامع البيان (٤٥٩/٦) ، و﴿١١٣-١١٤﴾ مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا  
 لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَحْسَبُ الْجَحِيمِ ﴿٤٩٠/٦﴾ الآية جامع البيان (٤٩٠/٦) ، و﴿١٢٧﴾  
 ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفًا ﴿١٣٧﴾﴾ الآية جامع البيان (٥٢١/٦) ، ويونس (٤٧) ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ فَجَاءَ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَنْتُمْ لَا تَفْقَهُونَ ﴿١٧٧﴾﴾  
 جامع البيان (٥٦٥/٦) ، و﴿٦١﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُبَيِّنُونَ فِيهِ ﴿٣٣٣/٦﴾ الآية جامع البيان (٥٧٤/٦) ، والرعد (٢٦) ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴿٢٦﴾﴾ الآية جامع البيان (٣٧٨/٦) ، و﴿٣٣﴾  
 ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴿٣٩٤/٦﴾ الآية جامع البيان (٣٩٤/٦) ، و﴿٤١﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ

يَحْكُمَ لَا مَعْقِبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ جامع البيان (٤٠٨/٦)، والنحل (٦٢) ﴿وَيَعْمَلُونَ لَكَ مَا يُكْرَهُونَ  
وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْمُسْقَى﴾ الآية جامع البيان (٦٠٢/٧)، و(١١٢) ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيبَةً كَانَتْ مَأْمِنَةً  
مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ الآية جامع البيان (٦٥٦/٧)، والإسراء (٢٧-٢٨) ﴿إِنَّ  
الْبَشَرِ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ الآيتين جامع البيان (٦٩/٨)، و(١٠٠) ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ  
الْإِنشَاقِ وَكَانَ الْإِنشُنُّ قُبُورًا ﴿٣٠﴾﴾ جامع البيان (١٥٤/٨)، والكهف (٢٧) ﴿وَأَنْتَ مَا أُرْسِي إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ  
لِحُكْمِهِ وَلَنْ يُجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٣١﴾﴾ جامع البيان (٢١٢/٨)، و(٢٩) ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ  
فَلْيُكْفُرْ﴾ الآية جامع البيان (٢١٧/٨)، و(٣٥) ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٦﴾﴾ جامع  
البيان (٢٢٤/٨)، وطه (١٢٦) ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَعْيُنَا فَسَبِّحْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿٣٧﴾﴾ جامع البيان (٤٧٤/٨)، والأنبياء (٧)  
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحي إِلَيْهِمْ فَتَلَوْنَا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾ جامع البيان (٦/٨)، و(٢٩) ﴿وَمَنْ  
يَقُلْ مِنْهُمْ إِيَّاكَ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَلِيلِينَ ﴿٨﴾﴾ جامع البيان (١٨/٩)، و(٣٦) ﴿وَإِذَا رَكَعَ  
الَّذِينَ كَفَرُوا ابْتَغُوا بِخُدُوعِكُمْ إِلَّا هُزُوعًا﴾ الآية جامع البيان (٢٦/٩)، و(٥٨) ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَيْدًا لِمَنْ لَمْ يَلْمَهُمْ إِلَيْهِ  
يَرْجِعُونَ ﴿٥٩﴾﴾ جامع البيان (٣٨/٩)، والحج (١٨) ﴿الَّذِينَ تَرَى أَكْثَرَ اللَّهِ يُسْجِدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ الآية جامع البيان (١٢٢/٩)،  
والنمل (٣٢) ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَتُوبِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٣﴾﴾ جامع البيان (٥١٤/١٠)، و(٤٢) ﴿فَلَمَّا  
جَاءَتْ يَدَ اللَّهِ أَهْلَكَأَ عَرْشُهُ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوَيْدِنَا أَلَمْ يَرِ قَبْلَهَا وَكُنَّا تُسَبِّحِينَ ﴿٤١﴾﴾ جامع البيان (٥٢٧/١٠)، والقصاص (٢٧) ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ  
أُنزِعَكَ مِنْ حَيْدَى ابْنَتِي هُنْتَيْنِ﴾ الآية جامع البيان (٦٣/١٠)، و(٥٨) ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِينَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَمَلَكَ  
مَسْكَنَتُهُمْ لَمْ تَشْكَنْ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا مِنْ آلِ الْوَارِثِينَ ﴿٥٩﴾﴾ جامع البيان (٩٠/١٠)، و(٧٦) ﴿إِنَّ قَدَرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ  
مُؤْمِنِينَ فَفَعِلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ الآية جامع البيان (١٠٤/١٠)، والروم (٤٠) ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيذُكُمْ ثُمَّ يُغِيثُكُمْ هَلْ مِنْ  
شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِثْقَلًا مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَوَعْدَانِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ جامع البيان (٢٠٩/١٠)، و(٤٣) ﴿فَأَقْرَعْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ  
الْقَاسِمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ جامع البيان (١٩٣/١٠)، ولقمان (١٢) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ  
الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ الآية جامع البيان (٢٠٩/١٠)، والسجدة (١٨) ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَتْ فَايِسًا لَا يَسْتَوِينَ ﴿١٨﴾﴾  
جامع البيان (٢٤٤/١٠)، والأحزاب (١٩) ﴿أَشِعَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْغَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنُّ عَلَيْهِ مِنْ  
الْمَوْتِ﴾ الآية جامع البيان (٢٧٦/١٠)، وسبأ (١٢) ﴿وَلِسَانِنَا الرَّيْحَ عُدُوهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ﴾ الآية جامع البيان  
(٣٥٤/١٠)، وفاطر (٢٨) ﴿وَمِنْ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْهَامِ مَخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُسْلِمُونَ إِنَّكَ اللَّهُ  
عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٩﴾﴾ جامع البيان (٤٠٩/١٠)، والزمر (٢) ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾﴾  
جامع البيان (٦١٠/١٠)، و(٧) ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَى عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ الآية جامع البيان (٦١٧/١٠)،

و(٩) ﴿أَمَّنْ هُوَ قَتِيئٌ مَّائِةٌ أَلِيلٌ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ الآية جامع البيان (٦٢١/١٠)، و(٦١) ﴿وَيَسْجُدْ لِرَبِّهِمْ إِذْ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَحَمْدِهِمْ﴾ الآية جامع البيان (٢٢/١١)، وغافر (٦) ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ الآية جامع البيان (٤١/١١)، و(٥٦) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِحَسَبِ سُلْطَانِهِمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِيَتْلِفُونَهُ﴾ الآية جامع البيان (٧١/١١)، و(٦٠) ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُدْعُونَني بِحَقِّ دِينِهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهُمْ إِذْ هُمْ يُسَاجِدُونَ﴾ الآية جامع البيان (٩٣/١١)، و(١٤) ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ الآية جامع البيان (٩٤/١١)، و(٤٠) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ الآية جامع البيان (١١/١١) - (١١٦)، والشورى (١٣) ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ الآية جامع البيان (١٣٤/١١)، والزحرف (٣٢) ﴿أَمْ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية جامع البيان (١٨٢/١١)، و(٣٧) ﴿وَلِيَأْتِيَهُمْ لِيُسْأَلُوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ الآية جامع البيان (١٨٨/١١)، و(٧١) ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِمِصْحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ الآية جامع البيان (٢١١/١١)، والدخان (٤٩) ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ الآية جامع البيان (٢٤٦/١١)، والأحقاف (١٧) ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلِيِّهِ أَلَيْسَ لِي بِكُلِّ شَيْءٍ مُخْتَارٌ مُؤْتًى وَأَمْرٌ فَإِن يَدْعُواكَ فَيَقُودُواكَ فَمَا تَصِفُكَ لَهُمْ إِنْ أَرَادُوا لِي بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَافِرَاتٌ كَأُولَئِكَ يَكْفُرُونَ﴾ الآية جامع البيان (٢٨٧/١١)، ومحمد (١٥) ﴿مَثَلُ الْيَهُودِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّ إِذْ أَنْزَلْنَا ذُرُونًا مِنْهُمُ النَّارَ﴾ الآية جامع البيان (٣١٤/١١)، والفتح (١٥) ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَدَائِنِ اللَّهِ إِنَّا لَنأخذوكم ذُرُونًا مِمَّا نَدَّخِرُ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٤/١١)، والحجرات (١٢) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْزِلُوا عَلَيْهَا آيَاتِنَا وَمِن بَيْنِهِمْ لَتُضَلَّ بِهَا أَعْيُنُهُمْ أَفْرَاقًا﴾ الآية جامع البيان (٣٩٤/١١)، والحديد (٧) ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقِرُوا لِمَا جَعَلْنَا مِنْكُمْ فِئَةً مَخْفُوفَةً﴾ الآية جامع البيان (٢٧١/١١)، والحشر (٢) ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالنَّصَارَى مِنَ الْمَدِينَةِ﴾ الآية جامع البيان (٢٩/١٢)، والممتحنة (٣) ﴿لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الآية جامع البيان (٥٩/١٢).

المبحث الثاني : دلالة السياق على المعنى في الآيات المتتابعة :

وهو مقسم إلى مطالب :

المطلب الأول : قد يكون بيان المعنى بذكر الاسم الموصول ونحوه مما يفسر معنى ما قبله

ويوضحه .

المطلب الثاني : السياق يبين معنى الكلام ويدفع إبهام التناقض .

المطلب الثالث : السياق المعلن يدل على المراد .

المطلب الرابع : الجواب على الاستفهام .

المطلب الخامس : قد يتوعد الله قوماً ولا يحصل الوعيد المؤكد ، ويدل السياق على حكمة

عدم إيقاعه .

المطلب السادس : قد يرد العطف بين الجمل ، ولكن لا يدخل بعضها على المعنى الذي عطف عليه .

## المطلب الأول :

قد يكون بيان المعنى بذكر الاسم الموصول ونحوه مما يفسر معنى ما قبله ويوضحه :

ومن أمثلة هذا النوع قوله -تعالى-: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنْ ابْتغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١ ﴾ المؤمن: [١ - ١١]

فالمؤمنون المفلحون هم الموصوفون بالأوصاف التالية بعد الآية الأولى ، فما بعد الآية الأولى يعتبر توضيحاً للمؤمنين المفلحين .<sup>(١)</sup>

وقوله -تعالى-: ﴿ أَمْ لَمْ يَبْتَأِ بِمَا فِي صُحُفٍ مُّوسَىٰ ۝٣٧ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ۝٣٨ ﴾ [النجم: ٣٦ - ٣٧] ، بين الله -عز وجل- الذي في صحف موسى فقال : ﴿ أَلَا نَزُرُكَ وَإِرَّةً وَنَزْلًا أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ۝٤١ ﴾ [النجم: ٣٨ - ٤١].<sup>(٢)</sup>

وفي قوله -تعالى-: ﴿ لَرُبَّ يُكْفِي الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبِئْسَةُ ۝١ ﴾ [البينة: ١]

تلك البينة هي : ﴿ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ ﴾ [البينة: ٢].<sup>(٣)</sup>

(١) انظر جامع البيان (١٩٦/٩-٢٠١).

(٢) انظر جامع البيان (١١/٥٣٣).

(٣) انظر جامع البيان (١٢/٦٥٦) . وانظر مواضع أخرى في : الأنعام (١٤٢-١٤٤) ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ ﴾ الآيات جامع البيان (٥/٣٧٤) ، والحج (٣٤-٣٥) ﴿ فَإِلَٰهَهُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلَمُوا وَبَشِرَ الْمُخْتَلِفِينَ ﴾ الآيتين جامع البيان (٩/١٥١) ، والشعراء (٧٧-٨٢) ﴿ وَإِنَّهُمْ عَادُوا لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ الآيات جامع البيان (٩/٤٥٢) ، والنمل (٢-٣) ﴿ هَذَىٰ وَفَتْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآيتين جامع البيان (٩/٤٩٤) ، واللبلب (١٥-١٦) ﴿ لَا يَصَلُّهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ ﴾ جامع البيان (١٢/٦١٨-٦١٩) ، و (١٧-٢١) ﴿ وَسَيَجْزِيهَا الْآتِقَىٰ ۝١٧ ﴾ الآيات جامع البيان (١٢/٦١٩) ، والناس (٤-٥) ﴿ مِنْ سِوَىٰ الْأَوْسَافِ الْخَنَافِيسِ ۝٥ ﴾ الآيتين جامع البيان (١٢/٧٥٣).

## المطلب الثاني : السياق يبين معنى الكلام ويدفع إبهام التناقض :

إذا أمعن المفسر النظر في سياق الآيات من كتاب الله - عز وجل - ، يظهر له من ذلك ما يكون معبراً عن الإعجاز العظيم في كلام الله العزيز ، ويدفع ما يتوهم القارئ لأول وهلة أنه مستبعد ومستغرب ومتناقض ، فيتبين له أنه : هو عين الحكمة والمناسبة .

ومن أمثلة ذلك : دعاء زكريا ربه حين ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَاءِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرْفَعْنِي وَيُؤْتِنِي مِنْ آيَاتِكَ وَيُعَاقِبْ وَأَجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا ۝٦ ﴾ [مرم: ٤ - ٦] ، وبشترته الملائكة بغلام اسمه يحيى ، فقال بعد البشري : ﴿ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ ﴾ [مرم: ٨] ، فهذا القول معناه : "ربّ أتى يكون لي غلام ؟ ، ومن أيّ وجه يكون لي ذلك ؟ ، وامرأتي عاقرة لا تحبل ، وقد ضعفت من الكبر عن مباحضة النساء ؟ ، أبأن تقوييني على ما ضعفت عنه من ذلك ، وتجعل زوجتي ولوداً ؟ ، فإنك القادر على ذلك وعلى ما تشاء ، أم بأن أنكح زوجة غير زوجتي العاقرة ؟ يستثبت ربّه الخبير ، عن الوجه الذي يكون من قبله له الولد الذي بشره الله به ، لا إنكاراً منه - ﷺ - حقيقة كون ما وعده الله من الولد ، وكيف يكون ذلك منه إنكاراً لأن يرزقه الولد الذي بشره به ، وهو المبتدئ مسألة ربه ذلك ، بقوله : ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ [مرم: ٥] ... " (١)

فدلّ السياق وهو قصة طلب زكريا - عليه السلام - ربّه الولد ، على أن قوله بعد البشارة بيحيى : ﴿ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ ، ليس إنكاراً للبشارة ؛ لأنها تحقّق لما دعاه وسأله ، وحمل قوله ذلك : على الاستثبات عن كيفية حصول الولد ، وما الذي سيتغير في حاله ؟ هو ؟ أم زوجته ؟ ونحو ذلك على ما تقدّم .

وفي قوله - تعالى - : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانْفُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝٤ ﴾ [المائدة: ٤] فإمسك الصيد من

(١) جامع البيان (٨/٣١٠) .

الحيوان المَعْلَمُ معناه : عدم أكله منها ، فإذا أكل فقد دخل في المحرّم السابق ، وهو قوله : ﴿ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ [المائدة: ٣] <sup>(١)</sup> .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ اقْتِنَا بِمَا تَعَدْنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُتَرَسِّلِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٧] طلبٌ من ثمود بأن يأتي صالح بما توعدّهم به ، وما الذي توعدّهم به ؟ ، إنّه عذاب الله ونقمته ؛ بدليل قوله بعدها : ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينًا ﴾ [الأعراف: ٧٨] ، وهذا جواب لطلبهم <sup>(٢)</sup> .

(١) انظر جامع البيان (٤/٤٣٦) ، وتحقيق شاکر (٩/٥٦٤) .

(٢) انظر جامع البيان (٥/٥٣٨) ، وتحقيق شاکر (١٢/٥٤٤) . وانظر موضعين آخرين في المائدة (٩٤-٩٥) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

يَتْلُوا كُتُبَ اللَّهِ بِذِكْرِ اللَّهِ وَرَأَيْكُمْ وَرَمَحَكُمْ ﴾ الآيتين جامع البيان (٥/٤٠-٤١) ، والتوبة (٩٣) ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى

الَّذِينَ يَسْتَنْدِثُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٤٤٨) .



### المطلب الثالث : السياق المعلل يدلُّ على المراد :

فأقرب الناس للمؤمنين النصارى ، ولكن ليس كل من تسمى نصرانياً كان قريباً من المؤمنين ، وإنما من كان منهم على صفة معينة : قال تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَتُكَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتَلْتُمُوسَى وَرُحْبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمِنَّا فَاكُتِبَتْ لَنَا الشُّهَادَةُ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [المائدة: ٨٢ - ٨٤] ، فهذه الصفات الحميدة في هؤلاء القسيسين والرهبان توصلهم إلى الدخول في الإسلام حتماً ، وليس مجرد القرب من المؤمنين فقط ؛ ولذلك كان ثوابهم : ﴿ فَأَلْبَسَهُمُ اللَّهُ يَمَانًا قَالُوا جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [المائدة: ٨٥] وهذا الثواب دليل على أن قربهم من المؤمنين ليس مجرد النصرانية ؛ بل لما في قلوبهم من التجرد لطلب الحق ، والخشوع للموعظة ، وأنهم لا يستكبرون .<sup>(١)</sup>

(١) انظر جامع البيان (٦/٥-٩) ، ومثله في المائدة (٧٨-٨٠) ﴿ لِيُؤْمِنُوا بِالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ الآيات جامع البيان (٥/٦٥٨-٦٥٩) .

## المطلب الرابع : الجواب على الاستفهام يدل على معنى :

وأغلب أمثلته في حزب المفصل<sup>(١)</sup> : ومنها قوله -تعالى-: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرٌ عَلَىٰ بَحْرِكُمْ تُجِئِكُم مِّنْ عَذَابِ إِلَهِم ۖ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ذَلِكُمْ حَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف: ١٠-١١] قال -رحمه الله- " فبين لنا -جل ثناؤه- ما تلك التجارة التي تنجينا من العذاب الأليم ، فقال: ﴿تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد -ﷺ- " .<sup>(٢)</sup>

وقوله -تعالى-: ﴿لَأَيُّ يَوْمٍ أَجَلْتُمْ﴾ [المرسلات: ١٢] قال -رحمه الله- : " يقول -تعالى- ذكروه- مُعْجَبًا عبادته من هول ذلك اليوم وشدته : لأيّ يوم أجّلت الرسل ووقّنت ؟ ، ما أعظمه وأهولاه ، ثم بين ذلك : وأيّ يوم هو؟ فقال : ﴿أَجَلْتُمْ ۖ لَيَوْمٍ فَفَصَلِّ ۚ﴾ [المرسلات: ١٢-١٣] " <sup>(٣)</sup>

وقوله -تعالى-: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۗ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۗ﴾ [الانفطار: ١٧-١٨] ثم بينه فقال : ﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ سِتًّا ۚ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۗ﴾ [الانفطار: ١٩] .<sup>(٤)</sup>

(١) تحديد نهاية المفصل بسورة الناس متفق عليه ، وأما بدايته فعلى أقوال ، والمشهور الصحيح أنه من : سورة ق إلى الناس ، وانظر مقدمة بحث الدكتوراه عود الضمير وأثره في التفسير دراسة لضمير الغائب المعتمد على الهاء في حزب المفصل ، صفحة (١٤-١٥) .

(٢) جامع البيان (١٢/٨٤) .

(٣) جامع البيان (١٢/٣٨٣) .

(٤) انظر جامع البيان (١٢/٤٨١) . وانظر مواضع أخرى في : عبس (١٨-١٩) ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقْتُمْ﴾ الآيتين جامع البيان (١٢/٤٤٧) ، والطارق (١-٣) ﴿ٱلسَّمَآءُ وَٱلْطَّارِقُ﴾ الآيات جامع البيان (١٢/٥٣٢) ، و(٥-٦) ﴿يَنْظُرُ ٱلْإِنْسَانُ يَوْمَ يُؤْتَىٰ﴾ الآيتين جامع البيان (١٢/٥٣٤) ، والبلد (١١-١٦) ﴿فَلَا أَنتَحِمُ ٱلْمَقَبَةَ﴾ الآيات جامع البيان (١٢/٥٩٣-٥٩٤) ، والقارعة (١-٥) ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ الآيات جامع البيان (١٢/٦٧٥-٦٧٦) ، و(٩-١١) ﴿فَأَنذَرْتُكَ مَآوِيَةَ﴾ الآيات جامع البيان (١٢/٦٧٧) ، والهمزة (٤-٦) ﴿كَلَّا لَيُبَدِّلَنَآ فِي ٱلْمُحَلَّةِ﴾ الآيات جامع البيان (١٢/٦٨٩) .

### المطلب الخامس:

قد يتوعد الله قوماً ولا يقع الوعيد المؤكّد، ويدلّ السياق على حكمة عدم إيقاعه :

كتهديد اليهود في المدينة بطمس الوجوه ، وردّها على أديبارها ، ونحو ذلك ، في قوله -تعالى-: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آؤُوا الْكُذِبَ ءَاثُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَيْ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أُمَّةً أُسَّبِتَ ؕ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء: ٤٧] ، ولم يقع العقاب عليهم ، -ولو وقع لنقل-؛ لأن بعض اليهود استجاب للنداء التحذيري ، فأمن منهم أمثال : عبد الله بن سلام وغيره ، ودلّ قوله -تعالى-: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْ مَّوَدَّةِ الَّذِينَ آمَنُوا مِن مِّنْ قَبْلُ مِنْ قَوْمِ يُؤْتُوا مَالَهُمْ لِيَحْتَسِبُوا أَنَّهُمْ أُغْنَىٰ عَنْهُمْ وَالَّذِينَ يُؤْتُوا مَالَهُمْ لِيَحْتَسِبُوا أَنَّهُمْ أُغْنَىٰ عَنْهُمْ وَالَّذِينَ يُؤْتُوا مَالَهُمْ لِيَحْتَسِبُوا أَنَّهُمْ أُغْنَىٰ عَنْهُمْ وَالَّذِينَ يُؤْتُوا مَالَهُمْ لِيَحْتَسِبُوا أَنَّهُمْ أُغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ [النساء: ٥٥] ، على أن فريقاً منهم آمن. <sup>(١)</sup>

(١) انظر جامع البيان (٤/١٢٧ و١٤٤) ، وتحقيق شاکر (٤٤٥/٨) .

### المطلب السادس:

قد يرد العطف بين الجمل ، ولكن لا يدخل بعضها على المعنى الذي عطف عليه:

حرف العطف يربط الكلمات بمعنى واحد ، ولكن في بعض الأحوال وحسب الشيء المذكور، قد تدخل المعطوفات فتشترك في الحكم ، وقد لا تشترك : ومن أمثلة ذلك :

قوله -تعالى-: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدِّقُونَ عَتَا وَلَا يَنْزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهَرُوا بِمَا يَنْخَبَرُونَ ﴿٢٠﴾ وَتَحَرَّطَ لَهَا وَشَتَوْنَ ﴿٢١﴾ وَخُورَ عَيْنٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْتَلِ الْأَوَّلِ الْمُكُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الواقعة: ١٧ - ٢٣] فقوله: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَتَحَرَّطَ لَهَا وَشَتَوْنَ ﴾ مما يطف به على أهل الجنة ، ولكن الحور العين في قوله : ﴿ وَخُورَ عَيْنٌ ﴾ كَأَمْتَلِ الْأَوَّلِ الْمُكُونِ ﴾ ، لا يطف بهم عليهم ، وإتباع الآخر بالأول في الإعراب ، مع أن المعنى مختلف ؛ لأن المعنى معروف ظاهر .<sup>(١)</sup>

هذه أمثلة دلّ السياق فيها على المعنى ، وكان السياق فيها بين آيات متتابعة .

-فرحم الله الإمام الطبري - ما أحسن استنباطه ، وأحسن تتبعه للسياق...<sup>(٢)</sup>

(١) انظر جامع البيان (١١/٦٣٢) . وذكر الباقلاني: أن الفاكهة واللحم كذلك لا يطف بها ، وإنما يؤتون بها مع ما يطف به عليهم . انظر الانتصار للقرآن ٥٧٦/٢ ، تحقيق د. محمد عصام القضاة .

(٢) انظر بقية المواضع مثلها عموماً في : البقرة (٣٥) ﴿ وَقَلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ الآية جامع البيان (١/٢٦٦) ، و(١١١) ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرًا تِلْكَ الْأُمَمُ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّي الْعَلِيِّينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ جامع البيان (١/٦١٠) ، و(١٤٧) ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ جامع البيان (٢/٣٠) ، و(٢٤٨) ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٦٣٠) ، وآل عمران (٤) ﴿ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ لَنَأْتِيَنَّكَ الْفُرْقَانُ ﴾ الآية جامع البيان (٣/١٦٩) ، و(٣٦) ﴿ فَلَمَّا وَصَّيْتَهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَصَّيْتُهَا أَنْفِي ﴾ الآية جامع البيان (٣/٢٣٦-٢٣٧) ، و(٧٠) ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ جامع البيان (٣/٣٠٧) ، و(١٤٣) ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظَرْتُمْ ﴿١٥٣﴾ ﴾ جامع البيان (٣/٤٥٣) ، و(١٥١) ﴿ سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَرَأَيْتَ إِنْ أَتَيْنَا بِسُلْطَانٍ مِنْ رَبِّكَ وَمَا وَدَّعْتَهُمْ الْكَافِرِينَ وَمَا وَدَّعْتَهُمْ مَثْوَى الْقُلُوبِ ﴾ جامع البيان (٣/٤٦٨) ،



سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَكُنُ مَكًّا وَأَمَاتَتْ كُلَّ وَجْدٍ مِّنْهُنَّ سِجِّينًا ﴿٣٤﴾ الآية جامع البيان (١٩٨/٧)، و(٣٤) ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُمْ كَيْدَهُمْ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ جامع البيان (٢٠٩/٧)، و(٥١) ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَدَدْتُمْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ الآية جامع البيان (٢٣٤/٧)، و(٨٩) ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا قُلْتُمْ يَٰيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ جامع البيان (٢٩٠/٧)، و(١٠٠) ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ الآية جامع البيان (٣٠٤/٧)، و(١٠٦) ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِآلِهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ جامع البيان (٣١٢/٧)، والرعد (٢٢) ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاةً وَوَجْهًا رَّيِّبًا﴾ الآية جامع البيان (٣٧٦/٧)، و(٤٢) ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِئِنَّ الْمَكْرَ جَمِيعًا﴾ الآية جامع البيان (٤٠٩/٧)، وإبراهيم (٢٨) ﴿إِنَّم تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا يُعَمَّتْ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاتَّخَذُوا قُلُوبَهُمْ قَسْوَءَ فَسُوفٍ قَلْمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ جامع البيان (٤٥٢/٧)، والنحل (٥٥) ﴿يَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَسْمَأُوا فَمَا تَقَلُّوْنَ ﴿٥٦﴾﴾ جامع البيان (٥٩٨/٧)، و(٦٧) ﴿وَمِنْ قَوْمٍ اتَّخَذُوا النَّجْلِ وَالْعُرْسِيَّ وَالْأَعْنَابَ تَنْخُدُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرُفًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ جامع البيان (٦٠٧/٧)، و(٨٣) ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ جامع البيان (٦٣٠/٧)، و(٨٥) ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفْ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ جامع البيان (٦٣١/٧)، و(٩٢) ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَضَّ عُزْلُهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَنَا﴾ الآية جامع البيان (٦٣٩/٧)، و(١١٣) ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ جامع البيان (٦٥٦/٧)، و(١١٦) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ﴾ الآية جامع البيان (٦٥٨/٧)، والإسراء (١٠) ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١١﴾﴾ جامع البيان (٤٤/٨)، و(٢٦) ﴿وَمَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ وَالْيَسِيرُ وَأَبْنُ السَّبِيلِ وَلَا يُبَدِّرُ تَبَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ جامع البيان (٦٨/٨)، والكهف (١٩) ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ الآية جامع البيان (١٩٦/٨)، و(٣٧) ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٨﴾﴾ جامع البيان (٢٢٤/٨)، و(٤٤) ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ نُّوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٥﴾﴾ جامع البيان (٢٢٧/٨)، و(٥٠) ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ الآية جامع البيان (٢٣٥/٨)، و(٨٦) ﴿حَقَّةً إِذَا بَلَغَ مَقْرَبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَرِبٍ حَاسٍ﴾ الآية جامع البيان (٢٧٥/٨)، ومرم (٩) ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْئٍ وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِنْ قَبْلُ وَلَوْ تَرَىٰ ذُنُوبَنَا سَبِيحًا ﴿١٠﴾﴾ جامع البيان (٣١١-٣١٢/٨)، و(٢٩) ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْعِدَافِ ﴿٣٠﴾﴾ جامع البيان (٣٣٦/٨)، و(٦٠) ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يظَلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦١﴾﴾ جامع البيان (٣٥٧/٨)، و(٦٦) ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَيْدَا مَا مِثُّ لَسُوفٍ أَخْرَجْتُ حَيًّا ﴿٦٧﴾﴾ جامع البيان (٣٦٢/٨)، و(٧٦) ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَلْزِمَ الَّذِينَ أَهْتَدُوا هُدًى وَالْبَلِيغَاتِ الصَّالِحَاتِ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ قُلُوبًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٧﴾﴾ جامع البيان (٣٧٤/٨)، و(٧٨) ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمٍ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٩﴾﴾ جامع البيان (٣٧٦/٨)، وطه (١١) ﴿فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ بِمُوسَىٰ ﴿١٢﴾﴾ جامع البيان (٣٩٦/٨)، و(٢٢) ﴿وَأَضْمْتُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيِّنَةً مِنْ غَيْرِ سَوْءِ آيَةٍ أُخْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ جامع البيان (٤٠٩/٨)، و(٣٧) =

﴿ وَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴾ ﴿٣٦﴾ جامع البيان (٤١١/٨)، و(٣٩) ﴿ أَنْ أَتُوبَ فِي النَّارِ فَأَقْبِرَ فِي أَيْمٍ وَالسَّاحِلِ ﴾ الآية جامع البيان (٤١٢/٨-٤١٣)، و(٧٥) ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِمْ مَوْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ ﴿٧٥﴾ جامع البيان (٤٣٧/٨-٤٣٨)، و(٨٦-٨٥) ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ ﴿٨٥﴾ الآية جامع البيان (٤٤٣/٨)، و(١٣٢) ﴿ وَأَمْرَاهُكَ بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ عَلَيْهِ لَا تَتَّكِفُ رِزْقًا مِمَّنْ رَزَقَهُ وَالْمَنْعِبَةُ لِلنَّقْوَىٰ ﴾ ﴿٣٧﴾ جامع البيان (٤٧٩/٨)، والأنبياء (٧٥) ﴿ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿٧٥﴾ جامع البيان (٤٨/٩)، والحج (٦٠) ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَخْضَرَّهُ اللَّهُ إِنَّكَ إِسْكٌ اللَّهُ لَعَفُوْ غَفُوْرٌ ﴾ ﴿١٠﴾ جامع البيان (١٨٢/٩)، والمؤمنون (١١١) ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الصَّابِرُونَ ﴾ ﴿١١١﴾ جامع البيان (٢٥١/٩)، والفرقان (١١) ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ ﴿١١١﴾ جامع البيان (٣٦٩/٩)، و(٦٨) ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ ﴿٦٨﴾ جامع البيان (٤١٤/٩)، والشعراء (١٠) ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَيُّ نَسَبِ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿١٠﴾ جامع البيان (٤٣٤/٩)، و(٢١١) ﴿ وَمَا يَلْبِغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ جامع البيان (٤٨٠/٩)، و(٢١٦) ﴿ فَإِنَّ عَصْرَكَ قَالَ لِي بِرَبِّيَ يَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ جامع البيان (٤٨٥/٩)، والنمل (٦٥) ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ جامع البيان (٧/١٠)، و(٦٩) ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ﴿١٠١﴾ جامع البيان (١٠/١٠)، و(٨٩) ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا وَهَمَّ مِنْ فَجْعٍ يَوْمَئِذٍ مَأْمُونٌ ﴾ ﴿٨٩﴾ جامع البيان (٢١/١٠)، والقصص (١٣) ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أَيْدِيهِ كَيْ تَفَرَّقَ عَمَّنَّهَا وَلَا تَحْزَنَ وَاتَّخَذَتْ أُنثَىٰ وَوَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ جامع البيان (٤٠/١٠)، و(٥١) ﴿ وَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ جامع البيان (٨٣/١٠)، والعنكبوت (٥) ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿٥١﴾ جامع البيان (١٢٢/١٠)، و(٢٦) ﴿ فَقَامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَيْكَ رَجِيئًا إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٥١﴾ جامع البيان (١٣٣/١٠)، ولقمان (٣٤) ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ الآية جامع البيان (٢٢٦/١٠)، والسجدة (٢) ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٥١﴾ جامع البيان (٢٢٩/١٠)، والأحزاب (١٦) ﴿ قُلْ أَنْ يَفْعَلَكُمْ الْفِرَارُ لَنْ فَرُّنَا مِنْ رَبِّكَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِنَّا لَا نَسْتَعِينُ إِلَّا بِغَوْلِ اللَّهِ ﴾ ﴿١٦﴾ جامع البيان (٢٧٢/١٠)، و(٣٩) ﴿ الَّذِينَ يَلْبِغُونَ رَسَلَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ ﴿٣٩﴾ جامع البيان (٣٠٥/١٠)، وسبأ (٩) ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ سَمَاءٍ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نُغَيِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٩/١٠)، و(٢٣) ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أُوذِيَ اللَّهُ ﴾ الآية جامع البيان (٣٧٢/١٠)، وفاطر (٢٣) ﴿ إِنَّ آتِيَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ ﴿٢٣﴾ جامع البيان (٤١٣/١٠)، ويس (٧٦) ﴿ فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبْعَثُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ ﴿٧٦﴾ جامع البيان (٤٦٣/١٠)، والصفافات (٤) ﴿ إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾





والنجم (٤٥) ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ ﴿٥١﴾ جامع البيان (١١/٥٣٥)، والتغابن (١٦-١٧) ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾  
 ﴿وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ الآيتين جامع البيان (١٢/١١٩-١٢٠)، والطلاق (٢) ﴿فَإِذَا بَلَغَ الْأِمْرَأَتُ مِنْ  
 فَمَسِيكُوهُنَّ يَمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ يَمَعْرُوفٍ﴾ الآية جامع البيان (١٢/١٢٩-١٣٠)، والملك (٢٧) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَتْ وُجُوهُهُ  
 الذَّيْبِ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِمِهِ تَدْعُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ جامع البيان (١٢/١٧٣)، والقلم (٢٨) ﴿قَالَ أَوْسَطُكُمْ أَمْرًا لَكُمُ لَوْلَا تَسْبِيحُوهُ  
 ﴾ ﴿٥٣﴾ جامع البيان (١٢/١٩٤)، و(٥١-٥٢) ﴿وَلَنْ يَكَاذِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَرْفَعَهُنَّ بِأَصْرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ الآيتين جامع البيان  
 (١٢/٢٠٤)، والمعارج (٤٣) ﴿يَوْمَ يَمْشُونَ مِنَ الْجَنَاتِ يِرَاعًا كَانْتُمْ إِلَىٰ تُصِيبُ يَوْمَئِذٍ﴾ ﴿٥٤﴾ جامع البيان (١٢/٢٤٣)، ونوح (٣-٤)  
 ﴿أَنْ عَسَىٰ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْفِتْنَةُ وَآتِقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ﴿٥٥﴾ الآيتين جامع البيان (١٢/٢٤٦)، والجن (١٤) ﴿وَأَنَا وَمَنْ أَلْمَسْتُ مِنْكُمْ فَتَنْ  
 أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ ﴿٥٦﴾ جامع البيان (١٢/٢٦٨)، والمائدة (٢٧) ﴿وَمَا آتَاكُم مَّا سَفَرٌ﴾ ﴿٥٧﴾ جامع البيان (١٢/٣١٠)،  
 و(٣٢) ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ ﴿٥٨﴾ جامع البيان (١٢/٣١٥)، و(٥٤) ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ﴾ ﴿٥٩﴾ جامع البيان (١٢/٣٢٣)،  
 والإنسان (١٣-١٢) ﴿يَجْرِيهِمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ ﴿٦٠﴾ الآيتين جامع البيان (١٢/٣٦٣)، والمرسلات (١٦) ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ  
 الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٦١﴾ جامع البيان (١٢/٣٨٤)، و(٢٩) ﴿أَنْطَلِقُوا لِيَنَّ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ جامع البيان (١٢/٣٨٧)، و(٥٠)  
 ﴿فِي آيٍ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ جامع البيان (١٢/٣٩٤)، والنبأ (١) ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ جامع البيان (١٢/٣٩٥)،  
 و(١٧) ﴿إِنَّ يَوْمَ الْقَضَاءِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ ﴿٦٥﴾ جامع البيان (١٢/٤٠١)، و(٣٢-٣١) ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ ﴿٦٦﴾ الآيتين جامع البيان  
 (١٢/٤١٠)، والنازعات (٢٧) ﴿مَأْتِمُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ النَّمْلَةُ بِنَهَا﴾ ﴿٦٧﴾ جامع البيان (١٢/٤٣٦)، والتكوير (٢٧) ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا  
 ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ جامع البيان (١٢/٤٧٥)، والانفطار (٦) ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ﴿٦٩﴾ جامع البيان  
 (١٢/٤٧٩)، والبلد (٧) ﴿أَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَوْهُ أَحَدٌ﴾ ﴿٧٠﴾ جامع البيان (١٢/٥٩٠)، والعلق (١) ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿٧١﴾  
 جامع البيان (١٢/٦٤٤)، والزلزلة (٧-٨) ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧٢﴾ الآيتين جامع البيان (١٢/٦٦١)،  
 والهمزة (٣) ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ ﴿٧٣﴾ جامع البيان (١٢/٦٨٨).

### المبحث الثالث : دلالة السياق على المخاطب أو الموصوف:

إن من تمام معنى الكلام : معرفة من توجه إليه الخطاب ، ومن الموصوف في الخطاب بتلك الصفات ، حتى يعرف الخطاب هل كان عاماً أم خاصاً ؟ ، ولماذا وُجِّه الخطاب إلى أولئك وليسوا هم الفاعلين ، ونحو ذلك ، ومن أمثله :

قوله -تعالى-: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظَرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٥٥] قال -رحمه الله-: "... فأعلم ربنا -تبارك وتعالى ذكره- الذين خاطبهم بهذه الآيات ، من يهود بني إسرائيل ، الذين كانوا بين ظهري مهاجر رسول الله -ﷺ- ، أنهم لن يعدوا أن يكونوا في تكذيبهم محمداً -ﷺ- ، ووجودهم نبوته ، وتركهم الإقرار به ، وبما جاء به ، مع علمهم به ، ومعرفتهم بحقيقة أمره ، كأسلافهم وآبائهم ، الذين فصل عليهم قصصهم في ارتدادهم عن دينهم مرة بعد أخرى ، وتوثبهم على نبيهم موسى -صلوات الله وسلامه عليه- تارة بعد أخرى ، مع عظيم بلاء الله -جلّ وعزّ- عندهم ، وسبوغ آلائه عليهم." (١)

ومن المعلوم أن المعاصرين للنبي -ﷺ- من اليهود ، داخلون في الخطاب ، أو هم المخاطبون به ، وذلك بسبب رضاهم عن فعل آبائهم ، فكان الخطاب لهم بهذا الاعتبار ، ولا يصح توجيه الخطاب إلى القائلين لموسى -ﷺ- : أرنا الله جهرة ؛ لهلاكهم زمن موسى -ﷺ- - فخطاب الميت لا يصح .

وقوله -تعالى-: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَٰكِنَ اللَّهُ جَبَّ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الحجرات: ٧] فالتعبير بالظرفية في قوله : ﴿ فِيكُمْ ﴾ ، يفيد أنه موجه للصحابة في حياة رسول الله -ﷺ- ، وليس للمؤمنين عامة . (٢)

وفي خطاب الله للمؤمنين عموماً ، يدخل الذكور والإناث ، ولكن بعض الآيات قد يدل السياق فيها على اختصاص بعض الأوصاف للذكور ، كما في وصف المؤمنين المفلحين بقوله -تعالى-: ﴿ وَالَّذِينَ

(١) جامع البيان (٣٢٨/١) ، وتحقيق شاكر (٨٢/٢) .

(٢) انظر جامع البيان (٣٨٥/١١) .



## المبحث الرابع: احتمال السياق لمعانٍ متعددة :

إن دلالة السياق على المعنى واضحة في مواضع كثيرة ، ومرجحة لقول على سائر الأقوال الأخرى ، وقد سبق شيء من ذلك ، وسيرد في الفصل الأخير التوسع في الأمثلة ، ولكن هناك مواضع يحتمل السياق أوجهاً ، وليس هناك مرجح واضح لأحدها ، وهذا من إعجاز كلام الله -عز وجل- أن يحتمل معاني كثيرة ، غير متناقضة ، والفقهاء الذي يحسب للمعنى أوجهاً ثم يختار منها ما يترجح بالأدلة<sup>(١)</sup>.

ومن المواضع التي ذكر الطبري -رحمه الله- احتمالها لأقوال :

١- احتمال أن يكون القول من قول الله -عز وجل- أو غيره : كما في قوله -تعالى-:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُوا أَمْ لِيُشَاءَ اللَّهُ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [يس: ٤٧] قال - رحمه الله - : "... وفي قوله: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وجهان : أحدهما : أن يكون من قيل الكفار للمؤمنين ، فيكون تأويل الكلام حينئذٍ : ما أنتم أيها القوم في قيلكم لنا : أنفقوا

صَمًا لَقَدْ جَنَّمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكَ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتَ أَنَّ جَعَلَ لَكَ مَوْعِدًا ﴿١٥﴾ جامع البيان (٢٣٣/٨) ، والنور (٥٤) ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٢/٩) ، و(٥٩) ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَضِئُوا كَمَا اسْتَضَاءَ الْبُيُوتُ مِنَ الْقَبْلِ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٨/٩) ، والقصص (٦٣) ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْنَا كَمَا أَنْعَمْتَ عَلَيْنَا كَمَا عَمِينَا﴾ الآية جامع البيان (٩٣/١٠) ، ولقمان (٢٩) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ الْبَلَّ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ الآية جامع البيان (٢٢٢/١٠-٢٢٣) ، والسجدة (٢٧) ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا إِلَى الْأَرْضِ الْبَحْرَ فَنَجَّحْنَا بِهِ زُرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٧﴾ جامع البيان (٢٥١/١٠) ، وغافر (١٤) ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٥﴾ جامع البيان (٤٦/١١) ، وفصلت (٤٩) ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَسْتَوْسِقُ قَنُوطًا ﴿١٦﴾ جامع البيان (١٢٣/١١) .

(١) انظر الإتيان (٤٤٥/١-٤٤٦) .

مما رزقكم الله على مساكنكم ، إلا في ذهاب عن الحق ، وجور عن الرشد ، مُبين لمن تأمله وتدبره أنه في ضلال ، وهذا أولى وجهيه بتأويله . والوجه الآخر : أن يكون ذلك من قيل الله للمشركين ، فيكون تأويله حينئذٍ : ما أنتم أيها الكافرون في قبلكم للمؤمنين : أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ، إلا في ضلال مبين ، عن أن قبلكم ذلك لهم ضلال .<sup>(١)</sup>

فهذان القولان محتملان ، وقد ذكر ابن جرير - رحمه الله - أن الأول أولى من الآخر ، وبنحوه قال ابن كثير والبعوي ، واستظهره الألوسي - رحمه الله -<sup>(٢)</sup> - والله أعلم .

٢- احتمال الوصل والقطع في الكلام : كما في قوله - تعالى - : ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَنْ مَا جَاءَنَا مِنْ آيَاتِنَا وَالَّذِي نَفَعْنَا فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [طه: ٧٢] قال - رحمه الله - : ﴿ وَالَّذِي فَطَرْنَا ﴾ يقول : قالوا : لن نؤثرك على الذي جاءنا من البيئات ، وعلى الذي فطرنا... فـ {الَّذِي} من قوله : ﴿ وَالَّذِي فَطَرْنَا ﴾ خفض على قوله : ﴿ مَا جَاءَنَا ﴾ ، وقد يحتمل أن يكون قوله : ﴿ وَالَّذِي فَطَرْنَا ﴾ خفضاً على القسم ، فيكون معنى الكلام : لن نؤثرك على ما جاءنا من البيئات والله .<sup>(٣)</sup> فقوله : ﴿ وَالَّذِي فَطَرْنَا ﴾ إما أن يحمل على القسم ، فكأنهم قالوا : والله لن نؤثرك على ما جاءنا من البيئات ، أو يحمل على البيان أنهم قالوا : لن نقدم على عبادة الله الذي فطرنا أحداً مهما كان .

٣- قد يحتمل السياق معاني كثيرة ، ولكن السياق يحصر نوعها : كما في قوله - تعالى - : ﴿ قَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْتَرْعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فِصْصِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَأُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا ﴾ [المائدة: ٥٢] قال - رحمه الله - : "... وأما قوله : ﴿ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ فإن السدي كان يقول : الأمر : الجزية ، وقد يحتمل أن يكون الأمر الذي وعد الله نبيه محمداً - ﷺ - أن

(١) جامع البيان (١٠/٤٤٨) .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم (٤/٥٥١) ، ومعالم التنزيل (٤/١٤) ، وروح المعاني (١٣/٢٣/٤٤) .

(٣) جامع البيان (٨/٤٣٦) .

يأتي به : هو الجزية ، ويحتمل أن يكون غيرها ، غير أنه أيّ ذلك كان ، فهو مما فيه إدالة المؤمنين على أهل الكفر بالله وبرسوله ، ومما يسوء المنافقين ولا يسرّهم ، وذلك أن الله -تعالى ذكره- قد أخبر عنهم أن ذلك الأمر إذا جاء : أصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين .<sup>(١)</sup>

فالأمر الذي يأتي به الله-عزّ وجلّ - قد يكون جزية أو غيرها ، ولا يدخل في هذا الأمر إلا ما يظهر فيه على المنافقين الحسرة والندم .

(١) جامع البيان (٤/٦٢٠) ، وتحقيق شاکر (١٠/٤٠٦) . انظر بقية المواضع في : الروم (٣٢) ﴿ مِنْ الَّذِينَ فَزَعُوا مِنْهُمْ وَكَانُوا يَشْعَرُونَ كُلِّ جَزِيٍّ يَمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾ جامع البيان (١٠/١٨٥) ، والشورى (٧) ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ الآية جامع البيان (١١/١٢٩-١٣٠) ، والدخان (١٥) ﴿ إِنَّا كَاتِبُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكَ عَائِدُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ جامع البيان (١١/٢٢٩) ، والقمر (٥) ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْتُذُرُ ﴾ ﴿٥﴾ جامع البيان (١١/٥٤٩) .

## المبحث الخامس :

### مواضع لم يستعن فيها الإمام الطبري - رحمه الله - بالسياق لإظهار المعنى:

بعد المرور على أمثلة كثيرة للإمام الطبري - رحمه الله - في تتبع السياق ، والاستفادة منه للوصول إلى المعنى ، هناك مجموعة قليلة من المواضع التي لم يستعمل فيها السياق ، ومنها :

لما ذكر الله - عز وجل - منته على رسوله محمد - ﷺ - في سورة الضحى في قوله - تعالى - :

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۗ ﴾ [الضحى: ٦ - ٨] ، قال : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَنْهَرُ ۙ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرُ ۙ ﴾ [الضحى: ٩ - ١١] ، ولكن لم يربط ابن جرير - رحمه الله - في المعنى بين هذه الآيات وما قبلها <sup>(١)</sup> ، ولم يذكر أن هذه الأوامر هي في مقابل تلك النعم الماضية .

فحين يوجد هذا الربط والتقابل ، يكون أمره بعد هذه النعم أن يتذكر حاله سابقاً ، ويرفق بمن كانوا في مثل حاله ، ويترتب على ذلك وضوح معنى السائل في قوله : ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرُ ﴾ [الضحى: ١٠] وأنه : سائل العلم ، فكما كنت ضالاً فهداك الله ، فلا تنهر السائل في العلم المسترشد .

وأن معنى النعمة التي يتحدث بها في قوله - تعالى - : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١] هي بعد أن كان فقيراً فأغناه الله فحدث بنعمة الله عليك ، وقيل : هي النبوة ، أو القرآن ، ومن التحدث بنعمة النبوة دعوة الناس إلى الإيمان بها ، والدخول في الإسلام الذي يدعو إليه . <sup>(٢)</sup> والله أعلم .

وفي قوله - تعالى - : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ خَبِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ كَفَرُوا أَمْ يَحْمِلُهَا أَكْثَلُ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَالًا بِمِثْلِ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥] قال - رحمه الله - : " يقول - تعالى - ذكره - : مثل الذين أتوا التوراة من اليهود والنصارى ، فحملوا العمل بها ، ﴿ ثُمَّ كَفَرُوا بِهَا ﴾ يقول : ثم لم يعملوا بما

(١) جامع البيان (١٢/٦٢٥) .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم (٤/٥٢٤-٥٢٥) . وقال ابن القيم : " والتحقق أن الآية ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرُ ﴾ تتناول النوعين " . التبيان في أقسام القرآن (٨٥) .

فيها ، وكذبوا بمحمد - ﷺ - ، وقد أمروا بالإيمان به فيها واتباعه والتصديق به ، ﴿ كَتَمَلِ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَشْقَارًا ﴾ ... (١)

وإنما سياق سورة الجمعة في اليهود ، فقد قال الله - تعالى - بعدها : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الجمعة: ٦].

وفي قوله - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠] (٢) لم يذكر - رحمه الله - : العطف على أهل الفية ، حيث اشترط العلماء فيهم : الترضي عن صحابة رسول الله - ﷺ - ، كما ورد ذلك عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ومالك وأحمد - رحمهما الله - ، وغيرهم .

قال القرطبي - رحمه الله - : " هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة ؛ لأنه جعل لمن بعدهم حظاً في الفية ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم ، وأن من سبهم أو واحداً منهم ، أو اعتقد فيه شراً ، أنه لا حق له في الفية ، روي ذلك عن مالك وغيره . قال مالك : من كان يُبغض أحداً من أصحاب محمد - ﷺ - ، أو كان في قلبه عليهم غلٌّ ، فليس له حق في فية المسلمين ، ثم قرأ : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ الآية . " (٣)

(١) جامع البيان (٩٢/١٢) .

(٢) وموضع تفسير الآية من جامع البيان (٤٣/١٢) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (جزء ٢٢/١٨) ، وانظر تفسير القرآن العظيم (٣٣٩/٤ - ٣٤٠) . وانظر بقية المواضع في: المائدة

(٢٠) ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٥٠٩/٤) ، ويوسف (٤٦) ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا

الصِّدِّيقُ أَفِينَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ﴾ الآية جامع البيان (٢٢٨/٧) ، و(٥٢) ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ

وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْفَالِسِينَ ﴾ وما بعدها ، جامع البيان (٢٣٥/٧) ، والأنبياء (٧٩) ﴿ فَفَهَمْنَاهَا لِلْمُصَلِّينَ وَكَلَّامًا لَنَا حَكِيمًا

وَعَلَمًا ﴾ الآية جامع البيان (٤٩/٩) ، ولقمان (٣) ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ جامع البيان (٢٠١/١٠) ، والذاريات

(١٦) ﴿ أَلَيْسَ لَنَا مَا نَدْعُهُمْ رِجْمًا لَهُمْ كَأَنَّا قَمَلٌ ذَلِكَ مُحْسِنٌ ﴾ جامع البيان (٤٥١/١١) ، والرحمن (٧٠) ﴿ فِيهِمْ خَيْرٌ حَسَانٌ

﴿ وَأَنَّهُمْ يَتَشَاءُونَ ﴾ الآية جامع البيان (٦١٣/١١) ، والواقعة (٦٨) ﴿ أَوْرَثْنَاهَا الْآلِيَةَ فَشَرُّونَ ﴾ ، و(٧١) ﴿ أَوْرَثْنَاهَا النَّارَ الَّتِي تُورَثُونَ ﴾

جامع البيان (٦٥٥/١١) ، والطلاق ، (٦) ﴿ أَشْكُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (١٤٠/١٢) ، والتحريم



فأهل الفيء في الآيات هم : مهاجرون وأنصار ثم تابعون لهم بإحسان ، والآيات معطوف بعضها على بعض في حكم الفيء ومصرفه ، قال تعالى : ﴿ مَا آفَأَهُ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَصْرُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر: ٧ - ١٠].

وفي ختام الفصل : يتبين أن دلالة السياق أثراً واضحاً ومهماً جداً في الوصول إلى المعنى ، سواء كان ذلك في الآية الواحدة ، أو الآيات المتعددة ، ومن الوصول إلى تمام المعنى وكمال الجواب على ما يوهم التناقض ، ومعرفة أن الجواب عائد على السؤال ، وأن المعطوف المشترك مرتبط مع عطف غير المشترك في المعنى ، ومن تمام المعنى تحديد المخاطب والموصوف ، ومع ما سبق فهناك حالات للسياق قد تحمل أوجهاً متعددة ولا يتضح المعنى بجلاء لأحدها دون البقية ، ولكن للسياق دور في حصرها . -والله الموفق - .

(٥) ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّفَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْزُقًا خَيْرًا مِنْكُنَّ ﴾ الآية جامع البيان (١٢/١٥٦) ، والقيامة (٣٦) ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ ﴿ جامع البيان (١٢/٣٥١) ، والمطففين (١٠) ﴿ قُلْ يُؤْمِلُوا لِّلْمَكْرِبِينَ ﴾ ﴿ جامع البيان (١٢/٤٨٩) .



## الفصل الخامس

أثر دلالة السياق في ذكر المعنى المناسب للسياق

إذا حذف متعلّقه لعمومه ولا ينافي العموم :

## الفصل الخامس :

أثر دلالة السياق في ذكر المعنى المناسب للسياق إذا حذف متعلقه لعمومه ولا ينافي العموم :

هذا الفصل يبين أثر دلالة السياق الواضح لما حذف متعلقه من كلام الله - عز وجل - على عبارة المفسر ، والمتعلق يرد في النحو ، ومعناه : رجوع الظرف أو الجار والمجرور إلى المتعلق ، وهو : الفعل أو ما يشبهه لتكملة المعنى <sup>(١)</sup> ، حيث يتبع المفسر سياق الآية بين الآيات ، ويحمل معنى ما حذف متعلقه على ما كان السياق فيه ، أو قد يذكر المعنى الخاص للسياق ويذكر العام معه ، وسار على هذه الطريقة الطبري - رحمه الله - .

ويتضح معنى هذا الفصل والتمثيل عليه باختصار من كلام العلامة السعدي - رحمه الله - حيث يقول في : " حذف المتعلق المعمول فيه يفيد تعميم المعنى المناسب له ، وهذه قاعدة مفيدة جداً ، متى اعتبرها الإنسان في الآيات القرآنية أكسبته فوائد جلية ، وذلك أن الفعل وما في معناه متى قيد بشيءٍ تقيده به ، فإذا أطلقه الله - تعالى - ، وحذف المتعلق كان القصد من ذلك التعميم ، ويكون الحذف هنا أحسن وأفيد كثيراً من التصريح بالمتعلقات ، وأجمع للمعاني النافعة ، ولهذا أمثلة كثيرة جداً منها :

أنه قال في عدة آيات : ﴿ لَمَلِكُمْ تَقُولُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿ لَمَلِكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup>

(١) انظر المعجم المفصل في النحو (١/٣٦٢) .

(٢) ورد التعليل بهذا في : البقرة (٧٣) ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياتيه لعلكم تَعْقِلُونَ ﴾ ، والأنعام (١٥١) ﴿ وَلَا تَقْسُوا أَنْفُسَ اللَّهِ إِيَّاهُ بِالْحَقِّ ذَلِكَ وَسَّخِرَ بِهِ لَمَلِكُمْ تَقُولُونَ ﴾ ، ويوسف (٢) ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ، والنور (٦١) ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ هِيَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ بَيِّنَاتٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ، والزخرف (٣) ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ، والحديد (١٧) ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

(٣) ورد التعليل بهذا في : الأنعام (١٥٢) ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْبُدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَهْدِ اللَّهُ أَرْوَاقَ الَّذِينَ لَمْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ بَلَاغًا بَلِيغًا يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ أَلْفَاظَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَحْتَفِلُونَ ﴾ ، والأعراف (٥٧) ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نَقَالًا سَفَّاهُ لِيَكُونَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاتَّخَذْتُم مِّنْهُ حَيًّا فَادْرِكُوا فِيهِ الْمَاءَ فَاخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا حَتَّىٰ إِذَا أَغْمَسْتُمُ الْمَاءَ خَرَجُوا مِنْهُ خُضِرًا إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِهِ لَلْعَدْلُ وَإِلْحْسَانُ ﴾ ، والنحل (٩٠) ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِهِ لَلْعَدْلُ وَإِلْحْسَانُ ﴾ .

﴿لَمَلِكُمْ تَنْقُونَ﴾<sup>(١)</sup> فيدل ذلك على أن المراد :

لعلكم تعقلون عن الله كل ما أرشدكم إليه ، وكل ما علمكموه ، وكل ما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة .

ولعلكم تذكرون فلا تنسون وتغفلون ، فتكونوا دائما متيقظين ، مرهفي الحواس ، تحسون كل ما تمررون به من سنن الله وآياته ، فتذكرون جميع مصالحكم الدينية والدنيوية .

ولعلكم تتقون جميع ما يجب اتقاؤه ، من الغفلة ، والجهل ، والتقليد ، وكل ما يحاول عدوكم أن يوقعكم فيه ، من جميع الذنوب والمعاصي ، ويدخل في ذلك ما كان سياق الكلام فيه ، وهو فرد من أفراد المعنى العام... .

[ثم مثل بأمثلة منها] : ما أمر به من الصلاح والإصلاح ، وما نهي عنه من الفساد والإفساد مطلقاً ، يدخل فيه كل صلاح في الدنيا والدين ، كما يدخل في النهي كل فساد كذلك... . وكذلك قوله -تعالى- : ﴿الْهَيْكُمُ الْكَاكِرُ﴾ [النكاثر: ١] فحذف المتكاثر به ؛ ليعم ما قصد الناس فيه المكاثرة : من الرياسات ، والأموال ، والجاه ، والضيعات ، والأولاد ، وغيرها مما يتعلّق به أغراض النفوس الغافلة عن حكمة الله وسننه ، فيلهيها ذلك عن طاعة الله... . وكذلك أمره بالصبر ، ومحبته للصابرين ، وثناؤه

وَلِيَأْتِي ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَمَلِكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٠﴾ والنور (١) ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ لِّيَذَكَّرَ لَمَلِكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٠﴾ ، و(٢٧) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَلَسْتُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٩﴾ وَكَلِمَاتٍ فِي الْفَصَاحِ حَيٰوةٌ يَتَأُولَىٰ الْأَلْبَابِ لَمَلِكُمْ تَنْقُونَ ﴿١٣٣﴾ ، و(١٨٣) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كِتَابٌ عَلَيْهِمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَلِكُمْ تَنْقُونَ ﴿١٥٣﴾ ، وَالْأَنْعَامِ ﴿١٥٣﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُم بِهِ لَمَلِكُمْ تَنْقُونَ ﴿١٧١﴾ وَالْأَعْرَافِ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ نَفَقْنَا الْجِبَالَ فَوْقَهُمْ كَالْتِهَادِ وَظَلَّمْنَا أَنَّهُمُ الْوَاقِعُ يَوْمَ جَدُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ يَقُورُوا وَآذَكُرُوا مَا فِيهِ لَمَلِكُمْ تَنْقُونَ ﴿١٣٣﴾ .

عليهم ، وبيان كثرة أجورهم ، من غير أن يقيد ذلك بنوع ؛ ليشمل أنواع الصبر الثلاثة ، وهي : الصبر على طاعة الله ، وعن معصية الله ، وعلى أقدار الله . ومقابل ذلك ذمه للكافرين ، والظالمين ، والفاستقين ، والمشركين ، والمنافقين ، ونحوهم ، من غير أن يقيد بشيء ؛ ليشمل ذلك جميع المعنى ، ومن هذا قوله -تعالى- : ﴿ فَإِنْ أَحْبَبْتُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٦] ؛ ليشمل كل حصر ومنع ، ومنه قوله : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ رِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ [البقرة: ٢٣٩] ؛ ليعم كل خوف ، وقد يقيد ذلك ببعض الأمور ، فيتقيد به ما سيق الكلام لأجله ، وهذا شيء كثير ، لو ذهبنا نذكر الأمثلة عليه لطالت ، ولكن قد فتح لك الباب ، فامش على هذا السبيل المفضي إلى رياض بهيجة من أصناف العلوم . " (١)

وسيكون الحديث في هذا الفصل حسب تعامل الإمام -رحمه الله- مع هذا الأثر من خلال

#### المباحث التالية :

المبحث الأول : ذكر المعنى المناسب للسياق دون الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه .

المبحث الثاني : ذكر المعنى المناسب للسياق مع الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه .

المبحث الثالث : ذكر المعنى المناسب للسياق من ختام الآيات بأسماء الله -سبحانه وتعالى- مع الإشارة

للعوم أو بدونها . (٢)

المبحث الرابع : موضع لم يستعمل فيه الإمام ابن جرير -رحمه الله- الطريقة السابقة .

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن (٤٦-٥٠) . ولم يذكر أمثلة لما يقيد به السياق إذا كان الكلام له متعلق ، وقد يكون

المذكور بعد المتعلق دليلاً على تخصيصه : كقوله تعالى : ﴿ وَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْمَغْرُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ

لَمَّا كُمْ تَنْفِقُونَ ﴿٣٣﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ [البقرة: ٢١٩ - ٢٢٠] ونحوها . -والله أعلم - .

(٢) ويلاحظ أن المعنى لما حذف متعلقه -سواء ذكر المعنى الخاص للسياق وحده ، أو ذكر المعنى الخاص ومعه المعنى العام -

فالمراد بالآية المعنى العام ، ويدخل الخاص فيه دخولاً أولياً . -والله أعلم - .

## المبحث الأول :

### ذكر المعنى المناسب للسياق دون الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه:

إذا عقب الله -عزّ وجلّ- على حكم أو خير ما تعقياً محذوف المتعلق ، فقد يذكر ابن جرير -رحمه الله- المعنى القريب المناسب للآية ، ولا يشير إلى غيره مما يشابهه ، مع اندراجه في المعنى العام :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦] ... ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ قال أبو جعفر : يعني بذلك -جلّ ثناؤه- : والله يعلم ما هو خير لكم مما هو شر لكم ، فلا تكرهوا ما كتبت عليكم من جهاد عدوكم ، وقاتل من أمرتكم بقتاله ، فإني أعلم أن قتالكم إياهم ، هو خير لكم في عاجلكم ومعادكم ، وترككم قتالهم شر لكم ، وأنتم لا تعلمون من ذلك ما أعلم ، يحضهم -جلّ ذكره- بذلك على جهاد أعدائه ، ويرغبهم في قتال من كفر به .<sup>(١)</sup>

فذكر -رحمه الله- أن المراد بعلم الله -عزّ وجلّ- في هذه الآية ، ونفي العلم عن المؤمنين ، هو العلم بخيرية القتال ، وشرية القعود عنه ، مع أنه يصح أن يقال : بأن كل الأشياء يعلمها الله -عزّ وجلّ- علماً محيطاً ، ولا يعلم الخلق شيئاً عن كثير منها .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ [النور: ٢٩] قال -رحمه الله- : وقوله : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ يقول -تعالى- ذكره- : والله يعلم ما تظهرون أيها الناس بألسنتكم ، من الاستئذان إذا استأذنتم على أهل البيوت المسكونة ، ﴿ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ يقول : وما تضمرونه في صدوركم عند فعلكم ذلك ، ما الذي تقصدون به ؟ إطاعة الله والانتهاز إلى أمره ، أم غير ذلك ؟<sup>(٢)</sup>

فالله -عزّ وجلّ- يعلم كل ما يبدي الإنسان وما يخفي ، ولكن لما ذكر العلم في هذا الموضع

(١) جامع البيان (٢/٣٥٨-٣٨٩) ، وتحقيق شاكر (٤/٢٩٩) .

(٢) جامع البيان (٩/٣٠٢) .

بالأخص ، جعل معناه مناسباً محلّه وسياقه ، وهو : الاستئذان .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المطففين: ٣٦] قال -رحمه الله- : " وقوله: ﴿ هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ يقول -تعالى- ذكراً -: هل أتيب الكفار وجزوا ثواب ما كانوا في الدنيا يفعلون بالمؤمنين ؟ ، من سخريتهم منهم ، وضحكهم بهم ، بضحك المؤمنين منهم في الآخرة ، والمؤمنون على الأرائك ينظرون ، وهم في النار يعدّون. " (١)

ولاشك أن الله - سبحانه - مجاز الكفار في الآخرة على كل أفعالهم ، ولكن لما ذكر الله -تعالى- في هذا السياق الاستهزاء بالمؤمنين ، والضحك منهم ، حمل الفعل عليه ولم يذكر غيره مع أنه لا يمتنع دخول غيره .

وحكم هذا النوع : أن حصر المعنى على ما ورد فيه السياق مع جواز دخول غيره لا يعني نفي دخول الغير ، ولكن المقصود إظهار أهم هذه المعاني ، وأهمها ما دل عليه السياق ، وقد أدخل الإمام ما شابه السياق في القسم الثاني ؛ ولذلك قلت بدخول غير ما دل عليه السياق في معناه ؛ لتشابه المواضع في القسمين ، والتفريق بين المتشابهات غير مقبول . (٢)

(١) جامع البيان (٥٠٣/١٢) .

(٢) وانظر بقية المواضع في : البقرة (٢١) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [١١] جامع البيان (١٩٦/١) ، و (٢٤) ﴿ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [٢٤] جامع البيان (٢٠٤-٢٠٥/١) ، و (٤١) ﴿ وَءَايَتُوا يَمَّا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ بِرَبِّهِمْ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنَّ فَاَتَّقُونَ ﴾ [٤١] جامع البيان (٢٩٢/١) ، و (٧٧) ﴿ وَءَايَتُوا يَمَّا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ بِرَبِّهِمْ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنَّ فَاَتَّقُونَ ﴾ [٤١] جامع البيان (٤١٦/١) ، و (٩٠) ﴿ بِسْمَا أَسْرَفُوا بِرَبِّهِمْ أَنْ يُكْفَرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ الآية جامع البيان (٤٦٢/١) ، و (٩٩) ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ [٩٩] جامع البيان (٤٨٦/١) ، و (١٢١) ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [١٢١] جامع البيان (٥٧٠/١) ، و (١٤٠) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ بُرُوعًا وَاسْتَعْجِلَ وَاسْتَخْلَفَ وَيَقُولُ الْكَافِرُ هُوَذَا أَوْ نَصَرَئِي ﴾ الآية جامع البيان (٢٢٧/١) ، و (١٤٦) ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيضَةً مِنْهُمْ لَيَتَّكِمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [١٤٦] جامع البيان (٢٩/٢) ، و (١٥٩) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْمُحْكَمَاتِ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ ﴾



وَيَعْتَمِدُ اللَّعِينُونَ ﴿١٣٨﴾ جامع البيان (٥٦/٢) ، و (١٧٧) ﴿لَيْسَ إِلَهٌ أَنْ تَقُولُوا وَجُوهَكُمْ فِى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ الآية جامع البيان (١٠٦/٢) ، و (١٧٩) ﴿وَلَكُمْ فِى الْفُضَاىِصِ حَيَوةٌ يَتَأَوَّلِى الْآلِبَابَ لَمَّا كُنْتُمْ تَنفُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ جامع البيان (١٢٠/٢) ، و (١٨٣) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَيْبٌ عَلَيْهِمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَنفُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ جامع البيان (١٣٥/٢) ، و (١٨٥) ﴿شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ الآية جامع البيان (١٦٢/٢) ، و (١٩٠) ﴿وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَفْتِنُونَكُمْ وَلَا تَسَدُّوْاْ أَبْءَابَ اللَّهِ أَنْ يُجِبَّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ جامع البيان (١٩٧/٢) ، و (١٩٦) ﴿وَأَيُّوْاْ لِحَجِّ وَالْمَعْرَةِ لِلَّهِ فَإِنَّ أُخْرَجْتُمْ مِّنْهُ فَاسْتَيْسِّرْ مِنْهُ الْهُدَى﴾ الآية جامع البيان (٢٦٧/٢) ، و (٢٠٢) ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٤٠﴾﴾ جامع البيان (٣١٣/٢-٣١٤) ، و (٢٠٣) ﴿وَأذْكُرُواْ اللَّهَ فِى أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَآتَقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ إِلَهِوْهُ مُخْشِرُونَ ﴿١٤١﴾﴾ جامع البيان (٣٢٤/٢) ، و (٢٢١) ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِيْنَ حَتَّى يُؤْمِنُوْاْ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٢/٢) ، و (٢٧١) ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِيْنَ مِنْ أَنْصَابٍ ﴿١٤٢﴾﴾ جامع البيان (٩٢/٣) ، و (٢٥٨) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَاهِيْمَ فِى رَيْبِهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمَلَكَ إِذْ قَالَ إِبرَاهِيْمُ رَبِّىَ الَّذِى يُعْبَدُ وَيُعْبَدُ قَالَ أَنَا أُخِى- وَأَبِيْتُ قَالَ إِبرَاهِيْمُ فَإِنَّكَ اللَّهُ يَأْتِى بِالسَّمِىْمِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَ ﴿١٤٣﴾﴾ جامع البيان (٢٩/٣) ، و آل عمران (١٥) ﴿قُلْ أَؤْتِيْتُمْ كُفْرًا مِن دَابِغٍ مِّن دَابِغِىنَ الَّذِيْنَ اتَّقَوْاْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا وَأَنْزَجَ مِنْ تَحْتِهَا رِىْحًا وَرِىْحَاتٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِبَصِيْرٍ بِالْءَاثِمِ ﴿١٤٤﴾﴾ جامع البيان (٢٠٧/٣) ، و (٤٩) ﴿وَرَسُوْاْ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيْلَ أَنَّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِّنَ رَبِّكُمْ﴾ الآية جامع البيان (٢٧٩/٣) ، و (٨٣) ﴿أَفَعَدَّ وَبَيْنَ اللَّهِ يَبْعُوثٌ وَلَهُ ءَسْتَكْمَ مِنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْءَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿١٤٥﴾﴾ جامع البيان (٣٣٦/٣) ، و (١١٢) ﴿صُرِّتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تَوَقَّفُواْ لِأَنَّ جِبِلَّ مِنَ اللَّهِ وَجِبِلَّ مِنَ النَّاسِ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٧/٣) ، و (١١٧) ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِى هَذِهِ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيْحٍ فِيْهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكْتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ جامع البيان (٤٠٦/٣) ، و (١٨٤) ﴿فَإِنْ كَذَّبْتُمْ فَسَقَدْتُمْ رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ جَاءُواْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٤٧﴾﴾ جامع البيان (٥٣٩/٣) ، و النساء (٣٢) ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ وَسَأَلُواْ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمًا ﴿١٤٨﴾﴾ جامع البيان (٥١/٤) ، و (٥٧) ﴿وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ﴾ الآية جامع البيان (١٤٧/٤) ، و المائدة (٧) ﴿وَأذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيقَاتِهَا الَّتِىْ وَافَقْتُمْ بِهَا نَفْسَكُمْ وَأَطَعْتُمْ وَأَتَقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ ﴿١٤٩﴾﴾ جامع البيان (٤٨٢/٤) ، و (٢٥) ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَجِى فَاغْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِيْنَ﴾ جامع البيان (٥٢٢/٤) ، و (٥١) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخْذَعُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَانِىَّ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ

الله لا يهدي القوم الظالمين ﴿٥٥﴾ جامع البيان (٦١٨/٤)، والأنعام (٣٧) ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ الآية جامع البيان (٤٧٨/٥)، و﴿٤٥﴾ ﴿فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَلِحَمْدِ اللَّهِ رَبِّ الْمُنِيبِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ جامع البيان (١٩٤/٥)، و﴿٤٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ جامع البيان (١٩٧/٥)، و﴿١٢٤﴾ ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِنْ أَوْفَىٰ رُءُوسِ السَّمَاوَاتِ آيَةً كَالَّذِي آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ وَإِنَّمَا اتَّخَذُوا لَهَا مَتَابِعًا﴾ الآية جامع البيان (٣٧٧/٥)، والأعراف (٨١-٨٢) ﴿أَجْمَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية جامع البيان (٥٤٠-٥٤١)، والنوبة (١٩) ﴿أَجْعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية جامع البيان (٣٣٧/٦)، و﴿٣٧﴾ ﴿إِنَّمَا اللَّهُ يُزِيدُ زِيَادَةً فِي الْكَفْرِ﴾ الآية جامع البيان (٣٦٩/٦)، و﴿١٠٩﴾ ﴿أَقْمَنَ أَسَسُ بُنْيَانِهِ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شِقَا جُرُوفٍ فَاسْتَهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٠٩﴾ جامع البيان (٤٧٩/٦)، ويونس (٧) ﴿إِنَّ الْآيَةَ لَا يَرْجِعُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَابِينَا غَافِلُونَ﴾ ﴿٧﴾ جامع البيان (٥٣٣/٦)، و﴿٤٠﴾ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ جامع البيان (٥٦٣/٦)، و﴿٨٣﴾ ﴿فَمَا ءَامَنَ لِيُؤْتِيَهُ مِن قَوْمِهِ عَلَىٰ خِيفَةٍ مِّنْهُمْ وَمَلَأَتْهُمْ أَنِيقًا وَأَلَتْهُمُ الْآيَاتُ الْكُبْرَىٰ وَلَئِن لَّمْ يَظْهَرِ لَهُمْ أَنَّهُ رَبُّهُمْ أَلَسْتُمْ لِفِتْنَتِهِمْ أُمَّةً حَافِيًا لِّمَا كَانُوا يُفْعَلُونَ﴾ ﴿٨٣﴾ جامع البيان (٥٩٣-٥٩٤)، وهود (٢٩) ﴿وَيَقُولُوا لَا آتَانَا بَشِيرٌ وَلَا نَذِيرٌ وَقَدْ كَانُوا يَظْهَرُونَ أَنَّ اللَّهَ مُنذِرٌ لِّلظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ جامع البيان (٣١٧/٧)، و﴿٤٦﴾ ﴿قَالَ يَنْتَوِعُ لِيَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَقِينٌ مِّنْ رَبِّكَ يُنذِرُ لِمَن يَشَاءُ لِقَاءَ آيَاتِهِ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ جامع البيان (٥٤٧/٧)، والحجر (١٨) ﴿إِلَّا مَن أَسْرَفَ فَسَرَفُكَ نَبْهَاتٌ مَّثِينٌ﴾ ﴿١٨﴾ جامع البيان (٤٩٩/٧)، والنحل (٣٤) ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ جامع البيان (٥٨١/٧)- (٥٨٢)، و﴿٣٨﴾ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمْوُتُ بَلْ وَعَدْنَا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ جامع البيان (٥٨٣/٧)، و﴿٧٥﴾ ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ جامع البيان (٦٢٢/٧)، و﴿٧٨﴾ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونَ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ جامع البيان (٦٢٥/٧)، و﴿٩١﴾ ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْفُضُوا الْأَيْدِينَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩١﴾ جامع البيان (٦٣٧/٧)، و﴿١٠١﴾ ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ ءَابِئًا وَاللَّهُ أَهْلَمُ بِمَا يَبْرُكُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٠١﴾ جامع البيان (٦٤٦/٧)، والإسراء (٣٠) ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ ﴿٣٠﴾ جامع البيان (٧٢/٨)، ومريم (٣٥) ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحٰنَهُ إِذَا فَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٣٥﴾ جامع

البيان (٣٤٢/٨)، والشعراء (٦٢) ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ ﴿١٢﴾ جامع البيان (٤٤٧/٩)، والنمل (٨٦) ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلَ الْيَلِ لَيْسَتُكُمُ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا لَكُمْ فِي ذَلِكَ لِأَيِّدِي لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٨﴾ جامع البيان (١٨/١٠)، والقصاص (١٠) ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُرْمُوتٍ قَدْرًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَّ قَلْبَهُمَا لَيَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ﴾ ﴿١٠﴾ جامع البيان (٣٧/١٠)، و(١١) ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتَيْهِ فَصِيحَةٍ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١١﴾ جامع البيان (٣٨/١٠)، والعنكبوت (٣٨) ﴿وَعَصَا دَاوُدَ وَكُتُوبًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِئِهِمْ وَرَزَقَكُمُ اللَّهُ السَّيِّطُونَ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ ﴿١٥﴾ جامع البيان (١٤٠/١٠)، و(٦٤) ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٦﴾ جامع البيان (١٥٩/١٠)، ولقمان (١٤) ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى النَّصِيرِ﴾ ﴿١٥﴾ جامع البيان (٢١٠/١٠)، والسجدة (٢٧) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوفُ السَّمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُزْرِ فَنُخْرِجُ بِهِ زُرْقًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿١٧﴾ جامع البيان (٢٥٢/١٠)، والأحزاب (٤٤) ﴿فَيَحْيِيهِمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأُخْبِرُكُمْ أَنَّكُمْ كَانُوا كَرِيمًا﴾ ﴿١٤﴾ جامع البيان (٣٠٦/١٠)، و(٥١) ﴿تَرَجَى مِنَ نَشَاءِ رَبَّتَيْنِ وَتَقْوَى إِلَيْكَ مِنَ نَشَاءِ الْآيَةِ﴾ جامع البيان (٣١٦/١٠)، و(٦٢) ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلشَّيْءِ اللَّهُ تَبْدِيلًا﴾ ﴿١٦﴾ جامع البيان (٣٣٤/١٠)، والزمر (٩) ﴿أَمَنْ هُوَ قَدِيتُ عَائَةَ آلِ يَلِ سَلْجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ الآية جامع البيان (٦٢١/١٠)، و(٦٧) ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَعَنْكَرَ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٧﴾ جامع البيان (٢٧/١١)، والشورى (٢٤) ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْعَلْ عَلَى اللَّهِ كَيْدًا فَإِنَّ اللَّهَ يَخْتَارُ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخْلِقُ الْمَخْرُجَ يَكَلِّمُهُ إِنَّهُ عِلْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿١٨﴾ جامع البيان (١٤٦/١١)، والحديد (٨) ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨﴾ جامع البيان (٦٧٢/١١)، والمجادلة (٣) ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ بَنَاتِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ فَوْعُولُكُمْ بِهِ وَاللَّهُ يَمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿٣﴾ جامع البيان (١٠/١٢)، و(٥) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَثِيرًا كَمَا كَيْتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتِنَا يَتَذَكَّرُ فِيهَا لِقَوْمٍ يُهْتَدُونَ﴾ ﴿٥﴾ جامع البيان (١٣/١٢)، و(١٠) ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَرَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠﴾ والحشر (٥) ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَسْتُمْهَا فَأَيِّمَ عَلَى أَسْوَأِهَا فَمَا بَدَأَ اللَّهُ وَالشَّيْءُ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٥﴾ جامع البيان (٣٤/١٢)، و(١٣) ﴿لَأَنشُرَنَّ أَسَدًا رَهَبًا فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُوْنَ﴾ ﴿١٣﴾ جامع البيان (٤٥/١٢)، والممتحنة (٨) ﴿لَا يَتَهَكَّرُونَ اللَّهَ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَا يُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ تَبْرَهُمْ وَيَتَّقُوا لِقَابَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٨﴾ جامع البيان (٦٣/١٢)، والتكوير (٢٩) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ جامع البيان (٤٧٥/١٢).

## المبحث الثاني :

## ذكر المعنى المناسب للسياق مع الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه :

سبق في المبحث الماضي <sup>(١)</sup> أن الإمام الطبري -رحمه الله- يذكر ما ورد فيه السياق فقط ، وأن ذلك لا يعني حصر المعنى بما ورد في السياق ، بل يدخل ما يشابهه في المعنى ، ويدل على ذلك الأمثلة الآتية في هذا المبحث ، فهو يذكر ما دل عليه السياق وما يشابهه في معناه ، ومن الأمثلة على ذلك :

قوله -تعالى- : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِيَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْوَالِدِ لَهُ رِضْفُهُنَّ وَكَسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَكَّرُ وَلاَ تُؤَلَّدُ وَلاَ يُؤَلَّدُ لَهُ إِلاَ بِإِذْنِهِ وَعَلَى الْوَالِدِ إِذَا سَلِمْتُمْ مِمَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَالْقَوَا أَلْفَاؤُا اللَّهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ [البقرة: ٢٣٣] قال أبو جعفر : " يعني -تعالى- ذكره -بقوله : ﴿ وَالْقَوَا أَلْفَاؤُا اللَّهُ ﴾ وخافوا الله فيما فرض لبعضكم على بعض من الحقوق ، وفيما ألزم نساءكم لرجالكم ورجالكم لنسائكم ، وفيما أوجب عليكم لأولادكم ، فاحذروه أن تخالفوه فتعتدوا في ذلك - وفي غيره من فرائضه وحقوقه - حدوده ، فتستوجبوا بذلك عقوبته . " <sup>(٢)</sup>

فالأمر بالتقوى في ختام هذه الآية ، يرجع أولاً : إلى ما ورد في سياقها من أوامر وأحكام ، ويدخل جميع ما فرضه الله -تعالى- وحده على وجه العموم ثانياً .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَفْقَضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾

(١) ذكر المعنى الخاص للسياق دون الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه صفحة (٤٨٩) .

(٢) جامع البيان (٥٢٤/٢) ، وتحقيق شاکر (٧٦/٥) .

وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ [النور: ٣١] قال - رحمه الله -: " وقوله: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ يقول - تعالى ذكروه -: وارجعوا أيها المؤمنون إلى طاعة الله فيما أمركم ونهاكم ، من غَضِّ البَصْرِ ، وحفظ الفرج ، وترك دخول بيوت غير بيوتكم من غير استئذان ولا تسليم ، وغير ذلك من أمره ونهيهِ . ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ يقول : لتفلحوا وتدرکوا طلباتكم لديه ، إذا أنتم أطعتموه فيما أمركم ونهاكم . " (١)

فلما أمر الله - سبحانه وتعالى - في هذا الموضع بالتوبة ، رجع الرابط إلى ما ورد في سياقها من أوامر وأحكام ، ولا يعني ذلك اختصاص التوبة بهذا المذكور في السياق بل يدخل كل ما يشابهه مما يتاب منه ، وتكون التوبة منه سبيل الفلاح .

وفي قوله - تعالى - : ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى الرَّسُولِ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَأَنْهَوْا وَأَنْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ [الحشر: ٧] قال - رحمه الله - : " وقوله ﴿ وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى الرَّسُولِ فَخُذُوهُ ﴾ يقول - تعالى ذكروه -: وما أعطاكم رسول الله - ﷺ - مما آفأه الله عليه من أهل القرى فخذوه ، ﴿ وَمَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ ﴾ من الغلول وغيره من الأمور ﴿ فَأَنْهَوْا ﴾ . " (٢)

وهذا الأمر من الله - تعالى - بطاعة رسول الله - ﷺ - يدخل فيه أولاً : ما كان الحديث عنه وهو قسمة الفبيء ، ويدخل كل ما جاء به الرسول - ﷺ - من الأوامر تبعاً للفيء ؛ لمشاهدته له في وجوب الطاعة . (٣)

(١) جامع البيان (٩/٣١١) .

(٢) جامع البيان (١٢/٣٨) .

(٣) وانظر بقية المواضع في : البقرة (٢٧) ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا ﴾ الآية جامع البيان (١/٢١٧) ، و (٢٩) ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ جامع البيان (١/٢٣٢) ، و (٩٥) ﴿ وَكَانَ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ جامع البيان (١/٤٧٢) ، و (١٠٩) ﴿ وَذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوكُمْ مِنْ بَدِّ إِيْمَانِكُمْ كَغَمَّارًا حَسْبًا ﴾ الآية جامع البيان (١/٥٣٧) ، و (٢٣١) ﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْتَنَّ =

أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَخُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴿الآية جامع البيان (٤٩٦/٢)، و(٢٣٧)﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴿الآية جامع البيان (٥٦٨-٥٦٩)، و(٢٤٩)﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكُم مَّبْتَلِيكُمْ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِي. ﴿الآية جامع البيان (٦٣٨/٢)، و(٢٦٥)﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَيَتَّبِعُوا آلَاءَهُمْ كَمَا نَفْسُهُمْ كَفَرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿الآية جامع البيان (٧٤ و٦٩/٣)، و(٢٦٩)﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ. وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿جامع البيان (٩١/٣)، و(٢٧٦)﴾ يَمْحُ اللَّهُ الذَّنْبَ مِنَ الرِّبَا وَيُرِي الْمَكَدَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿جامع البيان (١٠٦/٣)، و(٢٨٢)﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَانَيْتُمْ بِدِينِكُمْ إِلَىٰ أَحَدٍ مُّسَكِّي فَاكْتَسَبُوهُ وَلِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كِتَابًا بِالْمَدَدِ ﴿الآية جامع البيان (١٣٨/٣)، و(٢٤٨)﴾ وَإِن كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهِنَّ مَثْبُوتَةً ﴿الآية جامع البيان (١٤٢/٣)، و(٢٨٤)﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبَدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴿الآية جامع البيان (١٥١/٣)، و(٢٨)﴾ لَا يَتَّخِذُ الْمُتَّقُونَ الْكُفْرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن يَتَّخِذُوا مِن بَيْنِهِمْ نَصْرَةً وَيَعِدُّكُمْ اللَّهُ نَفْسًا وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿جامع البيان (٢٢٩/٣)، و(٥٧)﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿جامع البيان (٢٩٢/٣)، و(٧٦-٧٧)﴾ بَلَىٰ مَن أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَأَتَىٰ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿الآيتين جامع البيان (٣١٨/٣)، و(١١٦)﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تَغْفِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿جامع البيان (٤٠٣/٣)، و(١١٩)﴾ هَٰئِئَنَّمْ أَولَادٌ تُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّوكُمْ وَتُوْتِمُونَهُمْ بِالْكُفْرِ كُفْرًا ﴿الآية جامع البيان (٤١٣/٣)، و(١٣٠)﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ الْمُضَمَمَّةَ وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿جامع البيان (٤٣٥/٣)، و(١٦٢)﴾ أَفَمَن أَتَىٰ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَنِيسَ الْمَصِيرِ ﴿جامع البيان (٥٠٤/٣)، و(١٧٤)﴾ فَأَنقَلِبُوا بِعَمَلِهِ مِنَ اللَّهِ وَفَضَّلِ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿جامع البيان (٥٢٤/٣)، و(١٨٠)﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَاعُونَ بَيْعًا مَّا أَنْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴿الآية جامع البيان (٥٣٥/٣)، والنساء (١٣)﴾ وَإِلَٰك حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿جامع البيان (٦٣٢/٣)، و(٣٢)﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿جامع البيان (٥٢/٤)، و(٤٩)﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِإِلَٰهِ رَبِّي مِن بَيْنِ يَدَيْهِمْ وَلَا يَدْعُونَ إِلَهًا إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَكِيمًا ﴿جامع البيان (١٤٥/٤)، و(٩٤)﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا صَرَّفْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْبَلُوهُ ﴿آية جامع البيان

(٢٢٤/٤)، و(١٠٨) ﴿يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُخِيبًا ﴿١٨﴾﴾ جامع البيان (٢٧٢/٤)، و(١٢٧) ﴿وَسَيَسْأَلُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ الآية جامع البيان (٣٠٤/٤)، و(١٥٤) ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ مُخْلِجًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمُ بَيْتًا عَلِيًّا﴾ جامع البيان (٣٤٨/٤)، والمائدة (٦) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ الآية جامع البيان (٤٨٠/٤)، و(٩) ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ جامع البيان (٤٨٤/٤)، و(٢٣) ﴿قَالَ رَبِّجُلَانٍ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَعْمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ عَلَىٰ وَعَلَىٰ اللَّهُ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾﴾ جامع البيان (٥٢٠/٤)، و(٩٦) ﴿أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدٌ الْبَحْرِ وَطَمَاةٌ. مَتَمَّا لَكُمْ وَاللَّيْتَانُ وَنَحْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَأَنْفِقُوا اللَّهُ الذِّكْرَ إِلَيْهِ تُعْشَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ جامع البيان (٧٧/٤)، والأعراف (٣٣) ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا تَرَىٰ يَنْزِلُ بِهِ سُلْطَنًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ جامع البيان (٤٧٦/٥)، والأنفال (٧٢) ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ الآية جامع البيان (٢٩٦/٦)، والتوبة (١٦) ﴿أَنْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا أَنْ تَقُولُوا لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَسْخَرُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رُسُلِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ جامع البيان (٣٣٣/٦)، و(٣٩) ﴿إِلَّا تُنْفِرُوا يَمْذُبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨﴾﴾ جامع البيان (٣٧٣/٦)، و(١١٥) ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَضِلُّوا لَكُمْ مَا يَنْفُوتُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٩﴾﴾ جامع البيان (٥٠٠/٦)، و(١٢٠) ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنِ نَفْسِهِ﴾ الآية جامع البيان (٥١١/٦)، ويونس (٦٠) ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ جامع البيان (٥٧٢/٦)، وهود (٤) ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ جامع البيان (٦٢٤/٦)، وإبراهيم (٢٧) ﴿يَعْبُدُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢١﴾﴾ جامع البيان (٤٥١/٧)، و(٣٩) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْتِعْمَالَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢٢﴾﴾ جامع البيان (٤٦٧/٧)، والنحل (٧٤) ﴿فَلَا تَقْرَبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ جامع البيان (٦٢١/٧)، و(٧٧) ﴿وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ وَمَا أَمْرُهُ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ جامع البيان (٦٢٤/٧)، و(٩٧) ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاتٍ طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ جامع البيان (٦٤١/٧)، و(١٢٤-١٢٥) ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ

يَخْلِفُونَ ﴿١٦﴾ ﴿الآيتين جامع البيان (٦٦٣/٧)، والإسراء (١٧)﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكُنَّ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرَاتٍ بَصِيرَاتٍ ﴿١٧﴾ ﴿جامع البيان (٥٤/٨)، و(٢٥)﴾ زَيْكُرُ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّلِينَ غَفُورًا ﴿١٨﴾ ﴿جامع البيان (٦٣/٨)، والكهف (٤٥)﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَطْلُقُ أَنْ يَبْدَأَ بِهِ هَذَا أَبَدًا ﴿١٩﴾ ﴿جامع البيان (٢٢٩/٨)، والأنبياء (٨٠)﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴿جامع البيان (٥٣/٩)، والحج (١٧)﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ يَفْعَلُونَ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴿جامع البيان (١٢١/٩)، و(٣٠)﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَةَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ جُنْدَ رَبِّهِ ﴿الآية جامع البيان (١٤٤/٩)، والنور (١٩)﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴿جامع البيان (٢٨٧/٩)، و(٢٨)﴾ إِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يَأْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ فَاتَّجِمُوا فَاتَّجِمُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴿جامع البيان (٢٩٩/٩)، والعنكبوت (٢٠)﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ الْخَلْقَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴿جامع البيان (١٣٠/١٠)، والأحزاب (٩)﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٥﴾ ﴿جامع البيان (٢٦٤/١٠)، و(٥٤)﴾ إِنْ تَبُدُّوا شَيْئًا أَوْ خَشِفْتُمْ فَرَأَ اللَّهُ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴿جامع البيان (٣٢٧/١٠)، وفاطر (١)﴾ أَلَمْ تَدْعُ لِلَّهِ فَاظِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكُوتِ رَسُولًا أُولَى أَعْيُنٍ مَتْنَى وَتِلْكَ رُؤْيُكَ بَرِيدٌ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴿جامع البيان (٣٩٤/١٠)، والصفات (١٨٠)﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٨﴾ ﴿جامع البيان (٥٤٣/١٠)، والزمر (٤٦)﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٩﴾ ﴿جامع البيان (١١/١١)، وفصلت (٣٩)﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِينَ أَحْيَاها لَمَجْحُومُونَ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٠﴾ ﴿جامع البيان (١١٤/١١)، والشورى (١٢)﴾ لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴿جامع البيان (١٣٤/١١)، والفتح (١٣)﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿٣٢﴾ ﴿جامع البيان (٣٤١/١١)، و(٢٦)﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ اللَّيْبَةَ جِيَةً الْجَهْلِيَّةِ ﴿الآية جامع البيان (٣٦٦/١١) والحجرات (١٠)﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴿جامع البيان (٣٨٩/١١)، والحديد (٢)﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴿جامع البيان (٦٦٩/١١)، و(١٠)﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُؤْمِنُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴿الآية جامع البيان (٦٧٥/١١)، والمجادلة (٤)﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ﴿الآية جامع البيان (١٢/١٢)، والطلاق (٣)﴾ وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣٥﴾ ﴿جامع البيان (١٣٢/١٢)، والتحریم (٨)﴾



### المبحث الثالث :

## ذكر المعنى المناسب للسياق من ختام الآيات بأسماء الله - سبحانه وتعالى - مع الإشارة للعموم أو بدونها:

وهذا النوع لا شك أنه راجع إلى ما سبق ، إلا أن إفراده بالحديث مستقلاً يبرز أهمية العناية به؛ لأنه تبيين لمعاني أسماء الله الحسنى في الآيات ، وقد كثر هذا في كتاب الله - سبحانه وتعالى - ، فمعرفة طريقة تفسير ذلك ، يفيد في إظهار معنى الختام ، ويوضح سياق الآية من هذا الوجه .

وطريقة الإمام الطبري - رحمه الله - في ذلك اثنتان :

إما أن يأتي بالمعنى المذكور أو المناسب في السياق ولا يشير إلى العموم

وإما أن يأتي بالمعنى المذكور أو المناسب في السياق ويشير إلى العموم .

وسأفرد كل طريقة في مطلب وهما :

**المطلب الأول :** أن يذكر المعنى المناسب للسياق ولا يشير إلى العموم .

**المطلب الثاني :** أن يذكر المعنى المناسب للسياق مع الإشارة إلى العموم .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ الآية جامع البيان (١٢/١٦٠) ، والبروج (٩) ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ﴾  
 و﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ جامع البيان (١٢/٥٢٧) ، والفجر (١٤) ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِيَالْمِرصَادِ﴾ جامع البيان (١٢/٥٧٢) .

## المطلب الأول : أن يذكر المعنى المناسب للسياق ولا يشير إلى العموم :

ومن أمثله قوله -تعالى- : ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٨١]

... [١٨١] ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ قال أبو جعفر : يعني -تعالى ذكره- بذلك : إن الله ﴿ سَمِيعٌ ﴾ لوصيتكم التي أمرتكم أن توصوا بها لأبائكم وأمهاتكم وأقربائكم حين توصون بها ، أتعدلون فيها على ما أذنت لكم من فعل ذلك بالمعروف ؟ أم تخيفون فتميلون عن الحق وتجورون عن القصد ؟ . ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بما تخفيه صدوركم ، من الميل إلى الحق والعدل ، أم الجور والحيف . " (١)

وفي الآية التالية لها وهي قوله -تعالى- : ﴿ فَمَنْ حَافٍ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ

اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٨٢] قال -رحمه الله- : " وأما قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فإنه يعني : والله غفور للموصي فيما كان حدث به نفسه من الجنف والإثم ، إذا ترك أن يأثم ويجنف في وصيته ، فتجاوز له عما كان حدث به نفسه من الجور ، إذ لم يُمضِ ذلك فَيُعْفَلْ أن يؤاخذه به ، ﴿ رَحِيمٌ ﴾ بالمصلح بين الموصي وبين من أراد أن يحيف عليه لغيره ، أو يأثم فيه له . " (٢)

ومعلوم أن ذكر سمع الله وعلمه ، في الآية الأولى ، وذكر مغفرته ورحمته -سبحانه وتعالى- في الآية الثانية ، ليس خاصاً بالموصي المذكور في الآية فقط ، ولكن لما ختمت الآية التي فيها الوصية أرجع معناها إلى ما ذكر فيها ، ويدل لذلك : طريقته في الأمثلة الآتية في المطلب الثاني .

(١) جامع البيان (٢/١٢٨-١٢٩) ، وتحقيق شاکر (٣/٣٩٩) .

(٢) جامع البيان (٢/١٣٣) ، وتحقيق شاکر (٣/٤٠٨) .

## المطلب الثاني : ذكر المعنى المناسب لسياق الآية مع الإشارة إلى العموم :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٠) [العنكبوت: ٦٠] قال -رحمه الله-: " يقول -تعالى- ذكره -: للمؤمنين به وبرسوله، من أصحاب محمد -ﷺ- هاجروا وجاهدوا في الله أيها المؤمنون أعداءه ، ولا تخافوا عيلة ولا إقتاراً ، فكم من دابة ذات حاجة إلى غذاء ومطعم ومشرب لا تحمل رزقها، يعني: غذاءها ، لا تحمله فترفعه في يومها لغداها ؛ لعجزها عن ذلك . ﴿ اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ يوماً بيوم ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾ لأقوالكم : نخشى بفراقنا أوطاننا العيلة ، ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ ما في أنفسكم ، وما إليه صائر أموركم ، وأمر عدوكم ، من إذلال الله إياهم ، ونصرتكم عليهم، وغير ذلك من أموركم ، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه . " (١)

وفي هذا المثال يتبين اهتمام الإمام الطبري -رحمه الله- بذكر المعنى العام للاسمين الكريمين في ختام الآية: ﴿ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ بما يناسب الكلام ، مع المعنى المذكور في السياق، فبعد الأمر بالهجرة في قوله -تعالى-: ﴿ يَجَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَرِيعَةٌ فَيَأْتِي فَأَعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، ذكر الله -سبحانه وتعالى- تكفله بالرزق لكل دابة ، حتى لا يتقاعس مريد الهجرة عنها وهو المعنى المناسب ، ولم يقصر المعنى عليه ؛ ولذلك أضاف فقال : وغير ذلك من أموركم ؛ لأن سمع الله وعلم الله -عز وجل- عام لكل الخلق .

وفي قوله -تعالى-: ﴿ رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الدخان: ٦] قال -رحمه الله-: "... ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ يقول : إن الله -تبارك وتعالى- هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون فيما أنزلنا من كتابنا ، وأرسلنا من رسلنا إليهم ، وغير ذلك من منطقتهم ومنطق غيرهم ، العليم بما تنطوي عليه ضمائرهم ، وغير ذلك من أمورهم وأمور غيرهم . " (٢)

وفي السياق الماضي ذكر الله الرسالة وإنزال الكتاب في قوله -تعالى- : ﴿ حَمِّمُوا لَكُمْ ذِكْرَ اللَّهِ وَالَّذِينَ لَمْ يُؤْمَرُوا بِالْحَمِّمُوا ذِكْرَ اللَّهِ وَرَبِّكُمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٤]

(١) جامع البيان (١٠/١٥٧) .

(٢) جامع البيان (١١/٢٢٤) .





## المبحث الرابع :

### موضع لم يستعمل فيه ابن جرير - رحمه الله - الطريقة السابقة :

سبق الكلام بالتفصيل عن طريقة ابن جرير في ذكر المعنى المناسب للسياق فيما حذف متعلقه، وأن له طريقتين : الأولى : أن يذكر المعنى المناسب للسياق دون الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه، والثانية : أن يذكر المعنى المناسب للسياق مع الإشارة إلى عموم اللفظ فيما يشابهه ، ويعتبر هذا منهجاً مطرداً طبّقه الإمام الطبري - رحمه الله - واستعمله في تفسيره ، وقد سبق في الأمثلة ، وفي هذا الموضع، رجح الإمام القول بالعموم دون تقييده بسياق الآية ، وردّ على من خصّ المعنى ، أو ذكر المناسب للسياق وحده :

ففي قوله - تعالى - : ﴿ ذَٰلِكَ أَدْعَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ آيَةٌ بَعْدَ آيَتِهِمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمَعُوا لِلَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ [المائدة: ١٠٨] قال - رحمه الله - : "... وكان ابن زيد يقول : الفاسق في هذا الموضع : هو الكاذب... وليس الذي قال ابن زيد من ذلك عندي بمدفوع ، إلا أن الله - تعالى - ذكره - عمّ الخبر بأنه لا يهدي جميع الفساق ، ولم يخص منهم بعضاً دون بعض بخبر ولا عقل ، فذلك على معاني الفسق كلها حتى يخصّ شيئاً منها ما يجب التسليم له ، فيسلّم له . " (١)

فهذا مخالف لما سبق في طريقته في المبحث الأول : حيث يذكر المعنى المناسب للسياق ولا يشير للعموم ، وفي هذا الموضع كان السياق في الحلف والشهادة ، فلا بأس من ذكر ما كان السياق فيه ، وهو الكذب في الحلف والشهادة ، فهو محرم يكون فاعله فاسقاً ، كما دل عليه السياق ، فلا يقال بأنه لم يدل عليه الخبر ، ولكن لا يقال بخصوصه فيه ، ويدخل غير الكذب من المفسقات والكبائر ، فيكون تفسير ابن زيد ليس تخصيصاً بل هو ذكر المناسب للسياق ، كما كانت طريقة ابن جرير في الأمثلة الماضية . - والله أعلم - .

كما قال الشوكاني - رحمه الله - : " الفاسقين الخارجين عن طاعته بأي ذنب ، ومنه الكذب

(١) جامع البيان (٥/١٢٤) ، وتحقيق شاکر (١١/٢٠٦) .

في اليمين أو الشهادة . " (١)

وهذا المثال وحده هو الذي وجدته مخالفاً لما مضى ، فإما أن يُقال بأن طريقة الإمام الماضية من ذكر المعنى الخاص فقط - وأن هذا لا يعني الخصوص - هي الأغلب ، وهذا التعقيب على ابن زيد -رحمه الله- يكون من النادر ، وإما أنه نسيان يعتري بني الإنسان ، وهو الأرجح .-والله أعلم-.  
وبعد هذا العرض للمواضع ، يظهر أثر السياق في الدلالة على ذكر المعنى المناسب للسياق لعمومه ولا ينفي العموم ، وأن طريقة التطبيق عند الإمام -رحمه الله- أن يذكر المعنى المناسب وحده ، دون إدخال غيره أو يذكر المعنى المناسب ويدخل غيره من المعاني التي تشابهه ، ومثل ذلك مع الأسماء الحسنى لله -جل وعلا- ، ولم يخرج عن هذا النهج إلا في موضع واحد ، إما أن يحمل على النادر أو أنه نسيان .-والله تعالى الموفق-

(١) فتح القدير (١٨٨/٢) .





## الفصل السادس

أثر دلالة السّياق

في الدلالة على المحذوف من الكلام :

## الفصل السادس : أثر دلالة السّياق في الدلالة على المحذوف من الكلام :

بعد عدّ شيء من آثار السياق ، يتبين في هذا الفصل -إن شاء الله- ما للسياق من أثر في سير أغوار الكلام ، وفهم ما وراءه ، مما دل عليه ظاهر اللفظ والسياق .

وقد أشار الإمام الطبري -رحمه الله- إلى أن الحذف الذي دل عليه الدليل في القرآن وفي لغة العرب كثير يتعب إحصاؤه .<sup>(١)</sup>

وسيتبين أن من عادة العرب -والقرآن نزل بلغتهم- حذف ما يفهم معناه بدلالة السياق ، وهذا يدل على سعة هذا الفصل ؛ لكثرة المواضع والأمثلة ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله ، وسأعرض لما يكفي في المعنى -إن شاء الله- حسب المستطاع ، من خلال المباحث التالية :

**المبحث الأول :** اللغة واستعمالات العرب ، وطريقتهم في الحذف .

**المبحث الثاني :** قد يدل سبب النزول على حذف .

**المبحث الثالث :** أمثلة على بعض أنواع الحذف بدلالة السياق .

**المبحث الرابع :** الحذف قد يكون محتملاً ، بسبب السياق ، أو القراءة .

**المبحث الخامس :** تقدير الحذف بما يناسب السياق .

**المبحث السادس :** مواضع قدر فيها الإمام -رحمه الله- الحذف ، أو لم يقدر فيها الإمام -رحمه الله- محذوفاً مناسباً للسياق ، والراجح بخلاف ذلك .

(١) جامع البيان (٦/٥٨٨) عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَيْحَرُّ هَذَا وَلَا يَقْلِحُ السَّجُرُونَ ﴾ [يونس: ٧٧].

## المبحث الأول : اللغة ، واستعمالات العرب ، وطريقتهم في الحذف :

من خلال مواضع الحذف المستخرجة ، يتبين أن الحذف له أدلته من السياق ، وللعرب طريقة

متبعة فيه ، وسأورد شيئاً من ذلك في المطالب التالية :

**المطلب الأول :** الأصل عدم الحذف ، ولا يقال به إلا عند الاضطرار إليه .

**المطلب الثاني :** إنما يكون الحذف إذا دل عليه ظاهر الكلام ، وعرف السامع المراد منه .

**المطلب الثالث :** الإعراب يحدد ماهية المحذوف .

**المطلب الرابع :** يقدر الكلام حال الحذف على أنه كلام واحد لا متعدّد .

**المطلب الخامس :** لا بد من مناسبة تقدير المحذوف للمذكور .

**المطلب السادس :** أمثلة على حذف بعض الحروف والكلمات بدلالة سياق الكلام عليه .

## المطلب الأول :

### الأصل عدم الحذف ، ولا يقال به إلا عند الاضطرار إليه :

قد يسهل على المفسر وغيره تقدير محذوف ما عند تبادره ، ولكن ذلك ليس له دائماً ، بل الأصل عدم الحذف ، ما دام المعنى مفهوماً على وجهه الصحيح دون تقدير :

ففي قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنِبٌ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [الأنعام: ١٢] الآية ، " قال أبو جعفر : وهذه "اللام" التي في قوله : ﴿ لِيَجْمَعَكُمْ ﴾ ، لام قسم . ثم اختلف أهل العربية في جالبها : فكان بعض نحوي الكوفة يقول : إن شئت جعلت ﴿ الرَّحْمَةُ ﴾ غاية كلام ، ثم استأنفت بعدها : ﴿ لِيَجْمَعَكُمْ ﴾ . قال : وإن شئت جعلته في موضع نصب ، يعني : كتب ليجمعنكم كما قال : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ﴾ [الأنعام: ٥٤] يريد : كتب أنه من عمل منكم ... وكان بعض نحوي البصرة يقول : نصبت "لام" ﴿ لِيَجْمَعَكُمْ ﴾ ، لأن معنى : ﴿ كَتَبَ ﴾ [ : فرض ، وأوجب ، وهو بمعنى القسم ] ، كأنه قال : والله ليجمعنكم .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي أن يكون قوله : ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ غاية . وأن يكون قوله : ﴿ لِيَجْمَعَكُمْ ﴾ خبراً مبتدأ ، ويكون معنى الكلام حينئذ : ليجمعنكم الله أيها العادلون بالله ليوم القيامة الذي لا ريب فيه ؛ لينتقم منكم بكفركم به ... وليس من صفة الرحمة : ﴿ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ، فيكون مبيئاً به عنها . فإذا كان ذلك كذلك ، فلم يبق إلا أن تنصب بنية تكرير "كتب" مرة أخرى معه ، ولا ضرورة بالكلام إلى ذلك ، فيوجهه إلى ما ليس بموجود في ظاهره" (١)

فلم يقل بتكرير كلمة "كُتِبَ" تقديراً ؛ لأنه يلزم منه تقدير حذف ، والحذف ليس إلا عند الضرورة ، والضرورة هي عدم فهم الكلام على وجهه الظاهر ، ولا ضرورة هنا ، فاكتفى بالقول بالاستثناف .

(١) جامع البيان (٥/١٥٧) ، وتحقيق شاکر (١١/٢٧٨) . وانظر موضعين آخرين : في البقرة (٦٣) ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ الآية جامع البيان (١/٣٦٧) ، والأعراف (٤) ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرِيْبٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَانٍ بَيْتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ (٤) جامع البيان (٥/٤٢٨) .

## المطلب الثاني :

إنما يكون الحذف إذا دل عليه ظاهر الكلام ، وعرف السامع المراد منه :

وسأمثل على ما دل عليه الدليل ، وما لم يدل عليه الدليل :

### ١ - فأمثلة ما دل عليه الدليل على نوعين : هما :

أ - أن يكون الدليل على الحذف جملة : كما في قول الله - تعالى - : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْقَدُوا نَارًا فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكُهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة: ١٧] قال الطبري - رحمه الله - " فإن قال لنا قائل : إنك ذكرت أن معنى قول الله - تعالى - ذكره - ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْقَدُوا نَارًا فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ﴾ : خمدت وانطفأت ، وليس ذلك بموجود في القرآن ، فما دلالتك على أن ذلك معناه؟ . قيل : قد قلنا : إن من شأن العرب الإيجاز والاختصار ، إذا كان فيما نطقت به الدلالة الكافية على ما حذف وتركت... [وذكر شواهد من العربية على الحذف ، ثم قال :] فكذلك قوله : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْقَدُوا نَارًا فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ﴾ ، لما كان فيه وفيما بعده من قوله : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكُهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ دلالة على المتروك كافية من ذكره - اختصر الكلام طلب الإيجاز . وكذلك حذف ما حذف واختصار ما اختصر من الخبر عن مثل المنافقين بعده ، نظير ما اختصر من الخبر عن مثل المستوقد النار ؛ لأن معنى الكلام : فكذلك المنافقون ذهبَ الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون - بعد الضياء الذي كانوا فيه في الدنيا بما كانوا يظهرون بألسنتهم من الإقرار بالإسلام وهم لغيره مستبطنون - كما ذهب ضوء نار هذا المستوقد، بانطفاء ناره وخمودها، فبقي في ظلمة لا يبصر .

فالمثل يدل على مساواة أناس بأناس أوقدوا نارا ، فأضاءت لهم الطريق ، ثم انطفأت وخيم الظلام عليهم ، ودليل حصول الانطفاء هو أن : التعبير بذهاب النور ، هو حصول نقيضه : ومع ذهاب النور يأتي الظلام الذي لا يحصل معه الإبصار ، ولا بد من وجه الشبه بين المشبه : وهم القوم المستوقدون ، والمشبه بهم : وهم المنافقون ، فيكون المراد من المثل وذهاب النور ، ما يحصل للمنافقين من إطفاء النور في الآخرة ، كما في قوله - تعالى - : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمْ

ب - وقد يكون الدليل على الحذف حرفاً واحداً : كما في قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٩١] قال - رحمه الله - : " وأدخلت الواو في قوله : ﴿ وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ﴾ ؛ لمحذوف من الكلام بعده ، دل عليه دخول الواو وكالواو في قوله : ﴿ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥] ، وتأويل الكلام : وليكون من المؤمنين أريناه ملكوت السموات والأرض ، فكذلك ذلك في قوله : ﴿ وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ﴾ ، ولو لم يكن في الكلام واو لكان الكلام صحيحاً ، ولم يكن هنالك متروك ، وكان : فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً لو افتدى به .

فالواو في قوله : ﴿ وَلَوْ ﴾ دالة على محذوف دل عليه الكلام ، وتقدير الحذف المناسب هنا : ولو افتدى به لن يقبل منه ، كما أن الواو في قوله : ﴿ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ دالة على حذف تقديره : وليكون من المؤمنين أريناه ملكوت السماوات والأرض ، وهذا مثل هذا .<sup>(٢)</sup>

٢- ومن أمثلة الحذف الذي لم يدل عليه دليل وضعفه الطبري - رحمه الله - : في قوله تعالى : ﴿ وَذَا الثُّورَيْنِ إِذْ هَبَّ مَعْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] " قال ابن زيد - رحمه الله - في قوله ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ هذا استفهام . وفي قوله : ﴿ فَمَا تَعْنِ النَّذُرُ ﴾ [القمر: ٥] قال : استفهام أيضاً ، قال أبو جعفر: ...وأما ما قاله ابن زيد ، فإنه قول لو كان في الكلام دليل على أنه استفهام حسن ، ولكنه لا دلالة فيه على أن ذلك كذلك ، والعرب لا تحذف من الكلام شيئاً لهم إليه حاجة إلا وقد أبت دليلاً على أنه مراد في الكلام ، فإذا لم يكن في قوله : ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ دلالة على أن المراد به الاستفهام كما قال ابن زيد ، كان معلوماً أنه ليس به...<sup>(٣)</sup>

(١) جامع البيان (١/١٧٩) ، وتحقيق شاکر (١/٣٢٧) .

(٢) جامع البيان (٣/٣٤٥) ، وتحقيق شاکر (٦/٥٨٦) .

(٣) جامع البيان (٩/٧٦) .

فليس هناك دليل على أن قوله : ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ استفهام ؛ لعدم دلالة الكلام على أنه محذوف ، والعرب لا تقول مثل ذلك في كلامها ، فالكلام خير لا استفهام .<sup>(١)</sup>

(١) وانظر بقية الأمثلة على وجه العموم في : الفاتحة (٧) ﴿ مِرْبَطَ الَّذِينَ آمَنَتْ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ جامع البيان (١٠٧/١) ، والبقرة (٢٦) ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا قَوْمَهَا ﴾ الآية جامع البيان (٢١٥/١) ، و(٥٤) ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ لِقَوْمِ إِيَّاكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٣٢٨/١) ، و(١٤٣) ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ الآية جامع البيان (١٤/٢) ، و(٢٤٣) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٢٠٦/٢) ، و(٢٥١) ﴿ فَهَرَمُوهُمْ بِذُنُوبِ اللَّهِ وَقَتَل دَاوُدَ جَالُوتَ وَمَا كُنْهُ اللَّهُ الْمَلِكُ وَالْحِكْمَةُ وَعَلَّمَهُ مَكَائِدَ ﴾ الآية جامع البيان (٦٣٩/٢) ، و(٢٧٥) ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ الآية جامع البيان (١٠٤/٣) ، وآل عمران (٩) ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ الْأَيْمَانَ ﴾ جامع البيان (١٨٩/٣) ، والنساء (٨١) ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَّرْنَا مِنَ عِنْدِكَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ عَذَّبَ الَّذِينَ تَقُولُ ﴾ الآية جامع البيان (١٨١/٤) ، والمائدة (١٢) ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ الآية جامع البيان (٤٩١/٤) ، و(١٠٦) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (١١٠/٥) ، و(١٠٧) ﴿ فَإِنْ عَجَزَ عَنِ أَنْفُسِهِمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَادِ الَّذِينَ ﴾ الآية جامع البيان (١٢٠/٥) ، والأنعام (٣٥) ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ﴾ الآية جامع البيان (١٨٣/٥) ، و(٧٣) ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ﴾ الآية جامع البيان (٢٣٧/٥) ، و(٩٩) ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ الآية جامع البيان (٢٨٩/٥) ، و(١٣٠) ﴿ نَمَعْتُمْ لِيْنِي وَالْإِنْسِ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ رُسُلًا مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُصَدِّقُونَكُم بِمَا لَفَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٦/٥) ، و(١٥١) ﴿ قُلْ قَسَاوَأُ أَتَىٰ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُنتُم عَلَىٰ كُفْرٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَذِنَ لَكُمْ أَن تَقُولُوا لَا نَرْجُو إِلَهًا سِوَىٰ رَبِّنَا ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٠/٥) ، والأعراف (١٥٥) ﴿ وَأَخْفَاةٌ مِّنْ قَوْمِهِ سَبْعِينَ رَجُلًا رَّابِعِينَ ﴾ الآية جامع البيان (٧٦/٦) ، والإسراء (١) ﴿ سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ الآية جامع البيان (١٦/٨) ، والكهف (٢) ﴿ قِيمًا لِّبَدْرِ بِأَسَا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ﴾ الآية جامع البيان (١٧٥/٨) ، و(١٥) ﴿ هَتُولَاهُ قَوْمَنَا أَنْحَدُوا مِن دُونِهِ إِلَهًا ﴾ الآية جامع البيان (١٩٠/٨) ، و(٢٢) ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ الآية جامع البيان (٢٠٦/٨) ، وطه (٥٠) ﴿ قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ

### المطلب الثالث : الإعراب يحدد ما هية المحذوف :

ففي قوله - تعالى - : ﴿ وَسَأَلُوكَ عَنِ آلِ يَتِيمٍ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَلَاخَوَانُهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ سَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٠] قال أبو جعفر : فان قال لنا قائل : وكيف قال : ﴿ فَلَاخَوَانُهُمْ ﴾ فرفع الإخوان ، وقال في موضع آخر : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجَلًا أَوْ زُرَّكَبَاتًا ﴾ [البقرة: ٢٣٩] قيل : لافتراق معنييهما ، وذلك أن أيتام المؤمنين إخوان المؤمنين والإخوان مرفوعون بالمعنى المتروك ذكره ، وهو "هم" ؛لدلالة الكلام عليه ، وأنه لم يرد بالإخوان الخير عنهم أنهم كانوا إخوانا من

هَدَى ﴿٥٠﴾ ﴿ جامع البيان (٤٢٢/٨) ، والأنبياء (٤٢) ﴾ ﴿ قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِأَيْلٍ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٠/٩) ، والنمل (١٢) ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ يَدَيْكَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ الآية جامع البيان (٥٠١/٩) ، والروم (٣) ﴿ فِي آدَنَ الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَكَفَلُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿ جامع البيان (١٦٧/١٠) ، ويس (٨) ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْصَابِهِمْ آثَانًا لِيَوْمِ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴾ ﴿٨﴾ ﴿ جامع البيان (٤٢٦/١٠) ، والصفات (١٠٠) ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿ جامع البيان (٥٠٥/١٠) ، والزخرف (١٨) ﴿ أَوْمِنُ يُنَشُّوْا فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْحَصَاةِ عَيْرٌ مُبِينٌ ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿ جامع البيان (١٧٣/١١) ، و(٥٢) ﴿ أَمَّا أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَاذُ بِيْنَ ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿ جامع البيان (١٩٦/١١) ، والدخان (٥٣) ﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَنِينَ ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿ جامع البيان (٢٤٨/١١) ، ومحمد (١٥) ﴿ مَثَلُ الْيَمْرِ الَّذِي وَجَدَ الْمُنْفُونَ فِيهَا أَتَهْرُ مِنْ مَلَوْ غَيْرِ آسِينِ ﴾ الآية جامع البيان (٣١٤/١١) ، والحجرات (١١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٣/١١) ، والذاريات (٤٩) ﴿ وَمِنْ كُلِّ نَجْمٍ خَلَقْنَا رَجُلَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿ جامع البيان (٤٧٢/١١) ، والطور (٢٠) ﴿ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿ جامع البيان (٤٨٧/١١) ، والنجم (١٩-٢٠) ﴿ أَوْرَثْنَاهُ اللَّهُ وَالْعَزَى ﴿١١﴾ وَمَنْزُةَ النَّالَةِ الْآخِرَى ﴿٢٠﴾ ﴿ جامع البيان (٥١٩/١١) ، والقمر (٢٠) ﴿ تَبَرَّجُوا كَانْتُمْ كَأَنَّكُمْ آصْفَارٌ تُحَلِي شُقَيْرٍ ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿ جامع البيان (٥٥٨/١١) ، والواقعة (٨) ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ ﴿٨﴾ ﴿ جامع البيان (٦٦٧/١١) ، والواقعة (٩١) ﴿ فَسَلِّتْ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ الْيُسْرَى ﴾ ﴿٩١﴾ ﴿ جامع البيان (٦٦٧/١١) ، والإنسان (٧) ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّذَرِ وَيُؤْمِنُ بِوَمَا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِرًّا ﴾ ﴿٧﴾ ﴿ جامع البيان (٣٥٩/١٢) ، والنبأ (١٦) ﴿ وَجَنَّتٍ أَلْفَافًا ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿ جامع البيان (٤٠٠/١٢) ، و(٣٣) ﴿ وَكَايِبَ أَرْبَابًا ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿ جامع البيان (٤١٠/١٢) ، والضحى (٣) ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ ﴿٣﴾ ﴿ جامع البيان (٦٢٢/١٢) .



أجل مخالطة ولائهم . ولو كان ذلك المراد لكانت القراءة نصباً ، وكان معناه حينئذٍ : وإن تخالطوهم فخالطوا إخوانكم ، ولكنه قرئ رفعاً ؛ لما وصفت من أهم إخوان للمؤمنين الذين يلوئهم ، خالطوهم أو لم يخالطوهم . " (١)

فاستدل بكون كلمة "إخوان" مرفوعة ، على أن المحذوف ضمير وليس فعلاً ؛ لأنه لو كان فعلاً لكانت القراءة لكلمة : " إخوان " بالنصب ، والقراءة ليست كذلك .

---

(٣) جامع البيان (٣٨٥/٢) ، وتحقيق شاكر (٣٥٦/٤) . وانظر مثله في البقرة (٥٨) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا اذْكُرُوا مَذِيذَ الْقَرْبَةِ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ الآية جامع البيان (٣٤١/١) ، والعنكبوت (٨) ﴿ وَوَضَعْنَا لِلْإِنْسَانِ إِزْدِيْقًا حُسْنًا ﴾ الآية جامع البيان (١٢٣/١٠) .

المطلب الرابع : ينبغي تقدير الكلام حال الحذف على أنه كلام واحد لا متعدد :

في قوله- تعالى - : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ  
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ  
مُعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ [البقرة: ٨٣] قال رحمه الله : " واما الإحسان : فمنصوب بفعل مضمر ، يؤدي معناه  
قوله : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ ﴾ إذا كان مفهوما معناه فكان معنى الكلام -لو اظهر المحذوف - : وأخذنا ميثاق بني  
إسرائيل بان لا تعبدوا إلا الله ، وبأن تحسنوا إلى الوالدين إحسانا ، فاكتفى بقوله : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ ﴾ من أن  
يقال : وبأن تحسنوا إلى الوالدين إحسانا ، إذ كان مفهوما أن ذلك معناه بما ظهر من الكلام ، وقد  
زعم بعض أهل العربية في ذلك أن معناه : وبالوالدين فأحسنوا إحسانا ، فجعل الباء التي في " الوالدين"  
من صلة الإحسان مقدمة عليه ، وقال آخرون : بل معنى ذلك : ألا تعبدوا إلا الله ، وأحسنوا  
بالوالدين إحسانا فزعموا أن الباء التي في : " الوالدين" من صلة المحذوف - أعني : أحسنوا - فجعلوا  
ذلك من كلامين ، وإنما يصرف الكلام إلى ما ادعوا من ذلك ، إذا لم يوجد لاتساق الكلام على كلام  
واحد وجه ، فأما وللکلام وجه مفهوم على اتساقه على كلام واحد فلا وجه لصرفه إلى  
كلامين... " (١).

فإذا فهم الكلام وقدر محذوفه على أنه كلام واحد وكان ذلك ممكناً ، فلا ينبغي العدول عنه  
إلى تقديره بمتعدد من الكلام إلا إذا لم يكن له إلا ذلك الحمل .

(١) جامع البيان (٤٣٤/١) ، وتحقيق شاکر (٢٩٢/٢) .

### المطلب الخامس : لا بد من مناسبة تقدير المحذوف للمذكور :

ففي قوله تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ أُمَّتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ [النساء: ١١] قال أبو جعفر -رحمه الله- : "واختلف أهل العربية في المعنى بقوله : ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً﴾ : فقال بعض نحويي البصرة بنحو الذي قلنا : فإن كان المتروكات نساء ، وهو أيضا قول بعض نحويي الكوفة .  
وقال آخرون منهم : بل معنى ذلك فإن كان الأولاد نساء، وقال : إنما ذكر الله الأولاد فقال:  
﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ ثم قسم الوصية فقال : ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً﴾ وإن كان الأولاد [نساء وإن كان الأولاد واحدة] ترجمة منه بذلك عن الأولاد .  
قال أبو جعفر : والقول الأول الذي حكيناه عن حكيناه عنه من البصريين أولى بالصواب في ذلك عندي ؛ لأن قوله : ﴿فَإِنْ كُنَّ﴾ لو كان معنياً به الأولاد لقبيل : وإن كانوا ؛ لأن الأولاد تجمع الذكور والإناث ، وإذا كان كذلك فإنما يقال : كانوا لا ﴿كُنَّ﴾ " (١).  
فتقدير المحذوف بالأولاد لا يدل عليه قوله : ﴿كُنَّ﴾ ؛ لأن لفظ "كن" خاص بالإناث ، ولو كان الخطاب للذكور والإناث لأشار إليهم بلفظ : " كانوا " .

(١) جامع البيان (٦١٨/٣) ، وتحقيق شاکر (٣٤/٨) .

## المطلب السادس :

### أمثلة على حذف بعض الحروف والكلمات بدلالة سياق الكلام عليه :

ذكر الإمام الطبري - رحمه الله - أن العرب تحذف في كلامها إذا دل الكلام على المحذوف ، وقد ورد ذلك في مواضع ، وسأذكر بعض الأمثلة على ما حذف ودل سياق الكلام عليه :

١- مثال حذف لا : في قوله - تعالى - : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلِمَةِ إِنِ امْرُؤًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا أُثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضَلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾ [النساء: ١٧٦] " قال أبو جعفر : وموضع ﴿أَنْ﴾ في قوله : ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضَلُّوا﴾ نصب في قول بعض أهل العربية ؛ لاتصالها بالفعل . وفي قول بعضهم : خفض ، بمعنى : يبين الله لكم بأن لا تضلوا ولئلا تضلوا ، وأسقطت "لا" من اللفظ وهي مطلوبة في المعنى ؛ لدلالة الكلام عليها ، والعرب تفعل ذلك ، تقول : جئتك أن تلومني ، بمعنى : جئتك أن لا تلومني " (١).

فحذف "لا" هنا تستعمله العرب في كلامها ، ولا شك أن تبيين الله لعباده الأحكام وخاصة الفرائض من أجل أن يهتدوا لا ليضلوا .

(١) جامع البيان (٤/٣٨٤) ، وتحقيق شاکر (٩/٤٤٥) . وانظر مثلها في البقرة (٢٢٤) ﴿وَلَا تَجْمَلُوا اللَّهَ عِزًّا لَّيْمَنِيكُمْ أَنْ تُبَدُّوا وَتَقُولُوا وَنُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾ جامع البيان (٢/٤١٥) ، والأنعام (٧٠) ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَمْبًا وَلَهُمْ وَعَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ الآية جامع البيان (٥/٢٢٨) ، والأعراف (٢٠) ﴿فَوَسَّسَ لَهَا الشَّيْطَانُ يَسْبَغِ لَهَا مَا تُرِيدُ عَنْهَا مِن مَّوَدَّةٍ بَيْنَهُمَا﴾ الآية جامع البيان (٥/٤٥٠) ، والحج (٦٥) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَاقَ فَجَبْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِي﴾ الآية جامع البيان (٩/١٨٤) ، ولقمان (١٠) ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِعَبْرٍ رَّوْحًا وَالْفَنِّ فِي الْأَرْضِ رَوْحًا أَنْ يَبْدَ بِكُمُ الْبَحْرَ بِأَمْرِي﴾ الآية جامع البيان (١٠/٢٠٧) ، والزمر (٥٦) ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا قَرَّبْتُ فِي جَنِّبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ جامع البيان (١١/١٨) .

٢- ومثال حذف الكلمة : في قوله - تعالى - ﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِزْقًا لِلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ۗ ﴾ [النساء: ٣٨] قال أبو جعفر : " يعني بذلك -جل ثناؤه- ومن يكن الشيطان له خليلاً وصاحباً يعمل بطاعته ويتبع أمره ، ويترك أمر الله في إنفاقه ماله رياء الناس في غير طاعته ووجوده وحدانية الله والبعث بعد الممات ﴿ فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ ، يقول : فساء الشيطان قريناً . وإنما نصب القرين ؛ لأن في "سَاء" ذكراً من الشيطان ، كما قال -جل ثناؤه-: ﴿ يَمَسُّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٠] ، وكذلك تفعل العرب في ساء ونظائرها . " (١)

(١) جامع البيان (٤/٩٠) ، وتحقيق شاکر (٨/٣٥٨) . وانظر بقية الأمثلة التي أكد فيها أن لغة العرب تستعمل هذا الحذف في :  
 النساء (٤٣) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ الآية جامع البيان (٤/١١٢) ،  
 و(٩٠) ﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَبِيتٌ أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتٌ مِّنْ دُونِهِمْ أَنْ يَقُولُوا قَوْلَهُمْ ﴾ الآية جامع البيان  
 (٤/٢٠٠) ، و(١٢٧) ﴿ وَسَتَقْفُوا نَسَبًا فِي النَّسَبِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِمْ ﴾ الآية جامع البيان (٤/٢٩٧) ، والأعراف  
 (٧٣) ﴿ وَإِلَىٰ قَوْمِهِمْ صَالِحًا قَالَ يَنْفَعُكُمْ اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٥٣٠) ، و(١٧٧)  
 ﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴾ الآية جامع البيان (٦/١٢٩) ، والأنفال (١٣) ﴿ ذَلِكَ  
 بِأَنَّهُمْ شَاتُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَمَا يَأْتِهِ اللَّهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَّيْسَ لَهُ شَاقِقِينَ مِنَ اللَّهِ شَاقِقِينَ ﴾ جامع البيان (٦/١٩٨) ، والتوبة (٨)  
 ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً ﴾ الآية جامع البيان (٦/٣٢٥) ، والنحل (٥) ﴿ وَاللَّذِينَ خَلَقْنَا  
 لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ الآية جامع البيان (٧/٥٥٩) ، والمؤمنون (٣٣) ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالْآخِرَةِ وَالْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ وَالْآخِرَةُ  
 أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ  
 وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ الآية جامع البيان (٩/٣٧٦) ، ولقمان (٢٨) ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعْضَكُمْ إِلَّا كَفْتِسٍ وَجَدُوهُ إِنْ  
 سَمِعَ بِصِيرٍ ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٢٢٢) ، والصفات (٨) ﴿ لَا يَسْمَعُونَ إِلَىٰ آلِ الْأَعْلَانِ وَيَقْدُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴾  
 الآية جامع البيان (١٠/٤٧٢) ، وسورة ص (٢٢) ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَرَّجَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَحْفَ ﴾ الآية جامع البيان  
 (١٠/٥٦٦) ، والنازعات (٣٢) ﴿ وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا ﴾ الآية جامع البيان (١٢/٤٣٩) .

٣- وقد يجذف الشيء ويشار إليه بالضمير مع عدم ذكره في الكلام السابق: ومثاله قوله تعالى - : ﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّدْهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ٧٧] قال - رحمه الله - : "يعني بقوله : ﴿ فَأَسْرَهَا ﴾ فأضمها ، وقال : ﴿ فَأَسْرَهَا ﴾ فأنت ؛ لأنه عنى بها الكلمة ، وهي : ﴿ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ ، ولو كانت جاءت بالتذكير كان جائزا ، كما قيل : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ﴾ [هود: ٤٩] ، و ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرْآنِ ﴾ [هود: ١٠٠] ، وكني عن الكلمة ولم يجر لها ذكر متقدم ، والعرب تفعل ذلك كثيرا ، إذا كان مفهوما المعنى المراد عند سامعي الكلام ... ومنه قول الله : ﴿ ثُمَّ إِنَّكَ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَنَّهُدُوا وَصَبَرُوا إِنَّكَ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٠] فقال : ﴿ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ ولم يجر قبل ذلك ذكر لاسم مؤنث ."<sup>(١)</sup>

فمتى ثبت أن العرب تشير إلى شيء محذوف بضمير ، حسن القول بالحذف ، شريطة أن يكون الكلام على هذا التقدير مفهوما من السياق عند السماع ، كما في ضمير كلمة : ﴿ فَأَسْرَهَا ﴾ فهو عائد على غير متقدم ، ولكنه مفهوم والمسرح هو قوله : ﴿ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ والمثال الآخر : الهاء في قوله : ﴿ إِنَّكَ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ عائد على غير متقدم ، ولكنه مفهوم من السياق .

(١) والتقدير من بعد فعلتهم ، جامع البيان (٢٦٦/٧) ، ومثله في الأنعام (٣١) ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِقَوْلِهِمْ وَاللَّهُ جَامِعٌ

البيان (١٧٧/٥-١٧٨) ، والعاديات (٤-٥) ﴿ فَأَتَيْنَ يَوْمَ تَمَامِهَا ﴾ الآية جامع البيان (١٢/٦٧٠) .

## المبحث الثاني : قد يدل سبب النزول على حذف :

تقرر في فنّ علوم القرآن وتطبيقات المفسرين أهمية سبب النزول في معرفة المعنى، وفهم الآيات ، وعده العلماء من شروط أهلية المفسر لكلام الله - سبحانه وتعالى - :

**ومثال سبب النزول الدال على حذف :** ما ورد في نزول قوله - تعالى - : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] قال - رحمه الله - : "ذكر أن المشركين سألوا رسول الله - ﷺ - عن نسب ربّ العزّة، فأنزل الله هذه السورة جواباً لهم . وقال بعضهم : بل نزلت من أجل أن اليهود سألوه، فقالوا له : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ فأنزلت جواباً لهم... فتأويل الكلام إذا كان الأمر على ما وصفنا : قل يا محمد لهؤلاء السائلين عن نسب ربك وصفته ، ومن خلقه ؟ : الرب الذي سألتموني عنه ، هو الله ، الذي له عبادة كل شيء ، لا تنبغي العبادة إلا له ، ولا تصلح لشيء سواه . " (١)

فالأمر بالقول في هذه السورة عائد على سؤال متقدم دل عليه سبب النزول .

ويدخل تحت هذا ، بدلالة المفهوم : الآيات التي فيها سبب نزول ، ومن أمثلة ذلك :

نزول أول سورة اقرأ ، فالأمر كان متوجهاً من جبريل - عليه السلام - ثلاث مرات ورسول الله - ﷺ - يقول : ما أنا بقارئ ، أي: لست أحسن أن أقرأ ، ثم أنزل الله عليه بيان ما أمر بقراءته .

وكذلك سورة الكافرون، ترجع إلى ما طلبه المشركون من رسول الله - ﷺ - أن يعبد آلهتهم سنة ، ويعبدوا إلهه سنة ، ونحو ذلك من السور والآيات . - والله أعلم - .

(١) جامع البيان (١٢/٧٤١) ، أسباب نزول سورة الإخلاص ضعيفة جداً ، انظر المحرر في أسباب النزول للسيدكتور خالد المزيبي (١١٠٧/٢) .

### المبحث الثالث : أمثلة على بعض أنواع الحذف بدلالة السياق :

وصنفت الأمثلة على ستة مطالب ، وهي :

المطلب الأول : حذف قال أو قالوا ، ونحوهما . وحذف القائل .

المطلب الثاني : حذف مقطع من القصة ، أو حدث من واقعة .

المطلب الثالث : حذف جوابي السؤال والقسم ونحوهما .

المطلب الرابع : حذف المقابل .

المطلب الخامس : حذف اسم الإشارة في أوائل السور .

المطلب السادس : ختام الآية بالأسماء الحسنى دالً على محذوف مراد معناه .



المطلب الأول : حذف قال أو قالوا ، ونحوهما ، وحذف القائل :

١ - حذف قال أو قالوا ، ونحوهما ، والسر اللغوي في ذلك :

ورد في القرآن جمل محكية عن متكلمين ، ولم يشر في الآية إلى تعيين القائل، إلا أن هذا التحديد يعرفه من تأمل السياق .

وقبل سوق الأمثلة على ذلك ، يجب الإحاطة بأن تقدير نسبة الكلام لهذا أو ذاك خاضع لدلالة السياق الفاصلة ، فلا يكون القول بأن هذا قول لمخصوص قد حذف إلا بدليل :

ففي قوله - تعالى - : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۝١٥ ﴾ [الكهف: ٢٥] نقل - رحمه الله - الخلاف فيها : " فقال بعضهم : ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن أهل الكتاب أنهم يقولون ذلك كذلك ، واستشهدوا على صحة قولهم ذلك بقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾ [الكهف: ٢٦] وقالوا : لو كان ذلك خبراً من الله عن قدر لبثهم في الكهف ، لم يكن لقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾ وجه مفهوم ، وقد أعلم الله خلقه مبلغ لبثهم فيه وقدره... وقال آخرون: بل ذلك خبر من الله عن مبلغ ما لبثوا في كهفهم ...

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : كما قال الله - عز ذكره - : ولبت أصحاب الكهف في كهفهم رقوداً - إلى أن بعثهم الله ؛ ليتساءلوا بينهم ، وإلى أن أعتز عليهم من أعتز - ثلاث مائة وتسع سنين ، وذلك أن الله بذلك أخبر في كتابه . وأما الذي ذكر عن ابن مسعود أنه قرأ : " وقالوا وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ" <sup>(١)</sup> وقول من قال : ذلك من قول أهل الكتاب ، وقد رد الله ذلك عليهم ، فإن معناه في ذلك - إن شاء الله - كان : أن أهل الكتاب قالوا فيما ذكر على عهد رسول الله - ﷺ - أن للفتية من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا ثلاث مائة سنين وتسع سنين ، فرد الله ذلك عليهم ، وأخبر نبيه أن ذلك قدر لبثهم في الكهف من لدن آووا إليه إلى أن بعثهم ليتساءلوا بينهم ، ثم قال - جل ثناؤه - لنبيه - ﷺ - قل يا محمد : الله أعلم بما لبثوا بعد أن قبض أرواحهم من بعد أن بعثهم من رقدهم إلى يومهم هذا ، لا يعلم بذلك غير الله ، وغير من أعلمه الله بذلك . فان قال قائل : وما يدل على أن

(١) انظر الكشاف (٤٨١/٢) ، قال ابن كثير : " وقراءة ابن مسعود منقطة " . (٧٨/٣) .

ذلك كذلك؟ قيل: الدالّ على ذلك أنه - جل ثناؤه - ابتدأ الخبر عن قدر لبثهم في كهفهم ابتداءً ، فقال : ﴿ **وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا** ﴾ ﴿٥٠﴾ ولم يضع دليلاً على أن ذلك خبر منه عن قول قوم قالوه ، وغير جائز أن يضاف خبره عن شيء إلى أنه خبر عن غيره بغير برهان ؛ لأن ذلك لو جاز جاز في كل أخباره ، وإذا جاز ذلك في أخباره ، جاز في أخبار غيره أن يضاف إليه أمّا أخباره ، وذلك في قلب أعيان الحقائق وما لا يخيل فسادُه .

فإن ظنّ ظانّ أن قوله : : ﴿ **قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا** ﴾ دليل على أن قوله : ﴿ **وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ** ﴾ خبر منه عن قوم قالوه ، فإن ذلك كان يجب أن يكون كذلك لو كان لا يحتمل من التأويل غيره ، فأما وهو محتمل ما قلنا من أن يكون معناه : قل الله أعلم بما لبثوا إلى يوم أنزلنا هذه السورة ، وما أشبه ذلك من المعاني ، فغير واجب أن يكون ذلك دليلاً على أن قوله : ﴿ **وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ** ﴾ خبر من الله عن قوم قالوه ، وإذا لم يكن دليلاً على ذلك ، ولم يأت خبر بأن قوله : ﴿ **وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ** ﴾ خبر من الله عن قوم قالوه ، ولا قامت بصحة ذلك حجة يجب التسليم لها ، صح ما قلنا ، وفسد ما خالفه .<sup>(١)</sup>

ويستفاد من هذا أن القول بوجود حذفٍ في شيء من الكلام أياً كان لا بد فيه من حجة ، وحين لا توجد حجة بيّنة فإنه يحمل على الظاهر من السياق ، إلا إذا لم يوجد للقول من غير تقدير الحذف وجه ، فإنه يحمل عليه .

٢- يؤيد ما سبق ويعتبر من أمثلة حذف "قال" ونحوهما : قوله - تعالى - ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ**

**الْعَالَمِينَ** ﴾ ﴿ **الفاتحة: ٢** ﴾ قال - رحمه الله - : " فإن قال لنا قائل: وما معنى قوله ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ**

أحمد الله نفسه جلّ ثناؤه فأثني عليها ، ثم علمناه ؛ لنقول ذلك كما قال ووصف به نفسه؟ فإن كان ذلك كذلك ، فما وجه قوله -تعالى- ذكره - إذا : ﴿ **إِنَّكَ تَقْبَلُ وَيَاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ ﴿ **الفاتحة: ٥** ﴾ وهو -عزّ ذكره - معبودٌ لا عابدٌ؟ أم ذلك من قبيل جبريل أو محمد رسول الله - ﷺ - ؟ فقد بطل أن يكون ذلك لله كلاماً .

قيل: بل ذلك كله كلام الله جلّ ثناؤه ، ولكنه - جلّ ذكره - حمد نفسه وأثني عليها بما هو

(١) جامع البيان (٨/٢١٠-٢١١) .

له أهلٌ ، ثم علّم ذلك عباده ، وفرض عليهم تلاوته ، اختباراً منه لهم وابتلاءً ، فقال لهم قولوا : ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴾ وقولوا : ﴿ يَاك تَبِيْهُ وَيَاك تَسْتَعِيْثُ ﴾ .

فقوله : ﴿ يَاك تَبِيْهُ ﴾ مما علمهم - جلّ ذكره - أن يقولوه ويديّنوا له بمعناه ، وذلك موصول بقوله : ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴾ ، وكأنه قال : قولوا هذا وهذا .

فإن قال: وأين قوله: "قولوا"، فيكون تأويل ذلك ما ادّعت؟ . قيل: قد دللنا فيما مضى أن العرب من شأنها - إذا عرفت مكان الكلمة ولم تشكك أن سامعها يعرف بما أظهرت من منطقتها ما حذف - حذف ما كفى منه الظاهر من منطقتها ، ولا سيما إن كانت تلك الكلمة التي حذفت قولاً أو تأويل قولاً .<sup>(١)</sup>

وقد دل ظاهر السياق في هذا المثال على حذف قال وقولوا ، وهذا الحذف من أشهر أنواع الحذف عند العرب .

٣- إذا وجد في السياق قول -سواء كانت النسبة للقول موجودة أو محذوفة- فإنه يحسن في العربية هذا الحذف قصداً لتنويع الخطاب من مخاطب إلى غائب وعكسه ، وفي التنويع تجديد وتجديد للسمع أن يميل أو يكل :

ففي قوله - تعالى - : ﴿ اَللّٰهُ الَّذِيْنَ اَلْحَالِصُّ وَالَّذِيْنَ اَتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِهِۦٓ اَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ اِلَّا لِيُقْرِبُوْنَا اِلَى اللّٰهِ زُلْفٰىۙ اِنَّ اللّٰهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيْ مَا هُمْ فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَۗ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِيْ مَنْ هُوَ كٰذِبٌ كَفّٰرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الرمر: ٣] قال - رحمه الله - : " يقول - تعالى ذكره - : والذين اتخذوا من دون الله اولياء يتولّوهم ويعبدوهم من دون الله يقولون لهم : ما نعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونا إلى الله زلفى ، قرينة ومنزلة ، وتشفعوا لنا عنده في حاجاتنا ، وهي فيما ذكر في قراءة أبيّ : "ما نعبدكم" ، وفي قراءة عبد الله : "قالوا ما نعبدهم"<sup>(٢)</sup> ، وإنما حسن ذلك ؛ لأن الحكاية إذا كانت بالقول مضمراً كان أو ظاهراً ، جعل الغائب أحياناً

(١) جامع البيان ٩٠/١-٩١ ، وتحقيق شاكر ١٣٩/١ .

(٢) عبد الله هنا هو : عبد الله بن عباس ، انظر تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٤/٤٥٧-٤٥٨) .

كالمخاطب ، ويترك أخرى كالعائب... " (١)

فهنا لما كان في السياق مقولة المشركين عن سبب عبادتهم للأولياء مع الله ، قالوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ ﴾ ، وقولهم هذا حديث عن العائب ، وفي قراءة أبي : " ما نعبدكم " وهو خطاب لحاضر ، وحسن ذلك ؛ لوجود نسبة القول باطنة مفهومة من السياق ، ومن باب أولى : لو كانت نسبة القول موجودة ؛ لحسن التعبير من مخاطب إلى عائب ، وهو المسمى بالالتفات (٢).

(١) جامع البيان (٦١١/١٠) .

(٢) الالتفات هو : العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم ، أو على العكس . التعريفات للجرجاني صفحة (٥١) . وانظر بقية المواضع في : البقرة (٥٧) ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَاتَّخَذْنَا صِرَاطًا لَّكُم مَّا تَشَاءُونَ ﴾ الآية جامع البيان (٣٣٨/١) ، (٦٠) ﴿ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٨/١) ، وال عمران (٧٩) ﴿ مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَن يُوْتِيَهِ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٢٣/٣) ، و (١٠٦) ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ الآية جامع البيان (٣٨٦/٣) ، والأنعام (٧) ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنُوا لَهَا ﴾ الآية جامع البيان (١٥٠/٥) ، و (١٢٨) ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجَمًا بِمَعَشَرٍ أَلِيفٍ قَدِ اسْتَكْرَهْتُمْ مِنْ آدَامِ الْأَنْسِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٢/٥) ، و (١٥٤) ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٨/٥) ، والأعراف (٣) ﴿ أَتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا عَلَيْكُم مِّن دُونِهَا قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ الآية جامع البيان (٤٢٦/٥) ، و (١٦٠) ﴿ وَظَعَمْنَهُمْ اثْقَنَ ثِقَةً شَدِيدًا أَلَمَّا ﴾ الآية جامع البيان (٩٠/٦) ، و (١٩٦) ﴿ وَإِذْ وَاعَى اللَّهُ الَّذِينَ نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ الآية جامع البيان (١٥٠/٦) ، والأنفال (٥٠) ﴿ وَلَوْ كَرِهْتَ إِذْ يَتَوَلَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرُفُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٨/٦) ، والتوبة (٣٥) ﴿ يَوْمَ يَخْتَصِمُونَ عَلَيْهَا فِي نَارٍ جَهَنَّمَ فُتَحَوْفٌ بِهَا جِهَاهُمْ وَجُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ جامع البيان (٣٦٢/٦) ، والرعد (٢٤) ﴿ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٧٧/٧) ، والنحل (٢٨) ﴿ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَائِفِينَ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَءَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ الآية جامع البيان (٧٥٩/٧) ، والإسراء (١٣) ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلَّيْنَاهُ طَائِفَةٌ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ الآية جامع البيان (٥٠/٨) ، والكهف (٢٤) ﴿ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَأَذْكُرَنَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ الآية جامع البيان (٢٠٨/٨) ، و (٤٨) ﴿ وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتَنَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ الآية جامع البيان (٢٣٣/٨) ، والأنبياء (٩٧) ﴿ وَأَقْرَبَ الرَّعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرَتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية جامع البيان (٨٨/٩) ، والحج (٢٢) ﴿ كَلِمًا أَرَادُوا أَن يَخْرِجُوا مِنْهَا مِن غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾

﴿٣٣﴾ الآية جامع البيان (١٢٧/٩)، والمؤمنون (١٠٥) ﴿أَلَمْ تَكُنْ تَكُنْ مَا بَيَّنَّا تَنَلُّ عَلَىٰ كَيْفِكَ فَكُنْ بِهَا تَكْذِبُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ الآية جامع البيان (٢٤٦/٩)، والنمل (٩٠) ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْتٌ يُجْزَىٰ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٠﴾ الآية جامع البيان (٢٤١/١٠)، وسبا (٧) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نُنَبِّئُكَ عَلَىٰ هَلْ نَنبِّئُكُمْ إِذَا مَرَّ فَتُرَكَّبُ كُلُّ مَمَرٍ بِإِذْنِكُمْ لِي خَلْقِي جَدِيدٌ﴾ ﴿٧﴾ الآية جامع البيان (٣٤٨/١٠)، و (١٣) ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَنِّيَلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ الآية جامع البيان (٣٥٦/١٠)، ويس (٦٠) ﴿أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بِنَبِيِّ أَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُرْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٠﴾ الآية جامع البيان (٤٥٧/١٠)، والصفات (٢٢) ﴿أَخْشَرُوا الْآيِينَ ظَلَمُوا وَأَزْرَجْنَاهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ الآية جامع البيان (٤٧٩/١٠)، و (٣٥) ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ الآية جامع البيان (٤٨٣/١٠)، و سورة ص (٤٢) ﴿أَكْفُرْ بِرِيحِكْ هَذَا مُتَمَسِّكٌ بَارِدٌ وَشَرِيفٌ﴾ ﴿٤٢﴾ الآية جامع البيان (٥٨٩/١٠)، غافر (٧) ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية جامع البيان (٤٨/١١)، و (١٦-١٧) ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ الآية جامع البيان (٤٨/١١)، والزخرف (٦٨) ﴿يَتَوَدَّوْا لَا حَرْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أُنْتَهَىٰ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ الآية جامع البيان (٢٠٩/١١)، والدخان (١٢) ﴿رَبَّنَا أَخْرِفْنَا عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ الآية جامع البيان (٢٢٨/١١)، و (٣١) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ تَكُنْ مَا بَيَّنَّا تَنَلُّ عَلَىٰ كَيْفِكَ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُفَرْتُمْ فَمَنْ جُوعِيْتُمْ﴾ ﴿٣١﴾ الآية جامع البيان (٢٦٨/١١)، والأحقاف (٢٠) ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَتْ أَدْهَبْتُمْ طَبِيعَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتُمْ بِهَا﴾ الآية جامع البيان (٢٢٨/١١)، و سورة ق (٢٤) ﴿الْقِيَامَةَ فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ كَفَّارٍ غَنِيْدٌ﴾ الآية جامع البيان (٤٢٢/١١)، و (٣٢) ﴿هَذَا مَا نُوعِدُونَ لِكُلِّ أَوَّلِيٍّ حَافِظٌ﴾ ﴿٣٢﴾ الآية جامع البيان (٤٢٧/١١)، والذاريات (١٤) ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ﴾ ﴿١٤﴾ الآية جامع البيان (٤٥٠/١١)، والطور (١٤) ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ﴾ ﴿١٤﴾ الآية جامع البيان (٤٨٦/١١)، و (١٩) ﴿كُلُّوْا وَأَشْرَبُوا هَيْسًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٩﴾ الآية جامع البيان (٤٨٦/١١)، والقمر (٤٨) ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ﴿١٨﴾ الآية جامع البيان (٥٦٨/١١)، والرحمن (٣٣) ﴿يَتَمَتَّعُونَ فِي الْحَيَاةِ وَالْآخِرَةِ وَإِنَّ أَنْتُمْ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ الآية جامع البيان (٥٩٤/١١)، و (٤٣) ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُكْفِرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ الآية جامع البيان (٦٠٠/١١)، والواقعة (٦٦-٦٧) ﴿إِنَّا لَمَعْرُومُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ الآية جامع البيان (٦٥٤/١١)، والحاقة (٢٤) ﴿كُلُّوْا وَأَشْرَبُوا هَيْسًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِيَةِ﴾ ﴿٢٤﴾ الآية جامع البيان (٢٢٠/١٢)، والإنسان (٩) ﴿إِنَّمَا تُطْمِئِنُّ بِرَبِّهِ لَا تُؤْمِنُ إِلَّا بِرَبِّكَ جَزَاءَ وَلَا شُكُورًا﴾ ﴿٩﴾ الآية جامع البيان (٣١٦/١١)، و (٢٢) ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُ جَزَاءَ وَكَانَ سَعْيُكَ مَشْكُورًا﴾ ﴿٢٢﴾ الآية جامع البيان (٣٧٣/١٢)، والمرسلات (٤٣) ﴿كُلُّوْا وَأَشْرَبُوا هَيْسًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ الآية جامع البيان (٣٩٢/١٢)، والنبا (٣٠) ﴿ذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ ﴿٣٠﴾ الآية جامع

٤- قد يحذف القائل : كما في قوله - تعالى - : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّكَ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكَ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٠٩ - ١١٠] قال - رحمه الله - : " وقيل : ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ ، والخبر بذلك عن فرعون ، ولم يذكر فرعون ، وقلمًا يجيء مثل ذلك في الكلام ، وذلك نظير قوله : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَوَدْتَنِّي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ حَسْبُ لِيَ مَا عَلِمْنَا عَلَيْكَ مِنْ سُوءٍ قَالَتْ أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكَفَنَ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [٥١] ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ [يوسف: ٥١ - ٥٢] <sup>(١)</sup> . فقيل : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ من قول يوسف ، ولم يذكر يوسف <sup>(٢)</sup> .

فجملة : ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ من قول فرعون استشارة منه لقومه الذين وصفوا موسى - ﷺ - بالسحر ، وأنه يريد إخراج أهل مصر منها ، ثم حكي كلام فرعون ، ومما يدل على هذا الحذف جوابهم بعد له بقولهم : ﴿ قَالُوا أَنِجْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١١١] .

البيان (٤٠٩/١٢) .

(١) قد سبق الحديث عن كلام الإمام الطبري هذا ، وترجح في الآية اتصال الكلام بالمرأة دون يوسف - عليه السلام - ، وذلك في مبحث : الكلام على اتصال السياق ما لم يدل دليل على انقطاعه . انظر صفحة (٢٠٣-٢٠٤) .

(٢) جامع البيان (١٨/٦) ، وتحقيق شاكر (٢٠/١٣) . وانظر مواضع أخرى في : المائدة (٢٩) ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ﴾ الآية جامع البيان (٥٣١/٤) ، وسورة ص (٥٩) ﴿ هَذَا نَجْمٌ مُفْتَضِلٌ مَعَكُمْ لَا مَرَجًا يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْرَارُ ﴾ الآية جامع البيان (٦٠٠/١٠) .

## المطلب الثاني : حذف مقطع من قصة أو حدث من واقعة :

وهذا كثير في عرض القصص القرآني ، ويفهم هذا جلياً من سياق الآيات :

ومن أمثلة ذلك : قوله -تعالى- : ﴿ قَلَّمَا فَصَلَّ طَالُوْتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكَ اللَّهُ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] الآية ، قال أبو جعفر : " وفي هذا الخبر من الله -تعالى ذكره- متروك قد استغني بدلالة ما ذكر عليه عن ذكره . ومعنى الكلام : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٨] فأتاهم التابوت فيه سكينه من ربهم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ، فصدقوا عند ذلك نبيهم ، وأقروا بأن الله قد بعث طالوت ملكا عليهم ، وأذعنوا له بذلك<sup>(١)</sup> . يدل على ذلك قوله : ﴿ قَلَّمَا فَصَلَّ طَالُوْتُ بِالْجُنُودِ ﴾ وما كان ليفصل بهم إلا بعد رضاهم به وتسليمهم الملك له ؛ لأنه لم يكن ممن يقدر على إكراههم على ذلك ، فيظن به أنه حملهم على ذلك كرهاً<sup>(٢)</sup> .

وقد ذكر نبي بني إسرائيل - كما حكى الله عنه - لقومه مقومات كون طالوت ملكا عليهم ، بعد إنكارهم ذلك بأنه لم يؤت سعة من المال فقال : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٨] ثم قص الله -عز وجل- الآية التي أوتيتها مباشرة فصل طالوت بالجنود لهم على أنه ملكهم ، ولم يذكر قبل ذلك تسليمهم له بالملك عليهم ، وهذا مفهوم من القصة ، ولازم طاعتهم القتال خلفه وتحت رايته<sup>(٣)</sup> .

(١) وهذا معنى الآية التي قبلها ، ونصها : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٨] .

(٢) جامع البيان (٢/٦٣١) ، وتحقيق شاکر (٥/٣٣٨) .

(٣) وانظر بقية المواضع في : البقرة (٣٠) ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ الآية جامع البيان (١/٢٤٧) ،

و(٥٧) ﴿ وَكَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَنَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَى ﴾ الآية جامع البيان (١/٣٣٨) ، و(٦٠) ﴿ وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ

لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾ الآية جامع البيان (١/٣٤٦) ، و(٦١) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَىٰ أَنْ نُصَبِّرْ عَلَىٰ طَعَامِهِ وَجِبْرِ ﴾ الآية

جامع البيان (٣٥٣/١)، و(٧٣) ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ الآية جامع  
 البيان (٤٠٤/١)، و(٢٤٦) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَدِ مُوسَى إِذِ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَمْ تَأْتُوا بَدْعًا تَكْفُرُونَ ﴿٢٤٦﴾﴾ الآية جامع البيان (٦١٥/٢)، والنساء (٤٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴿٤٣﴾﴾  
 الآية جامع البيان (١١١/٤)، و(٦٠) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ  
 يَتَّخِذُوا لَكَ عَلْمًا وَإِذْ لَبَّاسًا يَأْتُوا الصَّلَاةَ وَعَشِيًّا وَحَسَبَتْ أَفْسَانُهُمْ لَمَّا مَسُوا لَيْلًا أُصْبِحُوا بِغَيْرِ صَلَاةٍ وَخَسْفٍ وَالْأصْحَابُ يَسْتَخِفُّونَهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُفْقَهُونَ  
 دِينَ اللَّهِ ﴿٦٠﴾﴾ الآية جامع البيان (١٥٥/٤)، والمائدة (١٣) ﴿فِيمَا نَقُضُوا مِنْهُ أَفْسَانًا وَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ الآية جامع البيان (٣٩٥/٤)، و(٣١) ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي  
 سَوَاءَ آجِلِهِ ﴿٣١﴾﴾ الآية جامع البيان (٥٤٠/٤)، والأنعام (٨) ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْنَا مَاءٌ كَثِيرٌ لَكُنَّا مِنْكُمْ خَائِفِينَ ﴿٨﴾﴾ الآية جامع البيان (١٥١/٥)، و(٤٢-٤٣) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ آلِ ثَمُودَ بِمَا كَفَرُوا قَا  
 نًا مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضْحَكُونَ ﴿٤٢﴾﴾ الآية جامع البيان (١١٣-١١٢)، والأعراف (١١٣-١١٢) ﴿يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٣﴾﴾ الآية جامع البيان  
 (١٩/٦)، و(١١٧) ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴿١١٧﴾﴾ الآية جامع البيان (٢٢/٦)، و(١٣٥) ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غِيَابَهُمُ الرَّيْحَ أَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مُخْلَدُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ الآية جامع البيان (٤٢/٦)، ويونس (٢) ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ  
 عِجَابًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ يَأْتِيَ الْبِلَادَ يَذَرَ الْآيَاتِ ﴿٢﴾﴾ الآية جامع البيان (٥٢٩/٦)، و(٨٠) ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَنْتُمْ ثَلَاثُونَ ﴿٨٠﴾﴾ الآية جامع البيان (٥٩٠/٦)، وهود (٤١) ﴿وَقَالَ أَزْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرِدِنَا وَمُتْرَسَنًا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ الآية جامع  
 البيان (٤٣/٧)، و(٦٥) ﴿فَمَقَرُّوهُمْ فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدَّ غَيْرَ مَكْدُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾ الآية جامع البيان (٦٣/٧)، ويوسف (١٥) ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِرُءُوسِهِمْ فَنَسُوا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ الآية جامع البيان (١٥٧/٧)، و(١٩) ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا عَلْمٌ ﴿١٩﴾﴾ الآية جامع البيان (١٦٤/٧)، و(٣٣) ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ  
 وَمَا يُدْعُونِي إِلَىٰهِ ﴿٣٣﴾﴾ الآية جامع البيان (٢٠٨/٧)، و(٣٦) ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ ﴿٣٦﴾﴾ الآية جامع البيان (٢١١/٧-٢١٢)، و(٤٦) ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَتَيْنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ يَسَوَانِ ﴿٤٦﴾﴾ الآية جامع البيان (٢٢٧/٧)، و(٥١) ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَتَيْنَا فِي  
 سَبْعِ بَقَرَاتٍ يَسَوَانِ ﴿٥١﴾﴾ الآية جامع البيان (٢٣٤/٧)، و(٨٣) ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴿٨٣﴾﴾ الآية جامع  
 البيان (٢٧٣/٧)، و(٨٨) ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الْفُرُءُ ﴿٨٨﴾﴾ الآية جامع البيان (٢٨٥/٧)، والكهف (٤٩) ﴿وَوَضِعَ الْكِنُزَ فِي الْكَنْفِ فَتَرَى الْمُتَجَرِّمِينَ مُنْقَرِفِينَ وَمَا فِيهِ ﴿٤٩﴾﴾ الآية جامع البيان (٢٣٤/٨)، و(٩٦) ﴿ءَاثُورِي رَبِّرَ الْحَمِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ  
 بَيْنَ الضَّنْفَرِ قَالِ أَنْشُرُوا ﴿٩٦﴾﴾ الآية جامع البيان (٢٨٧/٨)، ومرجم (١٢) ﴿يَبْنِيحَىٰ خُذِ الْكَتَابَ يَقُورُ وَمَاتِنْتُهُ أَلْفُكُمْ صَبِيحًا ﴿١٢﴾﴾ الآية جامع البيان (٣١٥/٨)، و(٢٢) ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾ الآية جامع البيان (٣٢٢/٨)، وطه (٤٠) ﴿إِذْ تَسْتَفِيحُ أَفْسَانُكَ فَنَقُولُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ مَنْ يُكْفَلُهُ ﴿٤٠﴾﴾ الآية جامع البيان (٤١٣/٨-٤١٨)، و(٤٨) ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ



### المطلب الثالث : حذف جوابي السؤال والقسم ونحوهما :

فمثال حذف جواب السؤال : قوله -تعالى- : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ تُمْسِكُ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨] قال -رحمه الله- بعد تفسير الآية : " وترك الجواب ؛ لاستغناء السامع بمعرفة ذلك ، ودلالة ما ظهر من الكلام عليه . والمعنى : فإنهم

الْعَذَابَ عَلَّامٌ كَذَّابٌ وَتَوَكَّلْ ﴿ الآية جامع البيان (٤١٢/٨) ، و(٦٦) ﴿ قَالَ بَلْ أَعْتَابُ إِذَآ جَاءَهُمْ وَعَصِيْتُهُمْ بِحَبْلِ لِئِيْنِ مِنْ سِخْرِيْمٍ أَتَيْتَا سَعْيَ ﴿ الآية جامع البيان (٤٣٣/٨) ، و(٦٥) ﴿ قَالُوْا يَنْمُوْنَ إِيْمًا أَنْ تَلْقَىٰ وَإِنَّمَا أَنْ تَكُوْنُ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿ الآية جامع البيان (٤٣٢/٨) ، و(٧٠) ﴿ فَأَلْقَى السَّحْرَ بُجْدًا قَالُوْا ءَأَمَّا رَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿ الآية جامع البيان (٤٣٥/٨) ، و(٧٨) ﴿ فَأَنجَبَهُمْ فِرْعَوْنُ بِمُتَوَيَّرَةٍ فَفَشِيَهُمْ مِنْ آلِيْمٍ مَا غَشِيَهُمْ ﴿ الآية جامع البيان (٤٣٩/٨) ، و(٩٤) ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِطَبِيْعِي وَلَا بِرَأْسِي ﴿ الآية جامع البيان (٤٤٩/٨) ، والأنبياء (٦٩) ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِذْ هِيَ ﴿ جامع البيان (٢٤/٩) ، والمؤمنون (٧٢) ﴿ أَمْ سَتُلِمُّهُمْ سَخِرًا مِّنْ رَّبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِيْنَ ﴿ الآية جامع البيان (٢٣٤/٩) ، والفرقان (٣٦) ﴿ فَقُلْنَا أَهْمَبْنَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿ الآية جامع البيان (٣٨٩/٩) ، والشعراء (١٨) ﴿ قَالَ أَمْ تُؤْتِيْنَا لِيْنًا وَلِيْنًا وَكُنْتُمْ فِتْنًا مِنْ عَمْرِيْ سِيْنٍ ﴿ الآية جامع البيان (٤٣٦/٩) ، و(٤٣) ﴿ قَالَ لَهُمْ مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿ الآية جامع البيان (٤٤٢/٩) ، والنمل (١٠) ﴿ وَأَلْقَى عَصَاهُ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْمِرًا ﴿ الآية جامع البيان (٤٩٨/٩) ، و(٢١) ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيْدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ ﴿ الآية جامع البيان (٥٠٦/٩) ، و(٤٠) ﴿ قَالَ أَلَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتٰبِ أَنَا آتِيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴿ الآية جامع البيان (٥٢٥/٩) ، والقصاص (١١) ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيْهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ الآية جامع البيان (٣٨/١٠) ، و(٣١) ﴿ وَأَنْ أَلْقَى عَصَاكَ ﴿ الآية جامع البيان (٦٩/١٠) ، والصفات (٥٤) ﴿ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطْلِقُونَ ﴿ جامع البيان (٤٩١/١٠) ، و(٩١) ﴿ فَرَأَى إِلَهَ الْإِنْسَانِ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿ الآية جامع البيان (٥٠٢/١٠) ، وسورة ص (٣٢) ﴿ فَكَأَلِ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْكٰفِرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿ الآية جامع البيان (٥٧٨/١٠) ، و(٧٣) ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿ الآية جامع البيان (٦٠٥/١٠) ، والزمر (٧٣) ﴿ وَسَيَقِي الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴿ الآية جامع البيان (٣٤/١١) ، والدخان (٢٣) ﴿ فَأَنسَى بِيْعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿ الآية جامع البيان (٢٣٤/١١) ، والأحقاف (٢٧) ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوَّلْنَا مِنْ الْقَرْيَةِ وَصَرَّفْنَا الْآيٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿ الآية جامع البيان (٢٩٥/١١) ، والذاريات (٢٧) ﴿ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿ الآية جامع البيان (٤٦٣/١١) .

سيقولون : لا ، فقل : حسبي الله مما سواه من الأشياء كلها ، إياه أعبد ، وإليه أفزع في أموري دون كل شيء سواه ، فإنه الكافي ، ويبيده الضر والنفع ، لا إلى الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع...<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن الله - سبحانه وتعالى - هو المتصرف في الكون ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، ولم يذكر الله جواب السؤال الذي أمر الله رسوله - ﷺ - أن يقوله للمشركين وهو : ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَافِقَاتُ اللَّهِ يَظُنُّ هَلْ مِنْهُ مَنَعَةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُ يَكْفُرُونَ ﴾ ؛ لدلالة ظاهر السياق عليه ، ومنه قوله : ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ﴾ أي : وحده دون من سواه من الآلهة المزعومة ، فهو دليل على أنهم نفوا أن يكون أحد يفعل ذلك غير الله - تعالى - كما في آيات أخرى ، ومنها قوله - تعالى - : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١].

ومثال حذف جواب القسم : قوله - تعالى - : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّجْمِ إِذَا تَوَلَّىٰ ۚ سَجُودًا ﴾ [النازعات: ١-٥] قال - رحمه الله - : " واختلف أهل العربية في موضع جواب قوله : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّجْمِ إِذَا تَوَلَّىٰ ﴾ فقال بعض نحويي البصرة : قوله : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّجْمِ إِذَا تَوَلَّىٰ ﴾ قسم - والله أعلم - على : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴾ [النازعات: ٢٦] ، وإن شئت جعلتها على : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِيفَةُ ﴾ [النازعات: ٦] ، ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِعَةٌ ﴾ [النازعات: ٨] ، وهو كما قال الله وشاء أن يكون في كل هذا ، وفي كل الأمور .

وقال بعض نحويي الكوفة : جواب القسم في النازعات : ما تُرك لمعرفة السامعين بالمعنى ، كأنه لو ظهر كان لَتَبْعُثُنَّ ولتحاسبنَّ . قال: ويدل على ذلك : ﴿ أَوَدَا كُنَّا عِظْمًا نَجْرَةً ﴾ [النازعات: ١١] . ألا ترى أنه كالجواب لقوله : " لَتَبْعُثُنَّ " ؛ إذ قال : ﴿ أَوَدَا كُنَّا عِظْمًا نَجْرَةً ﴾ ، وقال آخر منهم نحو هذا ، غير أنه قال : لا يجوز حذف اللام في جواب اليمين ، لأنها إذا حذفت لم يُعرف موضعها ،

(١) جامع البيان (١١/٨) . وانظر مثله في غافر (١٢) ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَلِنْ يَشْرِكْ بِهِ تَأْمِنُوا ﴾ الآية جامع البيان (١١/٤٥) .

وذلك أنها تلي كل كلام .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أن جواب القسم في هذا الموضع مما استغني عنه بدلالة الكلام ، فترك ذكره " .<sup>(١)</sup>

فالأقسام المتتالية في السورة تحتاج إلى جواب ، وهذا الجواب غير مذكور على الصحيح ، ولكن الذي يدل عليه إنكار المشركين للبعث أول هذه السورة ، مما يدل على أن أقرب تقدير لجواب القسم المحذوف ، هو : لتبعثن .<sup>(٢)</sup>

(١) جامع البيان (٤٢٦/١٢) .

(٢) وانظر مثله في : الانشقاق (١-٥) ﴿ إِذَا النَّمَلُ انشَقَّتْ ﴾ الآيات جامع البيان (٥٠٦/١٢) ، ومثل ما سبق حذف جواب لولا في : النور (١٠) ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ الآية جامع البيان (٢٧٥/٩) ، و(٢٠) ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَهِيمٌ ﴾ الآية جامع البيان (٢٨٧/٩) ، والفتح (٢٥) ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَدَىٰ مَعَكُمَا أَنْ يَبْلُغَا حِلْمَهُ ﴾ الآية جامع البيان (٣٦٣/١١) ، وجواب لو في : هود (٨٠) ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَايَ إِلَىٰ رَبِّي سَدِيدٌ ﴾ الآية جامع البيان (٨٥/٧) ، والرعد (٣١) ﴿ وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا شَهِرَتْ بِإِسْمَائِيلَ أَوْ قُطَيْبَتٍ بِدِ الْاَرْضِ أَوْ كَلِمَةٍ مِّنَ الْمَوْقِفِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٨٦/٧) .

وحذف جواب جملة الشرط كما في : الأعراف (٣٥) ﴿ بَقِيَّتْ آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتَّبِعُونَ آيَاتِي فَمَن أَتَىٰ فَالِإِنشَاءِ وَلَا حَرْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ الآية جامع البيان (٤٧٧/٥) ، والنمل (٨٧) ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرِّجْ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَارِينَ ﴾ الآية جامع البيان (٢٠/١٠) ، ويس (٤٥) ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الآية جامع البيان (٤٤٧/١٠) ، والحديد (٢٤) ﴿ الَّذِينَ يَسْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَغْيِ وَمَن يُتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَدُوُّ الْحَمِيدُ ﴾ الآية جامع البيان (٦٨٨/١١) .

وحذف محمود بل في : الأنبياء (٤٢) ﴿ قُلْ مَن يَكْفُرْكُمْ وَأَلْبِئْسَ الرَّحْمَنُ بِلِ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ الآية جامع البيان (٣٠/٩) ، والشعراء (٧٤) ﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آيَاتِنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ الآية جامع البيان (٤٥١/٩) ، والقمر (٤٦) ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْجِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ الآية جامع البيان (٥٦٨/١١) .

والردع بـ "كلا" في : العلق (٦) ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴾ الآية جامع البيان (٦٤٦/١٢) ، و(١٥) ﴿ كَلَّا لَئِن لَّرَبَّنَا لَسَمِعْنَا يُنَادِيهِمْ ﴾ الآية جامع البيان (٦٤٨/١٢) ، و(١٩) ﴿ كَلَّا لَا تُطِغَةُ وَاسْجَدَ وَأَقْرَبَ ﴾ الآية جامع البيان (٦٥٠/١٢) ، والتكاثر (٥-٣) ﴿ كَلَّا سَوَفَ تَلْمِزُونَ ﴾ الآية جامع البيان (٦٧٩/١٢) .

## المطلب الرابع : حذف المقابل :

والمراد أن يذكر شيء ويجذف مناظره ومقابله ومضاده ، فقد يحذف المقابل في الخبر ، أو

في جواب الاستفهام ، واليك أمثلة لهما :

١- مثال حذف المقابل في الخبر : قوله - تعالى - ﴿ **إِن يَمَسَّكُمْ فَرَجٌ مِّنَ الْقَوْمِ فَاصْرَبُوا لَهُمْ** ﴾

وَتِلْكَ الْآيَاتُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ [آل عمران:

١٤٠]... قال أبو جعفر : فتأويل الكلام: وليعلم الله الذين آمنوا منكم أيها القوم من الذين نافقوا

منكم نداول بين الناس = فاستغنى بقوله : ﴿ **وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ** ﴾ عن ذكر قوله : " من

الذين نافقوا " ؛ لدلالة الكلام عليه . إذ كان في قوله : ﴿ **الَّذِينَ ءَامَنُوا** ﴾ تأويل : "أي" على ما وصفنا .

فكانه قيل : وليعلم الله أيكم المؤمن .<sup>(١)</sup>

فالكلام المذكور لما ذكر الله فيه أن الابتلاء والمصائب يظهر ويبين المؤمنين - على سبيل الحقيقة

والواقع - ، فهو دليل على أن ضد المؤمنين هم المنافقون ، فهم يظهرون ويتميزون ولا شك ، فجاز

حذفهم ، وبضدها تتميز الأشياء .

٢- ومثال حذف المقابل مع جواب الاستفهام : قوله -تعالى- ﴿ **أَفَمَن سَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامِهِ فَهَوَّ**

**عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ قَوْلًا لِّنَفْسِهِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْتَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [الزمر: ٢٢] قال -رحمه الله- : " يقول

-تعالى ذكره- : أفمن فسح الله قلبه لمعرفته، والإقرار بوحدانيته، والإذعان لربوبيته، والخضوع لطاعته،

﴿ **فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ** ﴾ يقول : فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين ، بتنوير الحق في قلبه ، فهو لذلك

لأمر الله متبع ، وعمّا نهاه عنه منته فيما يرضيه ، كمن ألقى الله قلبه ، وأخلاه من ذكره ، وضيقة عن

استماع الحق ، واتباع الهدى ، والعمل بالصواب ؟ ، وترك ذكر الذي ألقى الله قلبه . وجواب

الاستفهام اجتزاء بمعرفة السامعين المراد من الكلام، إذ ذكر أحد الصنفين ، وجعل مكان ذكر الصنف

(١) جامع البيان (٣/٤٥٠) ، وتحقيق شاکر (٧/٢٤٨) . ومثله في النساء (٤٣) ﴿ **يَنبَأُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ**

**سُكْرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ** ﴾ الآية جامع البيان (٤/١٠٤) ، والصفات (٥) ﴿ **رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ**

﴿ **وَالْمَغْرِبِ** ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٤٦٩) .

الآخر الخبر عنه بقوله : ﴿ قَوْلٌ لِّلْقَسِيَّةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ .<sup>(١)</sup> .  
 وهذا المثال واضح في تقسيم القلوب إلى قسمين : ذكر الله - سبحانه - القسم الأول منها ،  
 وهو القلب المنشرح المنبسط لشرائع الإسلام ، فدل على ما يقابله ويضاده : وهو القلب الضيق بالكفر .  
 وقد توعد الله القسم الثاني في ختام هذه الآية فقال : ﴿ قَوْلٌ لِّلْقَسِيَّةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ، ومن  
 هذا يفهم أن قلوب القسم الأول ليست قاسية .

(١) جامع البيان (١٠/٦٢٧) . ومثله في هود (١٧) ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ يَدَيْهِ مِن زِينَةٍ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنَهُ ﴾ الآية جامع البيان  
 (١٠/٢٠٧) ، والرعد (٣٣) ﴿ أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ الآية جامع البيان (٧/٣٩٢) ، وفاطر (٨)  
 ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوهُ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٣٩٦) ، والزمر (٢٤) ﴿ أَفَمَن يَتَّبِعِ بَوَّاهِهِمْ سُوهُ الْعَذَابِ يَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٦٣٠) .

### المطلب الخامس : حذف اسم الإشارة في أوائل السور :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١ ﴾ ﴿التوبة: ١﴾ " قال أبو جعفر : يعني بقوله -جل ثناؤه- : ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ، هذه براءة من الله ورسوله . فـ ﴿ بَرَاءَةٌ ﴾ مرفوعة بمحذوف، وهو "هذه"، كما قوله: ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ﴾ [النور: ١]، مرفوعة بمحذوف هو "هذه". ولو قال قائل: ﴿ بَرَاءَةٌ ﴾ مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله: ﴿ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ ﴾ ، وجعلها كالمعرفة ترفع ما بعدها ، إذ كانت قد صارت بصلتها وهي قوله: ﴿ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ، كالمعرفة ، وصار معنى الكلام : البراءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ، كان مذهبا غير مدفوعة صحته ، وإن كان القول الأول أعجب إليّ ؛ لأن من شأن العرب أن يضمروا لكل معان نكرة كان أو معرفة ذلك المعان ، "هذا" و"هذه" ، فيقولون عند معانيتهم الشيء الحسن : "حسن والله" ، والقبيح : "قبيح والله" ، يريدون : هذا حسن والله ، وهذا قبيح والله ؛ فلذلك اخترت القول الأول ."<sup>(١)</sup>

فلغة العرب على رفع النكرة والمعرفة أول الكلام ، إذا كان معاناً ومشاهداً ويخبر عنه ، بتقدير محذوف هو : هذا أو هذه ، ويدخل تحت هذا المثال ، فواتح سور أخرى عديدة ، كالأعراف ، وهود ، وإبراهيم ، وغيرها بعد الأحرف المقطعة<sup>(٢)</sup> .

(١) جامع البيان (٣٠١/٦) ، وتحقيق شاکر (٩٥/١٤) . ومثله في مريم (٢) ﴿ ذُكِّرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرًا ١ ﴾ جامع البيان (٣٠٥/٨) .

(٢) فأول الأعراف (٢-١) ﴿ التَّصَّ ١ ﴾ كِتَابُ أَوَّلِ آيَاتِكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِئَنذِرَ بِهِ وَذِكْرًا لِلْمُؤْمِنِينَ ١ ﴾ ، وهود (١) ﴿ اَلرُّكْبُ اَلْأَعْيُنُ اَلْأَعْيُنُ ثُمَّ فُجِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمِ خَيْرٍ ١ ﴾ ، وإبراهيم (١) ﴿ اَلرَّكْتَبُ اَلَّذِي اَنْزَلْنَاهُ اِلَيْكَ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّورِ بِاِذْنِ رَبِّهِمْ اِلَى صِرَاطٍ اَلْعَزِيزِ اَلْحَمِيدِ ١ ﴾ .

### المطلب السادس : ختام الآية بالأسماء الحسنى دالّ على محذوف مراد معناه :

قد يرد في الآية خبر ويختتم باسم من أسماء الله الحسنى ، دون الإشارة إلى ما يكمل الخبر ، ولكن تدل تلك الأسماء الحسنى على المراد المحذوف .

كما في قوله -تعالى- : ﴿ **إِنْ يُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا** ﴾ [النساء: ١٤٩] قال -رحمه الله- : " ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا** ﴾ ، يقول : ذا قدرة على الانتقام منهم . وإنما يعني بذلك : أن الله لم يزل ذا عفو وخالف أمره . ﴿ **قَدِيرًا** ﴾ ، يقول : ذا قدرة على العقابهم على معصيتهم إياه . يقول : فاعفوا أنتم أيضاً أيها الناس عن من أتى إليكم ظلماً ، ولا تجهروا له بالسوء من القول ، وإن قدرتم على الإساءة إليه ، كما يعفو عنكم ربكم مع قدرته على عقابكم ، وأنتم تعصونه وتخالفون أمره . " (١)

ففي ختم هذه الآية بالاسمين الكريمين : العفو القدير دعوة لتطبيق معناهما ، فيفهم من هذا معنى محذوف ، فلو قرأت أول الآية فقط ، وهو قوله -تعالى- : ﴿ **إِنْ يُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ** ﴾ هل تفهم منها شيئاً؟! ، إلا إذا ذكر ختامها : ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا** ﴾ فإنك تفهم شيئاً تاماً غير المذكور ، فهو كلام محذوف فهم من خلال الختام .

(١) جامع البيان (٤/٣٤٣) ، وتحقيق شاكر (٩/٣٥١) . وانظر مثله في المائة (٣) ﴿ **حَرَمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْيَتَهُ وَالذَّمَّ وَلَبَّؤُا الْخَنَزِيرِ** ﴾ الآية جامع البيان (٤/٤٢٦) .

## المبحث الرابع : الحذف قد يكون محتملاً بسبب السياق ، أو القراءة :

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : مثال تقدير الحذف بسبب احتمال السياق .

المطلب الثاني : مثال تقدير الحذف بسبب القراءة .

### المطلب الأول : مثال تقدير الحذف بسبب احتمال السياق :

قوله -تعالى- : ﴿ وَاتْرُكُوا الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَبُونَ ﴾ [الدخان: ٢٤] قال -رحمه الله- : "يقول: وإذا قطعت البحر أنت وأصحابك فاتركه ساكناً على حاله التي كان عليها حين دخلته . وقيل: إن الله -تعالى- ذكره- قال لموسى هذا القول بعد ما قطع البحر ببني إسرائيل ؛ فإذا كان ذلك كذلك ففي الكلام محذوف ، وهو : فسرى موسى بعبادي ليلاً ، وقطع بهم البحر ، فقلنا له بعد ما قطعه وأراد ردّ البحر إلى هيئته التي كان عليها قبل انفلاقه : اتركه رَهْوًا . " (١)

فقوله -تعالى- : ﴿ وَاتْرُكُوا الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ يحتمل أن يكون خبراً متصلاً بقوله : ﴿ فَأَسْرِ بِمِائِدِي لَيْلًا إِنْ كُنْتُمْ مُّتَّحِبِينَ ﴾ [الدخان: ٢٣] ، أو أن قول الله -عز وجل- لموسى -ﷺ- كان بعدما قطع البحر ، وكان كل فرق كالطود العظيم ، فيكون فعل موسى حين سرى ليلاً ببني إسرائيل ، وحين قطع البحر محذوفاً من الكلام ، والآية تحتمل هذا المعنى وذاك . -والله أعلم- . (٢)

(١) جامع البيان (١١/٢٣٤) .

(٢) انظر التحرير والتنوير (١٢/٢٥/٣٠٠) .



### المطلب الثاني : مثال تقدير الحذف بسبب القراءة :

قوله - تعالى - : { سَتَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَابِ الْأَشْرُ } [القمر: ٢٦] قال - رحمه الله - :  
 " يقول - تعالى - ذكره - : قال الله لهم : ستعلمون غداً في القيامة من الكذاب الأشهر منكم معشر ثمود  
 ومن رسولنا صالح حين تردون على ربكم ، وهذا التأويل تأويل من قرأه { سَتَعْلَمُونَ } بالتاء ، وهي  
 قراءة عامة أهل الكوفة ، سوى عاصم<sup>(١)</sup> والكسائي<sup>(٢)</sup> .

أما تأويل ذلك على قراءة من قرأه بالياء ، وهي قراءة عامة قراء أهل المدينة والبصرة وعاصم  
 والكسائي<sup>(٣)</sup> ، فإنه قال الله : ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَابِ الْأَشْرُ ﴾ وترك من الكلام ذكر "قال الله" ؛  
 استغناء بدلالة الكلام عليه . " (٤)

فعلى القراءة بالتاء : { سَتَعْلَمُونَ } لا يحتاج الكلام لتقدير حذف ؛ لاتصال الكلام بقول الله  
 في الآيتين التاليتين وهي قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فَبَنَّا لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَيَتَّبِعُهُمُ الْغَنَمُ فَأَنسَاءً يَنْبِتُهُمْ كُلُّ  
 شَرِبٍ مَّحْضَرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [القمر: ٢٧ - ٢٨] .

وعلى القراءة بالياء : ﴿ سَيَعْلَمُونَ ﴾ تحتاج لتقدير محذوف ، أو تحمل على أسلوب الالتفات من  
 الخطاب إلى الغيبة والعكس .

وحمل ابن عطية الالوسي والشوكاني - رحمه الله - :قراءة التاء على معنى : قل لهم يا صالح ،  
 وبالياء : من قول الله لصالح<sup>(٥)</sup> ، وفي الكشف : بالتاء على سبيل الالتفات من كلام صالح ، وأن  
 يكون من كلام الله على الالتفات أولى .<sup>(٦)</sup>

(١) هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي الكوفي مولاهم ، اسم أبيه بهذلة ، ومقرئ العصر بعد أبي عبد الرحمن السلمي ،  
 كان عابداً خيراً ، ثقة متقن في القراءة ، صدوق في رواية الحديث ، توفي سنة سبع وعشرين ومائة ، وقيل ثمان وعشرين .  
 انظر سير أعلام النبلاء (٢٥٦/٥) ، والنشر في القراءات العشر (١٥٥/١) .

(٢) بالتاء الفوقية قراءة : ابن عامر وحمزة . انظر إتحاف فضلاء البشر (٥٠٧/٢) .

(٣) بالياء التحتية قراءة الباقيين وهم : نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، والكسائي ، وأبو جعفر ، ويعقوب ، وخلف . انظر  
 إتحاف فضلاء البشر (٥٠٧/٢) .

(٤) جامع البيان (٥٦٠/١١) .

(٥) انظر المحرر الوجيز (٣٠٦-٣٠٧) ، وروح المعاني (١٣٥/٢٧) ، وفتح القدير (١٢٦/٥) .

(٦) انظر الكشف (٣٩/٤) .

### المبحث الخامس : تقدير الحذف بما يناسب السياق :

وهذا لب الفصل وأساسه ، بعد تقرير شيء من استعمالات العرب للحذف ، وشروط تقديره، وكل ما مضى يصلح أن يكون من الأمثلة ، ولكن أفردتها هناك تأصيلاً لتقدير المحذوف وبيان حدوده ، وسأورد هنا مثلاً واحداً واضحاً ، إذ أن المواضع كثيرة : وهو قوله -تعالى- عن الخضر - عليه السلام - : ﴿ **أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا** ﴾ [الكهف: ٧٩] قال -رحمه الله- : "وقوله : ﴿ **يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا** ﴾ فيقول القائل : فما أغنى حرق هذا العالم السفينة التي ركبها عن أهلها ، إذ كان من أجل حرقها يأخذ السفن كلها ، معيها وغير معيها ؟ ، وما كان وجه اعتلاله في حرقها بأنه حرقها ؛ لأن وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً ؟ قيل : إن معنى ذلك : أنه يأخذ كل سفينة صحيحة غصباً ، ويدع منها كل معيبة ، لا أنه كان يأخذ صحاحها وغير صحاحها .

فإن قال : وما الدليل على أن ذلك كذلك ؟ قيل : قوله : ﴿ **فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا** ﴾ فأبان بذلك أنه إنما عابها ؛ لأن المعيبة منها لا يعرض لها ، فاكتفى بذلك من أن يقال : وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصباً ، على أن ذلك في بعض القراءات كذلك . " (١)

وهذا التقدير للمحذوف يلتحم فيه قول الخضر -عليه السلام- وقصده مع فعله وتعليقه ، ولو لم تقدر : "صالحة" أو "صحيحة" لما تلائم الكلام مع الفعل منه - عليه السلام - ، ولكان حرق السفينة إضاعة لمال المساكين . (٢)

(١) جامع البيان (٢٦٥/٨) ، وقد نسبت هذه القراءة إلى أبي بن كعب كما في تفسير النسائي (١١/٢) ، والدر المنثور للسيوطي (٢٥٣/٤) ، وفي تفسير السمرقندي نسبها لابن عباس (٣٠٩/٢) ، وفي تفسير كتاب الله العزيز ، لهود بن المحكم الهواري قال : وفي بعض القراءات : "وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً" (٤٧٤/٢) ، وقال الزمخشري : "وقيل في قراءة أبي وعبد الله : "كل سفينة صالحة". الكشاف (٤٩٥/٢) ، وقال أبو حيان في النهر الماد : ويحمل ذلك على أنه تفسير لا على أنه قرآن ، (جزء ٢ قسم ٣٢٦/١) ، وقال القرطبي : قرأ ابن عباس وابن جبير : صحيحة ، وقرأ أيضا : ابن عباس وعثمان بن عفان : صالحة . الجامع لأحكام القرآن (٣٤/١١) .

(٢) انظر بقية المواضع في : البقرة (٦٢) ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰلِحِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا** ﴾

فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿ الآية جامع البيان (٣٦١/١) ، و (٧٠) ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴾ الآية جامع البيان (٣٨٩/١) ، و (٧٤) ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ الآية جامع البيان (٤٠٧/١) ، و (٩٣) ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا بَاتَيْنَاكُمْ بِهِ يَوْمَ تَأْتِيكُمْ وَاسْمِعُوا ﴾ الآية جامع البيان (٤٦٨/١) ، و (٩٤) ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أُمَّةَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٤٧٠/١) ، و (١٠٢) ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا مِنَ التَّوْرَةِ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَحَمِلُوا صَلْبَهُمْ لِآيَاتِ اللَّهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّةً مِنْ النَّاسِ وَمَنْ كَفَرَ سَلِمْنَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَإِنَّمَا لِلْمُتَّقِينَ إِفْرَاقٌ ﴾ الآية جامع البيان (٤٩٣/١ و ٤٩٦) ، و (١٣٥) ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ﴾ الآية جامع البيان (٦١٤/١) ، و (١٦٤) ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ أَلْيَالِ وَالْأَنْهَارِ ﴾ الآية جامع البيان (٧٠/٢) ، و (١٦٥) ﴿ وَبَرَكْنَا النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٧٢/٢) ، و (١٣٧) ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْمِتَةَ وَالَّذِينَ هُمْ يُعْتَبِرُونَ وَمَا أُهْلَ بِهِ لَعَنَ اللَّهُ ﴾ الآية جامع البيان (٩١/٢) ، و (١٧٨) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾ الآية جامع البيان (١١٢/٢) ، و (١٨١) ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَنَّىٰ يُؤْمَرُ عَلَىٰ آلِيهِ بِبَدْلِهِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ الآية جامع البيان (١٢٧/٢) ، و (٢١٦) ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٣٥٨/٢) ، و (٢٢٦) ﴿ لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَابِهِمْ ذُرِّيٌّ مِنْهُمْ فَإِنْ كَانَ مِنَ اللَّهِ عَفْوٌ فَسَيَرَىٰ ﴿٢٢٦﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٤٣/٢) ، و (٢٢٩) ﴿ الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَلَيْسَ أَكْفًا وَمَنْ يَبْتَغِ الْيَسَّرَ لَكُمْ أَوْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَإِنَّ إِلَهَهُ لَعِيبٌ ﴾ الآية جامع البيان (٤٧٣/٢) ، و (٢٦) ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ النَّاسِ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ الآية جامع البيان (٢٢١/٣) ، و (٤٤) ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَتَمْتُمْ أَنْتُمْ بِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَقُولُوا لَنْ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٧/٣) ، و (٨٥) ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا مِنْ دُونِ ذَلِكَ ﴾ الآية جامع البيان (٣٣٧/٣) ، و (١١٧) ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ الآية جامع البيان (٤٠٤/٣) ، و (النساء: ٣) ﴿ وَإِنْ عَفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبَيْنِ فَاذْكُرُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النَّسَاءِ ﴾ الآية جامع البيان (٥٧٨/٣) ، و (٢٣) ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٦٦٢/٣) ، و (٣٤) ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النَّسَاءِ وَإِنَّمَا اللَّهُ يُعْطِيهِمْ مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ ﴾ الآية جامع البيان (٦٣/٤) ، و (المائدة: ٤) ﴿ تَسْتَأْذِنُكَ مَاذَا أَحَلَّ لَكُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ مَا كَرِهْتُمْ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ ﴾ الآية جامع البيان (٤٢٧/٤) ، و (٩) ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ الآية جامع البيان (٤٨٤/٤) ، و (٤٧) ﴿ وَلِيَحْكُرَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ الآية جامع البيان (٦٠٥/٤) ، و (الأعراف: ٣٣) ﴿ قَدْ نَعَلْنَا لِيُدْعَىٰ لِيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَفُّونَ نَفْسَهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (١٨٠/٥) ، و (٧٨) ﴿ فَلَمَّا رَمَى النَّاسُ بَرَصَةً قَالَ هَذَا رَجِيٌّ هَذَا أَكْبَرُ ﴾ الآية جامع البيان (٢٤٧/٥) ، و (١٤٢) ﴿ وَبَرَكْنَا الْأَنْعَامَ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ الآية جامع البيان (٣٧١/٥) ، و (الأعراف: ٦٥) ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ الآية الأعراف: ١٥٢ جامع البيان (٥٢٢/٥) ، و (٨٠) ﴿ وَإِلَّا عَادُوا لَنَا هُمْ هُودًا قَالَ يَقْتَرِبُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ الآية الأعراف: ٦٥ جامع البيان (٥٤٠/٥) ،



## المبحث السادس :

مواضع قدّر فيها الإمام الطبري -رحمه الله- حذفاً وليست كذلك ، أو لم يقدر فيها حذفاً مناسباً للسياق :

سبق ذكر أمثلة كثيرة على تقدير المناسب ، ولكن وقفت على ثلاثة مواضع -فيما يظهر- هي خلاف تطبيق ابن جرير -رحمه الله- السابق ، وتعتبر نادرة بالنسبة لعدد المواضع التي سار فيها على الطريقة السليمة الغالبة ، وهذه المواضع هي :

الموضع الأول : قوله -تعالى- : ﴿ قُلْ تَكَلَّمُوا أَنْتُمْ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ وَإِلَىٰ أُولَٰئِكَ يَٰحْسَنَاتٌ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَيْتُمْ حَتَّىٰ تَرْزُقُوهُمْ وَإِنهَآءُ ۗ﴾ [الأنعام: ١٥١]... قال أبو جعفر : يعني

مِنَ الْمَوْتِ ﴿الآية جامع البيان ٢٧٥/١٠ ، وسورة ص (٣٦) ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿١٧﴾ الآية جامع البيان ٥٨٣/١٠ ، والزمر (١٩) ﴿ أَمَّنْ حَتَّىٰ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٨﴾ الآية جامع البيان ٦٢٦/١٠ ، والفتح (١٨) ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُوكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴿ الآية جامع البيان ٣٥٠/١١ ، و (٢٩) ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أُخْتَاهُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴿ الآية جامع البيان ٣٧٥/١٠ ، وسورة ق (٣) ﴿ لَوْ أَنَّا فُتِنَّا لَأَنبَأَنَّكَ رَبَّكَ ذَاكَ رَجْحًا بَعِيدًا ﴿ الآية جامع البيان ٤٠٦/١١ ، و (٤٤-٤٥) ﴿ يَوْمَ نَسْفَعُ الْأَرْضَ عَنْهُمْ مِرَاعًا ذَلِكُمْ حَسْرَةً عَلَيْنَا يَبِئسَ ﴿ الآية جامع البيان ٤٣٩/١١ ، والذاريات (٢٩) ﴿ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرْرِ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿ الآية جامع البيان ٤٦٥/١١ ، والواقعة (٨٣) ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْمُلُوكُومَ ﴿ الآية جامع البيان ٦٦٣/١١ ، والمجادلة (١١) ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسَخَّرُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَتَسَخَّرُوا بِنَسَحِ اللَّهِ لَكُمْ ﴿ الآية جامع البيان ١٩/١٢ ، و (١٣) ﴿ أَنَسْتَفْتِيكُمْ أَن تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقْتِ ﴿ الآية جامع البيان ٢٢/١٢ ، والحشر (١١) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ﴿ الآية جامع البيان ٤٤/١٢ ، والمعارج (٣٩) ﴿ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَلْمِزُونَ ﴿ الآية جامع البيان ٣٨٩/١٢ ، والشمس (١٣) ﴿ فَقَالَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿ الآية جامع البيان ٦٠٦/١٢ ، والتين (٤) ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿ الآية جامع البيان ٦٣٧/١٢ ، والقارعة (٦) ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿ الآية جامع البيان ٦٧٦/١٢ ، و (٨) ﴿ وَأَمَّا مَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿ الآية جامع البيان ٦٧٦/١٢ .

- تعالى ذكره - بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ ، ولا تقتلوا أولادكم فتقتلوهم من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم ، فإن الله هو رازقكم وإياهم ، ليس عليكم رزقهم ، فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجز عن أرزاقهم وأقواتهم .<sup>(١)</sup>

فعلل قتل المشركين لأولادهم في الآية بخشية الفقر ، ومن المعلوم أن هذه الآية من سورة الأنعام لم يذكر فيها لفظ "خشية" ، وإنما ذكر الله -تعالى- الخشية في سورة الإسراء ، فقال -تعالى- : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١] فلا بد من فرق بين هذين الموضعين . وقد نبه على ذلك ابن كثير -رحمه الله- فقال في قوله -تعالى- : ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ "... أي : ولا تقتلوهم من فقركم الحاصل في الآجل ؛ ولهذا قال هناك : ﴿تَخَنُّنُ رِزْقِهِمْ وَإِيَّائِكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١] فبدأ برزقهم ؛ للاهتمام بهم ، أي : لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله ، وأما هنا فلما كان الفقر حاصلًا قال : ﴿تَخَنُّنُ رِزْقِكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] ؛ لأنه الأهم ها هنا -والله أعلم- .<sup>(٢)</sup>

وبهذا يتبين أن آية الأنعام على ظاهرها بدون تقدير خشية ؛ لأن الكلام يستقيم بدون تقدير حذف ، وليفرق بين الآيتين في التعبير ، والتقديم والتأخير .

الموضع الثاني : قوله -تعالى- : ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَمَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَا يَكْفُرُ عَلَيْهَا حَامَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ [عافر: ٧٩ - ٨٠] قال -رحمه الله- : "يقول -تعالى- ذكره- : ﴿اللَّهُ﴾ : الذي لا تصلح الألوهة إلا له أيها المشركون به من قريش ، ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَمَ﴾ : من الإبل والبقر والغنم والخيول ، وغير ذلك من البهائم التي يقطنها أهل الإسلام لمركب أو لمطعم ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ يعني : الخيل والحمير ، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني : الإبل والبقر والغنم . وقال : ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ ومعناه : لتركبوا منها بعضاً ومنها بعضاً تأكلون ، فحذف استغناء بدلالة الكلام على ما حذف ...

(١) جامع البيان (٥/٣٩١) ، وتحقيق شاکر (١٢/٢١٧) .

(٢) تفسير القران العظيم (٢/١٠٨) ، وحسن ذلك الألوسي في روح المعاني (٧/٨٠) ، وأشار أبو السعود إلى القولين في إرشاد العقل السليم (٢/٣٠٢) .

وقوله: ﴿وَاتَّبِعُوا عَلْتَبَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ يقول: ولتبلغوا بالحمولة على بعضها، وذلك الإبل حاجة في صدوركم، لم تكونوا بالغيها لولا هي إلا بشق أنفسكم، كما قال - جل ثناؤه - : ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِنَّ بَلَدًا لَرَتْ تَكُونُوا بِبِلَافِهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ [النحل: ٧]... وقوله: ﴿وَعَلَيْهَا﴾ يعني: وعلى هذه الإبل، وما جانسها من الأنعام المركوبة...<sup>(١)</sup>.

ففسر الإمام -رحمه الله- الأنعام بأهما: من الإبل والبقر والغنم والخيل، وغير ذلك من البهائم، وهذا خلاف المستعمل في اللغة، وخلاف المطلق في الشرع، ونبه على ضعفه ابن عطية والراغب:

فقال ابن عطية: " وإنما الأنعام الأزواج الثمانية التي ذكر الله فقط " <sup>(٢)</sup>. وقال الراغب الأصفهاني -رحمه الله-: " والنعم مختص بالإبل، وجمعه أنعام، وتسميته بذلك؛ ليكون الإبل عندهم أعظم نعمة، لكن الأنعام تقال: للإبل والبقر والغنم ولا يقال لها: أنعام حتى يكون في جملتها الإبل. " <sup>(٣)</sup>.

والمقصود أن إرجاع الهاء في قوله: ﴿لِيَتْرَكُوا مِنْهَا﴾ إلى الخيل والحمير لا يسلم؛ لعدم دخولها في معنى الأنعام السابق ذكره في الآية: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِيَتْرَكُوا مِنْهَا﴾ كما تقدم. والله أعلم.

الموضع الثالث: قوله -تعالى-: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] قال -رحمه الله-: "يقول -تعالى- ذكره- لنبيه محمد - ﷺ -: قل يا محمد لهؤلاء المشركين برهم الأوثان والأصنام: من يرزقكم من السماوات والأرض بإنزاله الغيث عليكم منها حياة لحرثكم، وصلاحا لمعايشكم، وتسخيره الشمس والقمر والنجوم لمنافعكم، ومنافع أقواتكم، والأرض بإخراجه منها أقواتكم وأقوات أنعامكم؟".

(١) جامع البيان (١١/٨٠-٨١).

(٢) المحرر الوجيز (١٤/١٥٨-١٥٩).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن صفحة (٨١٥).

وترك الخبر عن جواب القوم استغناء بدلالة الكلام عليه ، ثم ذكره وهو : فإن قالوا : لا ندري ، فقل : الذي يرزقكم ذلك الله... " (١)

وتقدير جواب المشركين المحذوف بأنهم قالوا : "لا ندري" ، ليس بلازم ، بل هم يقرون بذلك ، كما بينه تعالى في مواضع من كتابه ، منها : قوله -تعالى- : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا لِنُقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١] ، وقوله -تعالى- : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦١] ، ولكن يحتل في الآية الأولى -آية سورة سبأ- أنهم سكتوا أو أجابوا بالإقرار ، والإشارة فيها بالضلال والهدى عائد على شركهم ، وهو شرك في توحيد الألوهية لا في توحيد الربوبية ، والسؤال المطروح عليهم في الرزق متعلق بتوحيد الربوبية (٢).

وفي ختام الفصل عسى أن أكون قد وفقت في توضيح أشياء مهمة متصلة بالسياق الدال على محذوف ، وأن يكون في الأمثلة المذكورة في المتن دلالة على الأمثلة المشار إليها في الحاشية . -والله أعلم-

(١) جامع البيان (١٠/٣٧٥) .

(٢) توحيد الربوبية : هو إفراد الله -عز وجل- بالخلق والملك والتدبير ، وتوحيد الألوهية : هو توحيد العبادة ، فلا يتوجه بالعبادة إلا لله المعبود بحق . انظر القول المفيد على كتاب التوحيد (١/١١-١٧) ، للشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين ، جمع وتخريج الدكتور سليمان أبا الخيل ، والدكتور خالد المشيقح .



## الفصل السابع

أثر دلالة السياق على وجود النسخ أو عدمه :

## الفصل السابع : أثر دلالة السياق على وجود النسخ أو عدمه :

لقد عدّ العلماء -رحمهم الله- الناسخ والمنسوخ من أهم علوم القرآن ، وشرطاً من شروط أهلية دخول الشخص في تفسير كتاب الله -عز وجل - ، حتى لا يقع المفسر في أغلاط حين يفسر آية بنقيض أخرى ، دون أن يشير إلى أن هذه ناسخة لتلك ، فقد فسر ابن عباس - رضي الله عنهما - الحكمة في قوله - تعالى - : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩] بأنها : " المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه ، وأمثاله . " (١)

مع ما في معرفة الناسخ والمنسوخ من الإمام بشيء من سير التشريع الإسلامي ، وبيان شيء من حكمة الله - عز وجل - البالغة في النسخ كالتيسير والابتلاء ، وهو دليل على أن هذا القرآن من عند الله - عز وجل - ، ليس للنبي - ﷺ - فيه شيء إلا أن بلغه . (٢)

ولهذه الأهمية ولغيرها ، فقد ألفت جمع من العلماء في الناسخ والمنسوخ ، منهم: أبو عبيد القاسم بن سلام<sup>(٣)</sup> ، وأبو داود السجستاني<sup>(٤)</sup> ، وأبو جعفر النحاس ، وابن الأنباري<sup>(٥)</sup> ،

(١) جامع البيان (٨٩/٣) ، وتحقيق شاکر (٥٧٦/٥) .

(٢) انظر مناهل العرفان للزرقاني (١٣٦/٢) بتصرف .

(٣) هو أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي ، إمام بارع في اللغة والنحو والتفسير والقراءات والحديث والفقہ ، أشهر كتبه : الأموال ، وغريب القرآن ، ومعاني القرآن ، توفي سنة أربع وعشرين ومائتين ، وقيل غير ذلك . انظر تهذيب الأسماء واللغات (٢٥٧/٢) ، وبغية الوعاة (٢٥٣/٢) ، وطبقات المفسرين للداودي (٣٢/٢) ، وطبقات الحنابلة (٢٥٩/١) ، والمنهج الأحمد (٨٠/١) .

(٤) هو سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر ، وقيل ابن الأشعث بن إسحاق بن بشير السجستاني ، ولد سنة اثنتين ومائتين ، صنف كتباً منها : السنن ، والناسخ والمنسوخ . توفي بالبصرة ، سنة خمس وسبعين ومائتين . انظر تهذيب الأسماء واللغات (٢٢٤/٢) ، وطبقات المفسرين (٢٠١/١) ، ووفيات الأعيان (٤٠٤/٢) .

(٥) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار ، النحوي اللغوي صاحب المصنفات ، ومنها : إيضاح الوقف والابتداء ، كان يحفظ فيما قيل : ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن ، وكان إملاؤه من حفظه ، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة . انظر سير أعلام النبلاء (٢٧٤/١٥) ، وغاية النهاية (٢٣٠/٢) .

ومكي بن أبي طالب ، وابن العربي ، وغيرهم <sup>(١)</sup>.

ولكن أورد جَمْع من العلماء في مؤلفاتهم في علم النسخ والمنسوخ ، وجَمْع من المفسرين في ثنايا تفاسيرهم ، أقوالاً في آيات بأنها ناسخة أو منسوخة ، وهي عند التحقيق خلاف ذلك ، وسيتبين من خلال هذا الفصل ما لابن جرير - رحمه الله - من التحقيق الدقيق في مثل هذه الآيات .

وسأعرض أمثلة هذا الفصل من خلال المبحثين التاليين :

المبحث الأول : الاستدلال بالسياق على وجود النسخ المحقق أو عدمه .

المبحث الثاني : الاستدلال بالسياق على عدم وجود النسخ .

(١) انظر الإتيان للسيوطي (٢/٧٠٠) ، وألف من المعاصرين الدكتور مصطفى زيد : النسخ في القرآن وغيره .

## المبحث الأول :

### الاستدلال بالسياق على وجود النسخ المحقق أو عدمه :

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مثال الاستدلال بالسياق على وجود النسخ المحقق .

المطلب الثاني : شروط القول بأن هذا ناسخ أو منسوخ ، وما الذي لا يدخله النسخ .

المطلب الثالث : أمثلة على ما لم تتحقق فيه شروط النسخ .

## المطلب الأول : مثال الاستدلال بالسياق على وجود النسخ المحقق :

في قوله - تعالى - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ لِكُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلِّ مَأْتَبٍ وَمَا تَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ أَقْرَبُونَ ﴾ [الأَنْفَال: ٦٥] قال أبو جعفر : " وهذه الآية ، أعني : قوله : ﴿ إِنَّ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَاعِدُونَ يَأْتُوا بِنُحُورِهِمْ فَيَقْضُوا وَحْدَهُم بِهَاجِلٍ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ ﴾ [الأَنْفَال: ٦٦] فلم يكن التخفيف إلا بعد التثقيب ، ولو كان ثبوت العشرة منهم للمائة من عدوهم كان غير فرض عليهم قبل التخفيف وكان ندباً ، لم يكن للتخفيف وجه ؛ لأن التخفيف إنما هو ترخيص في ترك الواحد من المسلمين الثبوت للعشرة من العدو ، وإذا لم يكن التشديد قد كان له متقدماً لم يكن للترخيص وجه ، إذ كان المفهوم من الترخيص إنما هو بعد التشديد ، وإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن حكم قوله : ﴿ إِنَّ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَاعِدُونَ يَأْتُوا بِنُحُورِهِمْ فَيَقْضُوا وَحْدَهُم بِهَاجِلٍ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ ﴾ [الأَنْفَال: ٦٦] ناسخ لحكم قوله : ﴿ إِنَّ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَاعِدُونَ يَأْتُوا بِنُحُورِهِمْ فَيَقْضُوا وَحْدَهُم بِهَاجِلٍ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> .

فمن قال : بأن الآية الأولى على وجه الندب لا الفرض ، فإن السياق يدفع ذلك ويضعفه ؛ لقوله - تعالى - ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ ﴾ والتخفيف مقابل الإيجاب ، وهذا يدل على نسخ الأولى بالثانية ، وقد يكون الخلاف لفظياً إذ من العلماء من يعتبر التخفيف نسخاً ، ومنهم من لا يعتبره ، والمراد أن الحكم في الآية الأولى تغيير من وجوب مصابرة المجاهد لعشرة من الكفار ، إلى وجوب مصابرتهم لاثنتين منهم ، وتحرير محل النزاع هو: هل يعتبر التخفيف نسخاً أم لا ؟ قال الشوكاني - رحمه الله : " وقد اختلف أهل العلم : هل هذا التخفيف نسخ أم لا ؟ . ولا يتعلق بذلك كثير فائدة . " <sup>(٢)</sup>

(١) جامع البيان (٢٨٥/٦) ، وتحقيق شاکر (٥٦/١٤) . وانظر بقية المواضع في : البقرة (١٨٤-١٨٥) ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ لِكُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلِّ مَأْتَبٍ وَمَا تَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ أَقْرَبُونَ ﴾

كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴿الْأَيْتِينَ جامع البيان (١٤٥/٢) -

(١٤٦) ، والتوبة (١٢٠) ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَبِيِّهِ ﴾

الآية جامع البيان (٥١١/٦-٥١٢) .

(٢) فتح القدير (٣٢٤/٢) .

## المطلب الثاني:

### شروط القول بأن هذا ناسخ أو منسوخ، وما الذي لا يدخله النسخ:

إذا تأملت الآيات التي قيل فيها بالنسخ ، تجد الإمام الطبري -رحمه الله- يذكر عندها شروط

النسخ : ويمكن حصرها فيما يلي :

١- إذا كان أحد حكم الآيتين نافياً لحكم غيرها بكل معانيه ، حتى لا يجوز اجتماع الحكم بالأمرين

جميعاً على صحته بوجه من الوجوه .

٢- إذا كان في ظاهر التنزيل دليل على نسخ إحدى الآيتين الأخرى .

٣- إذا ورد عن رسول الله -ﷺ- خبر يصح بأن أحدهما ناسخ لصاحبه .

٤- إذا حصل من المسلمين إجماع على وقوع النسخ .<sup>(١)</sup>

٥- إذا عرف المتقدم من المتأخر في تاريخ النزول .<sup>(٢)</sup>

٦- إذا كانت الآية لا تشتمل على خبر ؛ لأن الأخبار لا تنسخ .<sup>(٣)</sup>

(١) انظر جامع البيان (٥١٦/٤) بتصرف .

(٢) انظر جامع البيان (٣١٨/١٠) عند الآية (٥٢) من سورة الأحزاب ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدِ﴾ الآية .

(٣) انظر الآية (٣٣) من الأنفال ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ جامع البيان

(٢٣٧/٦) ، والآية (٢٣) من النبأ ﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ جامع البيان (٤٠٥/١٢) .

## المطلب الثالث : أمثلة على ما لم تتحقق فيه بعض شروط النسخ :

١- مثال على اشتراط أن يكون في إحدى الآيتين ما يتناقض مع الآية الأخرى، ولا يحتمل معنى آخر : ففي قوله - تعالى - ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبَدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحْسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨٤﴾﴾ [البقرة: ٢٨٤] قال - رحمه الله - بعد ذكر الأقوال : "... وأولى الأقوال التي ذكرناها بتأويل الآية : قول من قال : إنها محكمة وليست منسوخة ؛ وذلك أن النسخ لا يكون في حكم إلا بنفيه بآخر هو له ناف من كل وجوهه ، وليس في قوله - جلَّ وعزَّ - : ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] نفي الحكم الذي أعلم عباده بقوله : ﴿أَوْ تُخَفُّوهُ يَحْسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ ؛ لأن المحاسبة ليست بموجبة عقوبة ، ولا مؤاخذة بما حوسب عليه العبد من ذنوبه ، وقد أخبر الله - عزَّ وجلَّ - عن المجرمين أنهم حين تُعرض عليهم كتب أعمالهم يوم القيامة ، يقولون : ﴿يَوَيْلٌ لَّنَا مَالٌ هَذَا الَّذِي كَتَبْنَا لَهُمْ مِنْ قَدَمِ نَبِيِّ أَنذَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَفَلَا لَدُنْهُمْ حِسَابٌ﴾ [الكهف: ٤٩] فأخبر أن كتبهم محصية عليهم صغائر أعمالهم وكبائرها ، فلم تكن الكتب - وإن أحصت صغائر الذنوب وكبائرها - بموجب إحصائها على أهل الإيمان بالله ورسوله وأهل الطاعة له ، أن يكونوا بكل ما أحصته الكتب من الذنوب معاقبين ؛ لأن الله - عزَّ وجلَّ - وعدهم العفو عن الصغائر باجتناهم الكبائر ، فقال في تنزيله : ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلَنَا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١] فذلك محاسبة الله عباده المؤمنين بما هو محاسبهم به من الأمور التي أخفتها أنفسهم غير موجب لهم منه عقوبة ، بل محاسبته إياهم - إن شاء الله - عليها ليعرفهم تفضله عليهم بعفوه لهم عنها ، كما بلغنا عن رسول الله - ﷺ - [أنه] ... قال : «يُدْنِي اللَّهُ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ ، فَيَقْرُرُهُ بِسَيِّئَاتِهِ يَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُ ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ ، فَيَقُولُ : سَتَرْتَهَا فِي الدُّنْيَا وَأَغْفِرُهَا الْيَوْمَ ، ثُمَّ يُظْهِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ ، فَيَقُولُ : ﴿هَاقُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ﴾ [الحاقة: ١٩] أو كما قال : «وَأَمَّا

الكَافِرُ فَإِنَّهُ يُنَادَى بِهِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ» . (١)

فهذا المثال يبين أن النظر إلى الآيات التي ظاهرها التعارض بعين التأمل في حكمها هل يلزم منهما تضاد وتناقض ؟ ، فإن لزم ذلك فشرعية الله - عز وجل - ليست كذلك حتماً ، فلا بد من حمله على النسخ بشروطه ، أما إذا وجد للآية محمل يسلم من تعارضهما ، وهو معنى صحيح ، وجب حمل الآية عليه دون القول بالنسخ ؛ لأن حمل الآية على المعنى الصحيح الذي لا يتناقض مع الآية الأخرى أولى من حملها على النسخ . (٢)

٢- مثال على أن القول بتقدم هذه الآية أو تأخرها في النزول لا يثبت بالاجتهاد بل

بالنقل عن حضر التنزيل :

فالقول بتأخر نزول آية أو تقدمها بغير نقل مردود : كما في قوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَجْمَعُوا

اللَّهِ عُرْضَةً لِيَأْتِيَنَّكُمْ أَنْ تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٤] أورد الطبري

(١) جامع البيان (١٤٣/٣-١٤٥) ، وتحقيق شاكر (١١٨/٦) . والحديث رواه بنحوه : البخاري في كتاب التفسير في تفسير سورة هود باب قوله : ﴿ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا ﴾ صفحة (٩٧٧-٩٧٨) حديث (٤٦٨٥) ، ومسلم في كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ، قال الإمام مسلم : حدثنا زهير بن حرب ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن هشام الدستوائي ، عن قتادة به (٢١٢٠/٤) حديث (٢٧٦٨) .

(٢) وانظر مواضع أخرى لم يقل بالنسخ فيها لاحتمالها أو جها أخرى مع الآية التي قيل إنها ناسخة لها : في البقرة (١١٥) ﴿ وَلِلَّهِ الشَّرِيقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَنَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٥٥٢-٥٥١/١) ، و (٢١٥) ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٥٦/٢) ، و (٢١٩) ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آثِمٌ كَثِيرٌ مِنْ نَفْسِهِمَا ﴾ الآية جامع البيان (٣٧٩-٣٨٠) ، و (٢٢١) ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ وَلَا مُمْسِكَةٌ بِهَا مِنَ الْمُشْرِكَةِ وَتُؤْمِنَ وَأَعْتَبَتْكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٣٨٩-٣٩٠) ، والنساء (٨) ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ ﴿ جامع البيان (٦٠٧/٣) - (٦٠٨) ، والمائدة (٤٢) ﴿ سَتَجِدُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسَّخِيَةِ إِنْ جَاءَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ أَوْ أَعْرَضُوا عَنْهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٥٨٥/٤-٥٨٦) ، والأنعام (١٥٩) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا دِيَارَهُمْ وَكَانُوا يَشْعُرُونَ لَسْتَ مِنْهُمْ فِي مَعْرَفٍ ﴾ الآية جامع البيان (٤١٤/٥) - (٤١٥) ، والأحزاب (٥٢) ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِنْسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْ زَوْجِكِ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حَسَنُهَا إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ الآية جامع البيان (٣١٧/١٠-٣١٨) ، والمعارج (٥) ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَبِيلًا ﴾ ﴿ جامع البيان (٢٢٨/١٢) .



— رحمه الله — : رأي السدي في الآية وأنها نزلت قبل نزول الكفارات ، وأنه لا كفارة على حلف لذلك ، ثم قال الطبري — رحمه الله — : " وأما الذي ذكرنا عن السدي من أن هذه الآية نزلت قبل نزول كفارات الأيمان ، فقول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ، والخير عما كان لا تدرك صحته إلا بخير صادق ، وإلا كان دعوى لا يتعذر مثلها وخلافها على أحد . وغير محال أن تكون هذه الآية نزلت بعد بيان كفارات الأيمان في سورة المائدة ، واكتفي بذكرها هناك عن إعادتها هاهنا ، إذ كان المخاطبون بهذه الآية قد علموا الواجب من الكفارات في الأيمان التي يحنث فيها الحالف . " (١)

فبين — رحمه الله — : أن هذا لا مجال للرأي فيه ، فلا بد من دليل : إما من الكتاب الكريم ، أو من سنة نبي الله محمد - ﷺ - أو خير صادق عمن يقبل قوله ، وهم الصحابة الذين عاصروا وقائع التنزيل أو من نقل عنهم ، أما الاجتهاد فقد يوجد ما يخالفه ، ولا يفصل في الأمر ، ولا مانع من نزول هذه الآية بعد بيان الكفارات في سورة المائدة ؛ لأنه لا يلزم إعادة الكفارة في كل موضع متعلق باليمين لعلم المخاطبين بها ، وذلك لأنهم يعلمونها في آيات سابقة ، كما قال تعالى في المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۗ ﴾ [المائدة: ١] وقال في التحريم : ﴿ قَدْ فَضَّ اللَّهُ لَكُمْ تُحُلَةَ أَيْمَانِكُمْ وَأَلَّهَ مَوْلَانِكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۗ ﴾ [التحريم: ٢] .

٣- مثال على أن المقصود بالتقدم في النسخ والمنسوخ هو في نزول القرآن ، لا في ترتيب الآية من السورة ، فلا يلزم من تأخر الآية في السورة الواحدة نسخها بما تقدمها ، حيث تقدم من شروط النسخ السابقة معرفة المتأخر من المتقدم في التاريخ ، ولا يصح الاستدلال بتقدم ترتيب الآية في السورة والقرآن أو بتأخرها ، إذ أن ترتيب القرآن توقيفي ، فقد تنزل آية مدنية وتوضع في سورة مكية والعكس ، وليس ترتيب القرآن حسب تاريخ نزوله ، وإلا لكان أول القرآن : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١-٥] ، وآخره — على الصحيح — : ﴿ وَأَنْقَضُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فَبِإِذْنِ اللَّهِ تَوَفَّتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۗ ﴾ [البقرة: ٢٨١] .

(١) جامع البيان (٢/٤١٦) ، وتحقيق شاكر (٤/٤٢١-٤٢٦) .

ومن الأمثلة على أن الآية المتقدمة محلاً في ترتيب السورة ، لا تنسخ بالمتأخرة من أجل ذلك، قوله - تعالى - : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضًا فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِيَ أَمْنَتَهُ وَيُلْزِقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٣] قال - رحمه الله - في الآية التي قبلها عند قوله - تعالى - : ﴿ وَيَكْتُبُ بَيْنَكُمْ كَاتِبًا بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]: " وقد اختلف أهل العلم في وجوب الكتاب على الكاتب إذا استكتب... ذكر من قال : هي منسوخة : قد ذكرنا جماعة ممن قال : كل ما في هذه الآية من الأمر بالكتابة والإشهاد والرهن منسوخ بالآية التي في آخرها... وقال آخرون : هو على الوجوب ، ولكنه واجب على الكاتب في حال فراغه... "

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا : أن الله - عز وجل - أمر المتدائنين إلى أجل مسمى باكتتاب كُتُبُ الدين بينهم ، وأمر الكاتب أن يكتب ذلك بينهم بالعدل ، وأمر الله فرض لازم ، إلا أن تقوم حجة بأنه إرشاد وندب ، ولا دلالة تدل على أن أمره - جل ثناؤه - باكتتاب الكتب في ذلك ، وأن تقدمه إلى الكاتب أن لا يأبى كتابة ذلك ندب وإرشاد ، فذلك فرض عليهم لا يسعهم تضييعه ، ومن ضيعه منهم كان حرجاً بتضييعه ، ولا وجه لاعتلال من اعتل بأن الأمر بذلك منسوخ بقوله : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِيَ أَمْنَتَهُ ﴾ ؛ لأن ذلك إنما أذن الله - تعالى - ذكره - به حيث لا سبيل إلى الكتاب ، أو إلى الكاتب ، فأما الكتاب والكاتب موجودان ، فالفرض إذا كان الدين إلى أجل مسمى ما أمر الله - تعالى - ذكره - به في قوله : ﴿ فَاتَّكُتُبُوهُ وَيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبًا بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ، وإنما يكون الناسخ ما لم يجز اجتماع حكمه وحكم المنسوخ في حال واحدة ، على السبيل التي قد بينها ، فأما ما كان أحدهما غير ناف حكم الآخر ، فليس من الناسخ والمنسوخ في شيء ، ولو وجب أن يكون قوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضًا فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِيَ أَمْنَتَهُ ﴾ ناسخاً قوله : ﴿ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ لِغَيْرِكُمْ فَأَتُوا مِنْهُم مَقْبُوضًا ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ، لوجب أن يكون قوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [المائدة: ٦] ناسخاً الوضوء بالماء في الحضر عند وجود الماء فيه ، وفي السفر الذي فرضه الله - عز وجل - بقوله :



## المبحث الثاني :

### الاستدلال بالسياق على عدم وجود النسخ :

وذلك في مطلبين :

المطلب الأول : تغاير التعقيب القرآني على حكمين قد يدل على عدم النسخ ؛ لأن معنى حكم

الأول ليس هو معنى حكم الثاني نفسه .

المطلب الثاني : اختلاف المخاطب أو المقصود بالخطاب في حكمي آيتين دليل على عدم النسخ؛

لصحة المعنى .

## المطلب الأول :

تغاير التعقيب القرآني على حكمين قد يدل على عدم النسخ ؛ لأن معنى حكم الأول ليس هو معنى حكم الثاني نفسه :

فقوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَّاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ لَّدُنِّيهِمْ مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ [الأنفال: ٧٢] قال -رحمه الله-: في قوله -تعالى-: " ﴿أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَّاءُ بَعْضٍ﴾ يقول : هاتان الفرقتان، يعني : المهاجرين والأنصار ، بعضهم أنصار بعض ، وأعوان على من سواهم من المشركين ، وأيديهم واحدة على من كفر بالله ، وبعضهم إخوان لبعض دون أقربائهم الكفار ، وقد قيل : إنما عنى بذلك أن بعضهم أولى بميراث بعض ، وأن الله ورث بعضهم من بعض بالهجرة والنصرة دون القرابة والأرحام ، وأن الله نسخ ذلك بعدُ بقوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥] " (١) .

ثم استدل على ضعف القول بالنسخ بالتعقيب في قوله - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ [الأنفال: ٧٤] فقال -رحمه الله- : " وهذه الآية تنبئ عن صحة ما قلنا إن معنى قول الله : ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَّاءُ بَعْضٍ ﴾ في هذه الآية ، وقوله : ﴿ مَا لَكُم مِّنْ لَّدُنِّيهِمْ مِّنْ شَيْءٍ ﴾ إنما هو النصرة والمعونة دون الميراث ؛ لأنه -جل ثناؤه- عقب ذلك بالثناء على المهاجرين والأنصار ، والخبر عما لهم عنده دون من لم يهاجر بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا ﴾ الآية ، ولو كان مراداً بالآيات قبل ذلك الدلالة على حكم ميراثهم لم يكن عقيب ذلك إلا الحث على إمضاء الميراث على ما أمر ، وفي صحة ذلك كذلك

(١) جامع البيان (٦/٢٩٧) ، وتحقيق شاكر (١٤/٧٧) .

الدليل الواضح على أن لا ناسخ في هذه الآيات لشيء ولا منسوخ. <sup>(١)</sup> فالتعقيب في سورة الأنفال بوصف الذين آووا ونصروا بقوله - تعالى - : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ يدل على أن الإيواء في الآية بمعنى النصرة لا الميراث ، وقد كانت طريقة التعقيب القرآني على الموارد في سورة النساء تختلف عن ذلك ، فقد كان التعقيب على الفرائض بوجوب تطبيق حدود الله ، والحذر من عقاب الله ، ونحو ذلك ، كما قال - تعالى - : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٣) وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ [النساء: ١٣ - ١٤].

ومن هنا فعلى المفسر المتابعة الدقيقة لتعقيبات القرآن وتوجيهاته بعد كل حدث وخبر وحكم؛ لما لها من توضيح المراد .

(١) جامع البيان (٦/٢٩٩)، وتحقيق شاكر (١٤/٨٨).

## المطلب الثاني :

### اختلاف المخاطب أو المقصود بالخطاب قد يدلّ على عدم النسخ لصحة المعنى:

قد يقال : إن حكم الآية في سورة ناسخ لحكم الآية من سورة أخرى ، ولكن حين تتأمل سياق الآيتين في موضعهما من كل سورة يترجح لديك أن هذه الآية لها حكم غير حكم الآية الأخرى ؛ لاختلاف المخاطب أو المقصود بالخطاب ، ومن ثمّ لا يوجد نسخ بينهما ؛ لصحة معنييهما ، وعدم تطابقهما في هذه الجزئية من موضوع واحد .

كما في قوله - تعالى - : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِحْ لَهُ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال:

٦١] فقد أورد - رحمه الله - : قول قتادة : بأن هذه الآية نسخها قوله : ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥] ثم قال أبو جعفر : " فأما ما قاله قتادة ، ومن قال مثل قوله : من أن هذه الآية منسوخة ، فقول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل ، وقد دللنا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره على أن الناسخ لا يكون إلا ما نفى حكم المنسوخ من كلّ وجه ، فأما ما كان بخلاف ذلك فغير كائن ناسخاً . وقول الله في براءة : ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ غير ناف حكمه حكم قوله : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِحْ لَهُ ﴾ ؛ لأن قوله : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ ﴾ إنّما عني به بنو قريظة ، وكانوا يهوداً أهل كتاب ، وقد أذن الله - جلّ ثناؤه - للمؤمنين بصلح أهل الكتاب ، ومطاركتهم الحرب على أخذ الجزية منهم . وأما قوله : ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ فإنما عني به مشركو العرب من عبدة الأوثان ، الذين لا يجوز قبول الجزية منهم ، فليس في إحدى الآيتين نفي حكم الأخرى ، بل كل واحدة منهما محكمة فيما أنزلت فيه . " (١)

فلما كان خطاب الآيتين في حكم الهدنة مع الكفار لفريقين مختلفين ، واحد منها لأهل الكتاب ، والآخر لمشركي العرب ، لم يصحّ القول بنسخ إحدى الآيتين للأخرى ؛ لاختلاف المحلّ .

(١) جامع البيان (٦/٢٧٨-٢٧٩) ، وتحقيق شاكر (٤١/١٤) .

وأما القول بنزول قوله : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ في بني قريظة ، فضعفه ابن كثير -رحمه الله- معللاً بأن السياق في سورة الأنفال كله في وقعة بدر.

وضَعَّف أيضاً قول من قال : إن هذه الآية منسوخة بآية السيف في براءة : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [التوبة: ٢٩] معللاً بأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك ، فأما إن كان العدو كثيفاً فإنه يجوز مهادنتهم كما دلَّت عليه هذه الآية ، وكما فعل النبي -ﷺ- يوم الحديبية ، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص .<sup>(١)</sup>

هذا ما تيسر تحقيقه في النسخ مما يصح إلحاقه بآثار السياق ، وعسى أن أكون موفقاً للصواب فيما تناولت من المواضع . -والله تعالى أعلم -.

(١) انظر تفسير القرآن العظيم (٢/٣٠٩) .



## الفصل الثامن

أثر دلالة السياق  
على وجود تقديم أو تأخير :

## الفصل الثامن :

### أثر دلالة السياق على وجود تقديم أو تأخير :

إن توارد الجمل تترى ، واحدة بعد أخرى ، قد يعنى في بعضها أحيانا التقديم أو التأخير ، وهذا فن دقيق لا يليق إلا بمن أوتي الحكمة وعلا فيها ، يقول ابن عباس - رضي الله عنهما- في معنى الحكمة من قوله - تعالى - : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩] بأنها : " المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه ، وأمثاله"<sup>(١)</sup>.

وسأعرض لأمثلة هذا الفصل من خلال المبحثين التاليين :

**المبحث الأول :** أسباب القول بالتقديم أو التأخير .

**المبحث الثاني :** قد يكون السياق محتماً للتقديم أو التأخير ، ولغيره .

(١) جامع البيان (٣/٨٩) ، وتحقيق شاکر (٥/٥٧٦) .

## المبحث الأول :

### أسباب القول بالتقديم أو التأخير :

وسأعرض للأسباب من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول : دفع توهم التناقض في فهم كلام الله العزيز .

المطلب الثاني : الأصل أن يكون الكلام على ترتيبه ، ولا يقال بتقديم أو تأخير إلا إذا لم يكن

للأقوال في تفسير الآية على ترتيبها وجه .

المطلب الثالث : إذا كانت الجملة فيها كلمتان تدل إحداها على الأخرى فيحسن التقديم والتأخير.

المطلب الرابع : لا بد من دليل على التقديم أو التأخير ولو حرفاً واحداً .

المطلب الخامس : القصة لها ترتيبها في الوقوع ، وسياقها في الآيات فيه تقديم وتأخير .

## المطلب الأول: دفع توهم التناقض في فهم كلام الله العزيز :

قال تعالى في بني إسرائيل : ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝﴾ [البقرة: ١٠٢] قال أبو جعفر : "ولبئس ما باع به نفسه من تعلم السحر لو كان يعلم سوء عاقبته... فإن قال لنا قائل : وكيف قال -جلّ ثناؤه- : ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ وقد قال قَبْلُ : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ فكيف يكونون عالمين بأن من تعلم السحر فلا خلاق لهم ، وهم يجهلون أنهم بئس ما شروا بالسحر أنفسهم ؟ قيل : إن معنى ذلك على غير الوجه الذي توهمته ، من أنهم موصوفون بالجهل بما هم موصوفون بالعلم به ، ولكن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم ، وإنما معنى الكلام : وما هم ضارّون به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرّهم ولا ينفعهم ، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ، ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق . فقوله : ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ذمّ من الله -تعالى ذكّره- فعل المتعلمين من الملكين التفريق بين المرء وزوجه ، وخير منه -جلّ ثناؤه- عنهم أنهم بئس ما شروا به أنفسهم برضاهم بالسحر عوضاً عن دينهم الذي به نجاة أنفسهم من الهلكة ، جهلاً منهم بسوء عاقبة فعلهم ، وخسارة صفقة بيعهم ، إذ كان قد يتعلم ذلك منهما من لا يعرف الله ، ولا يعرف حلاله وحرامه ، وأمره ونهيّه . ثم عاد إلى الفريق الذين أخبر الله عنهم أنهم : نبذوا كتابه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، وآتبعوا ما تَتَلَوُ الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ، وما أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ، فأخبر عنهم أنهم : قد علموا أن من اشترى السحر ما له في الآخرة من خلاق ، ووصفهم بأنهم يركبون معاصي الله على علم منهم بها ، ويكفرون بالله ورسله ، ويؤثرون اتباع الشياطين ، والعمل بما أحدثته من السحر على العمل بكتابه ووحيه وتنزيله ، عناداً منهم وبغياً على رسله ، وتعدياً منهم لحدوده ، على معرفة منهم بما لمن فعل ذلك عند الله من العقاب والعذاب..." (١)

(١) جامع البيان (٥١٢/١) ، وتحقيق شاکر (٤٥٥/٢) .

فحمل -رحمه الله- عدم العلم المنفي في الآية على حكم تعلم السحر أنه في غير اليهود ، وحمل الذم على فعل السحر مع العلم بحكمه وأنه لا نصيب له في الآخرة على اليهود ، ويلزم من ذلك إثبات تقديم وتأخير حتى لا يفهم كلام الله على معنى متناقض .

أما إذا لزم من القول بالتقديم أو التأخير لوازم باطلة فلا يُقال به :

فالإمام الطبري -رحمه الله- يهتم بلوازم المعاني التابعة لها ، فإن كانت باطلة بالضرورة يكون القول باطلا : كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨] قال -رحمه الله- : " يقول -تعالى ذكره- لنبيه محمد -ﷺ- : - وإذا كنت يا محمد قارئاً القرآن ، فاستعد بالله من الشيطان الرجيم . وكان بعض أهل العربية يزعم أنه من المؤخر الذي معناه التقديم . وكأن معنى الكلام عنده : وإذا استعدت بالله من الشيطان الرجيم ، فاقرأ القرآن . ولا وجه لما قال من ذلك ؛ لأن ذلك لو كان كذلك لكان متى استعاذ مستعيذ من الشيطان الرجيم لزمه أن يقرأ القرآن ، ولكن معناه ما وصفناه . وليس قوله : ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ بالأمر اللازم ، وإنما هو إعلام وندب ، وذلك أنه لا خلاف بين الجميع : أن من قرأ القرآن ولم يستعد بالله من الشيطان الرجيم قبل قراءته أو بعدها أنه لم يضيع فرضاً واجباً . " (١)

فلما كان القول بالتقديم والتأخير يلزم منه معنى باطل : وهو وجوب قراءة القرآن على كل مستعيذ ولو لم يرد القراءة ، فهو دليل قاطع على أن القول باطل أيضاً .

(١) جامع البيان (٧/٦٤٤) .

## المطلب الثاني :

الأصل أن يكون الكلام على ترتيبه ، ولا يقال بتقديم أو تأخير إلا إذا لم يكن للأقوال في تفسير الآية على ترتيبها وجه :

فلا بأس بالقول بالتقديم والتأخير إذا لم يكن للأقوال في تفسير الآية وجه : ففي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ وَلَوِ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣] قال - رحمه الله - : "...اختلف أهل التأويل في القليل الذين استثناهم في هذه الآية من هم ؟ ومن أي شيء من الصفات استثناهم ؟ فقال بعضهم : هم المستنبطون من أولي الأمر ، استثناهم من قوله : ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ ونفى عنهم أن يعلموا بالاستنباط ما يعلم به غيرهم من المستنبطين من الخير الوارد عليهم من الأمن أو الخوف... وقال آخرون : بل هم الطائفة الذين وصفهم الله أنهم يقولون لرسول الله - ﷺ - طاعة ، فإذا برزوا من عنده بيتوا غير الذي قالوا . ومعنى الكلام : وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به إلا قليلاً منهم... وقال آخرون : بل ذلك استثناء من قوله : ﴿ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ ﴾ وقالوا: الذين استثنوا هم قوم لم يكونوا هموا بما كان الآخرون هموا به من اتباع الشيطان ، فعرف الله الذين أنقذهم من ذلك موقع نعمته منهم ، واستثنى الآخرين الذين لم يكن منهم في ذلك ما كان من الآخرين... وقال آخرون : معنى ذلك : ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان جميعاً ، قالوا : وقوله : ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ خرج مخرج الاستثناء في اللفظ ، وهو دليل على الجميع والإحاطة ، وأنه لولا فضل الله عليهم ورحمته لم ينج أحد من الضلالة ، فجعل قوله : ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ دليلاً على الإحاطة..."

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي : قول من قال : عنى باستثناء القليل من الإذاعة ، وقال : معنى الكلام : وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به إلا قليلاً ، ولو ردّوه إلى الرسول . وإنما قلنا : إن ذلك أولى بالصواب ؛ لأنه لا يخلو القول في ذلك من أحد الأقوال التي ذكرنا ، وغير جائز أن يكون من قوله : ﴿ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ ﴾ ؛ لأن من تفضل الله عليه

بفضله ورحمته فغير جائز أن يكون من تُبَاع الشيطان ، وغير جائز أن نحمل معاني كتاب الله على غير الأغلب المفهوم بالظاهر من الخطاب في كلام العرب ، ولنا إلى حمل ذلك على الأغلب من كلام العرب سبيل ، فنوجهه إلى المعنى الذي وجهه إليه القائلون معنى ذلك : لا تبغتم الشيطان جميعاً ، ثم زعم أن قوله : ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾ دليل على الإحاطة بالجميع . هذا مع خروجه من تأويل أهل التأويل ، وكذلك لا وجه لتوجيه ذلك إلى الاستثناء من قوله : ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ ؛ لأن علم ذلك إذا ردّ إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم ، فبينه رسول الله - ﷺ - وأولوا الأمر منهم بعد وضوحه لهم ، استوى في علم ذلك كل مستنبط حقيقته ، فلا وجه لاستثناء بعض المستنبطين منهم وخصوص بعضهم بعلمه مع استواء جميعهم في علمه ، وإذا كان لا قول في ذلك إلا ما قلنا ، ودخل هذه الأقوال الثلاثة ما بينا من الخلل ، فبيّن أن الصحيح من القول في ذلك هو الرابع ، وهو القول الذي قضينا له بالصواب من الاستثناء من الإذاعة . " (١)

فالآية على معناها الراجح يكون ترتيب الجمل فيها هكذا : ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ وسبب الحمل على ذلك : أن الأقوال المحتملة في هذه الآية لا تسلم من اعتراض ، وهذا أسلمها حين أعملنا التقديم والتأخير . -والله أعلم- . (٢)

(١) جامع البيان (٤/١٨٦) ، وتحقيق شاکر (٨/٥٧٤) .

(٢) انظر شرح الكوكب المنير (٣/٣١٥-٣١٧) .

### المطلب الثالث :

إذا كانت الجملة فيها كلمتان تدل إحداها على الأخرى فيحسن التقديم والتأخير:

إذا كان لقارئ كتاب الله عز وجل تأمل وملاحظة ، فإن هناك مواضع متعددة يقدم في جملها وكلماتها ويؤخر ، ومن حكمة ذلك : أن يكون في معنى إحدى الكلمتين من التقارب ما يدل على معنى الأخرى .

ومن ذلك ما ذكره الإمام الطبري - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ [النجم: ٨] قال - رحمه الله - : " يقول - تعالى ذكره - : ثم دنا جبريل من محمد - ﷺ - فتدلى إليه ، وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم ، وإنما هو : ثم تدلى فدنا ، ولكنه حسن تقديم قوله : ﴿ دَنَا ﴾ ، إذ كان الدنو يدل على التدلي ، والتدلي على الدنو ، كما يقال : زارني فلان فأحسن ، وأحسن إليّ فزاري ، وشتمني فأساء ، وأساء فشتمني ؛ لأن الإساءة: هي الشتم، والشتم : هو الإساءة . " (١)

فأوضح من هذا أن المقدم والمؤخر إذا كانا كلمتين ؛ فإن تقديم إحداها على الأخرى لتلازم معناه ، ودلالة كل منهما على الآخر حسن .

(١) جامع البيان (٥٠٦/١١-٥٠٧) . وانظر نحوه في : سورة إبراهيم (٤٧) ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفَ وَعْدِهِ . رُسُلُهُ إِنَّا اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ [٧] جامع البيان (٤٧٨/٧) ، وقريب منه في النور (٢٧) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا ﴾ الآية جامع البيان (٢٩٧/٩-٢٩٩) .



## المطلب الرابع : لا بد من دليل على التقديم أو التأخير ولو حرفاً واحداً:

إذا كان في القرآن تقديم وتأخير في بعض المواضع فإن القول بذلك لا بد فيه من دليل يثبت التقديم والتأخير :

١- مثال دلالة حرف الواو على التقديم أو التأخير : في قوله تعالى : ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلْهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠] قال أبو جعفر : " يعني بذلك -تعالى ذكره- : وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء نداؤها بين الناس ، ولو لم يكن في الكلام واو لكان قوله : ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ متصلاً بما قبله ، وكان : وتلك الأيام نداؤها بين الناس ليعلم الله الذين آمنوا . ولكن لما دخلت الواو فيه آذنت بأن الكلام متصل بما قبلها ، وأن بعدها خيراً مطلوباً ، واللام التي في قوله : ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ به متعلقة . " (١) فالواو في قوله : ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ متصلة بالمداولة وهي كخبر المبتدأ في قوله : ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ﴾ فالمعنى فيه تقديم وتأخير ؛ لذلك .

٢- مثال دلالة حرف الفاء على عدم التقديم أو التأخير : في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيَّ يَوْسُفَ عَاوِجَ إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِينَ﴾ [يوسف: ٩٩] قال أبو جعفر : يقول -جلّ ثناؤه- : فلما دخل يعقوب وولده وأهلهم على يوسف ، ﴿عَاوِجَ إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ﴾ يقول : ضمّ إليه أبويه ، فقال لهم : ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِينَ﴾ .

فإن قال قائل : وكيف قال لهم يوسف : ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِينَ﴾ بعد ما دخلوها ، وقد أخبر الله -عزّ وجلّ- عنهم أنهم لما دخلوها على يوسف وضمّ إليه أبويه قال لهم هذا القول ؟ قيل : قد اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم [كالسدي] : إن يعقوب إنما دخل على يوسف هو وولده ، وآوى يوسف أبويه إليه قبل دخول مصر ، قالوا : وذلك أن يوسف تلقى أباه تكرمة له قبل

(١) جامع البيان (٣/٤٥٠) ، وتحقيق شاکر (٢٤١/٧) .

أن يدخل مصر ، فأواه إليه ، ثم قال له ولمن معه : ﴿ **أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ** ﴾ بها قبل الدخول... وقال آخرون [كابن جريج<sup>(١)</sup>] : بل قوله : ﴿ **إِنْ شَاءَ اللَّهُ** ﴾ استثناء من قول يعقوب لبيه : ﴿ **أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي** ﴾ [يوسف: ٩٨] قال : وهو من المؤخر الذي معناه التقديم ، قالوا : وإنما معنى الكلام : قال : أستغفر لكم ربي إن شاء الله إنه هو الغفور الرحيم ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَىٰ أَبِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ وَرَفَعَ أَبُوهِ... عن ابن جريج: قَالَ : سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ، وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن .

قال أبو جعفر : يعني ابن جريج: "وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن" ، أنه قد دخل بين قوله : ﴿ **سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي** ﴾ وبين قوله : ﴿ **إِنْ شَاءَ اللَّهُ** ﴾ من الكلام ما قد دخل ، وموضعه عنده أن يكون عقيب قوله : ﴿ **سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي** ﴾ .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا : ما قاله السدي ، وهو أن يوسف قال ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم قبل دخولهم مصر حين تلقاهم ؛ لأن ذلك في ظاهر التنزيل كذلك ، فلا دلالة تدل على صحة ما قال ابن جريج، ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلا بحجة واضحة .<sup>(٢)</sup>

فالقول بالتقديم أو التأخير ليس هو الأولى ، بل إنما يصار إليه إذا لم يكن للكلام على ظاهره وجه صحيح مفهوم ، فلم يقبل ابن جرير القول بالتقديم أو التأخير من غير دليل ، بل رجح أن الأولى للكلام أن يحمل على الظاهر ، وهو الترتيب ، دون زعزعة له بدون حجة ولا برهان ، وتبين بهذا المثال أنه لا يصح حمل معنى الآية على التقديم والتأخير إذا كان للكلام على ترتيبه وجه صحيح . وفي قوله تعالى : ﴿ **فَجَمَلَهُ غَتَاءَ أَخْوَىٰ** ﴾ [الأعلى: ٥] قال -رحمه الله- : "يقول -تعالى- ذكروه- :

(١) هو أبو الوليد ، أو أبو خالد ، عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي الأموي ، مولاهم المكي ، ولد سنة ثمانين ، من تابعي التابعين ، فقيه الحرم ، عالم الحجاز ، أول من صنف التصانيف في العلم ، توفي سنة خمسين ومائة ، وقيل : غير ذلك . انظر المعارف صفحة (٤٨٨) ، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/٢٩٧) ، ووفيات الأعيان (٣/١٦٣) .

(٢) جامع البيان (٧/٣٠١-٣٠٢) .

فجعل ذلك المرعى غُثاءً ، وهو ما جفَّ من النبات وييس ، فطارت به الريح ، وإنما عُنِي به هاهنا : أنه جعله هشيمًا يابسًا متغيرًا إلى الحُوَّة ، وهي السواد ، من بعد البياض ، أو الخُضرة ، من شِدَّة اليبس... وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى : أن ذلك من المؤخَّر الذي معناه التقديم ، وأن معنى الكلام : والذي أخرج المرعى أحوى : أي أخضر إلى السواد ، فجعله غثاء بعد ذلك... وهذا القول وإن كان غير مدفوع أن يكون ما اشتدَّت خضرته من النبات قد تسميه العرب أسود ، غير صواب عندي بخلافه تأويل أهل التأويل ، في أن الحرف إنما يحتال لمعناه المخرج بالتقديم والتأخير إذا لم يكن له وجه مفهوم إلاّ بتقدمه عن موضعه أو تأخيره ، فأما وله في موضعه وجه صحيح فلا وجه لطلب الاحتيال لمعناه بالتقديم والتأخير .<sup>(١)</sup>

فالتقديم والتأخير مخرج لفهم الكلام على وجهه بعد تعذر فهمه على ترتيبه .

٣- أما حرف العطف "ثم" فإن معناه الأصلي الترتيب بين الجمل ، إلا إذا لم يكن للكلام على معناها الأصلي وجه مفهوم صحيح : فلا يقال بتغيير معاني الحروف المرتبة مثل "ثم" أو تعطيل معانيها إلا لسبب قوي ، كل ذلك تضيقاً للقول بالتقديم والتأخير .

وأذكر على ذلك مثالين متقابلين :

أحدهما : يرجح أنهما على معناها الأصلي ، والآخر على خلافه :

أ- مثال على ترجيح حمل (ثم) على معناها الأصلي وهو الترتيب : في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: ١١] قال أبو جعفر : " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : تأويل ذلك : وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ في ظهر آدم أيها الناس ، ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ في أرحام النساء خلقاً مخلوقاً ومثالاً ممثلاً في صورة آدم... وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولقد خلقناكم في أصلاب آبائكم ثم صورناكم في بطون أمهاتكم... وقال آخرون : بل معنى ذلك : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ يعني : آدم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ يعني : في ظهره... وقال آخرون : معنى ذلك : ولقد خلقناكم في بطون أمهاتكم ، ثم صورناكم فيها... "

(١) جامع البيان (١٢/٥٤٤) .

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ : ولقد خلقنا آدم ، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ بتصويرنا آدم ، كما قد بينا فيما مضى من خطاب العرب الرجل بالأفعال تضيفها إليه ، والمعنى في ذلك سلفه ، وكما قال -جل ثناؤه- لمن بين أظهر المؤمنين من اليهود على عهد رسول الله -ﷺ- : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣] وما أشبه ذلك من الخطاب الموجه إلى الحيّ الموجود والمراد به السلف المعدم ، فكذلك ذلك في قوله : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ معناه : ولقد خلقنا أباكم آدم ثم صورناه . وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب ؛ لأن الذي يتلو ذلك قوله : ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ ، ومعلوم أن الله -تبارك وتعالى- قد أمر الملائكة بالسجود لآدم ، قبل أن يصور ذريته في بطون أمهاتهم ، بل قبل أن يخلق أمهاتهم ، و«ثم» في كلام العرب لا تأتي إلا بإيدان انقطاع ما بعدها عما قبلها ، وذلك كقول القائل : " قمت ثم قعدت " ، لا يكون القعود إذ عطف به بـ"ثم" على قوله : " قمت " إلا بعد القيام ، وكذلك ذلك في جميع الكلام . ولو كان العطف في ذلك بالواو : جاز أن يكون الذي بعدها قد كان قبل الذي قبلها ، وذلك كقول القائل : " قمت وقعدت " ، فجائز أن يكون القعود في هذا الكلام قد كان قبل القيام ؛ لأن الواو تدخل في الكلام إذا كانت عطفاً ؛ لتوجب للذي بعدها من المعنى ما وجب للذي قبلها ، من غير دلالة منها بنفسها ، على أن ذلك كان في وقت واحد ، أو وقتين مختلفين ، أو إن كانا في وقتين : أيهما المتقدم وأيها المتأخر . فلما وصفنا قلنا إن قوله : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ لا يصح تأويله إلا على ما ذكرنا . فإن ظنّ ظان أن العرب إذ كانت ربما نطقت بـ"ثم" في موضع الواو في ضرورة شعر كما قال بعضهم :

سَأَلْتُ رَبِيعَةَ : مَنْ خَيْرُهَا      أبا ثُمَّ أُمًّا ؟ فَقَالَتْ : لِمَهْ !<sup>(١)</sup>

يعني : أبا وأُمًّا ، فإن ذلك جائز أن يكون نظيره ، فإن ذلك بخلاف ما ظنّ ، وذلك أن كتاب الله -جل ثناؤه- نزل بأفصح لغات العرب ، وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشاذ من لغاتها ،

(١) في تحقيق شاكر قال : لم أعرف قائل هذا البيت (٣٢٢/١٢) .

وله في الأفصح الأشهر معنى مفهوم ووجه معروف .<sup>(١)</sup>

فالقرآن الكريم لا يحمل على المعاني الشاذة ، استدلالاً بضرورة شعرية ؛ لنزوله على أفصح لغات العرب ولهجاتها ، ولا يعدل عن الأشهر إلى الشاذ إلا عند الضرورة إلى فهم الكلام على وجهه الصحيح .

ب- مثال على حمل " ثم " على غير الترتيب :

في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٩٩] قال أبو جعفر : " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، ومن المعنى بالأمر بالإفاضة من حيث أفاض الناس ؟ ، ومن الناس الذين أمروا بالإفاضة من موضع إفاضتهم ؟ : فقال بعضهم : المعنى بقوله : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا ﴾ قريش ، ومن ولدته قريش الذين كانوا يسمون في الجاهلية الحمس<sup>(٢)</sup> ، أمروا في الإسلام أن يفيضوا من عرفات ، وهي التي أفاض منها سائر الناس غير الحمس . وذلك أن قريشاً ومن ولدته قريش ، كانوا يقولون : لا نخرج من الحرم . فكانوا لا يشهدون موقف الناس بعرفة معهم ، فأمرهم الله بالوقوف معهم... وقال آخرون : [كالضحك] المخاطبون بقوله : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا ﴾ المسلمون كلهم ، والمعنى بقوله : ﴿ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ من جمع<sup>(٣)</sup> ، وبالناس إبراهيم خليل الرحمن -عليه السلام-...

قال أبو جعفر : والذي نراه صواباً من تأويل هذه الآية : أنه عني بهذه الآية قريش ومن كان متحمساً معها من سائر العرب ؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله . وإذا كان ذلك كذلك فتأويل الآية : فمن فرض فيهن الحج ، فلا رفت ولا فسوق ولا جدال في الحج ، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ، واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله . وهذا إذ كان

(١) جامع البيان (٥/٤٣٦-٤٣٨) ، وتحقيق شاکر (١٢/٣١٧) .

(٢) أصل معنى الحمس يطلق على : المتشدد الصلب في دينه ، ثم أطلقت على قريش وخزاعة ؛ لتزولها مكة ومجاورتها قريشاً ،

ومن أفعالهم عدم الخروج من الحرم إلى عرفات في الحج . انظر السيرة النبوية لابن هشام (١/٢١١-٢١٥) .

(٣) جمع : اسم لمزدلفة ، وهي المشعر الحرام .

ما وصفنا تأويله فهو من المقدم الذي معناه التأخير ، والمؤخر الذي معناه التقديم ، على نحو ما تقدم بياننا في مثله ، ولولا إجماع من وصفت إجماعه على أن ذلك تأويله . لقلت : أولى التأويلين بتأويل الآية ما قاله الضحك من أن الله عنى بقوله : ﴿ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ من حيث أفاض إبراهيم ؛ لأن الإفاضة من عرفات لا شك أنها قبل الإفاضة من جَمْع ، وقبل وجوب الذكر عند المشعر الحرام . وإذا كان ذلك لا شك كذلك ، وكان الله -عزّ وجلّ- إنما أمر بالإفاضة من الموضع الذي أفاض منه الناس ، بعد انقضاء ذكر الإفاضة من عرفات ، وبعد أمره بذكره عند المشعر الحرام ، ثم قال بعد ذلك : ﴿ ثُمَّ أَيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ كان معلوماً بذلك : أنه لم يأمر بالإفاضة إلا من الموضع الذي لم يفيضوا منه ، دون الموضع الذي قد أفاضوا منه ، وكان الموضع الذي قد أفاضوا منه فانقضى وقت الإفاضة منه ، لا وجه لأن يقال : أفض منه . فإذا كان لا وجه لذلك ، وكان غير جائز أن يأمر الله -جلّ وعزّ- بأمر لا معنى له ، كانت بيّنةً صحّةً ما قاله من التأويل في ذلك ، وفساد ما خالفه ، لولا الإجماع الذي وصفناه ، وتظاهر الأخبار بالذي ذكرنا عن حكيما قوله من أهل التأويل .<sup>(١)</sup>

فرجح -رحمه الله- ما أجمع عليه أهل التأويل : أن المقصود بالخطاب قريش ومن معها لا إبراهيم والمسلمين ، وعلى هذا القول لا تدل "ثم" على الترتيب ؛ ففي الكلام تقديم وتأخير ، والذي لجأه لذلك : إجماع أهل التأويل عليه ، مع أن للكلام تأويلاً آخر وهو حمل معنى الإفاضة في هذه الآية على الإفاضة من المشعر الحرام -مزدلفة- وله وجه مفهوم صحيح ، فلم يقل به طلباً لموافقة ما أجمع عليه أهل التأويل .<sup>(٢)</sup>

(١) جامع البيان (٢/٣٠٤-٣٠٧) ، وتحقيق شاكر (٤/١٨٤) . ومما دل السياق فيه على التقديم والتأخير وهو أكثر من حرف: قوله تعالى: ﴿ ضُمُّكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَزْمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨] جامع البيان (١/١٧٩-١٨٠) ، والمائدة (١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ جامع البيان (٤/٣٩١) .

(٢) قال ابن عاشور : الذي عليه جمهور المفسرين : أن "ثم" للتراخي الإخباري ؛ للترقي في الخبر ، وأن الإفاضة المأمور بها هنا هي عين الإفاضة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾ [البقرة: ١٩٨] ، وأن العطف بـ"ثم" للعودة إلى الكلام على تلك الإفاضة . فالمقصود من الأمر هو متعلق ﴿ أَيْضُوا ﴾ ، أي : قوله : ﴿ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ [البقرة: ١٩٩] ، إشارة إلى عرفات فيكون متضمناً الأمر بالوقوف بعرفة لا بغيرها ؛ إبطالاً لعمل قريش الذين كانوا يقفون يوم الحج الأكبر على (فَرْح) المسمى بجمع وبالمشعر الحرام فهو من المزدلفة ، وكان سائر العرب وغيرهم يقف بعرفات ، فيكون المراد بالناس في جمهورهم من عدا قريشاً . التحرير والتنوير (٢/٢٤٢) .

## المطلب الخامس :

### القصة لها ترتيبها في الوقوع ، وسياقها في الآيات فيه تقديم وتأخير :

أ- قد يكون التقديم والتأخير ظاهراً بيناً : كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٥] قال - رحمه الله - : " يقول -تعالى ذكره- : ورأيتهم يُعرضون عما دُعوا إليه وجوههم ، ﴿ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ يقول : وهم مستكبرون عن المصير إلى رسول الله -ﷺ- ليستغفر لهم ، وإنما عُنِي بهذه الآيات كلها فيما ذكر : عبدُ الله بن أبي ابن سلُول ، وذلك أنه قال لأصحابه : ﴿ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا ﴾ [المنافقون: ٧] <sup>(١)</sup> ، وقال : ﴿ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون: ٨] <sup>(٢)</sup> ، فسمع بذلك زيد بن أرقم <sup>(٣)</sup> ، فأخبر به رسول الله -ﷺ- ، فدعا رسول الله -ﷺ- ، فسأله عما أخبر عنه ، فحلف أنه ما قاله ، وقيل له : لو أتيت رسول الله -ﷺ- ، فسألته أن يستغفر لك ، فجعل يلوي رأسه ويحركه استهزاءً ، ويعني ذلك أنه غير فاعل ما أشاروا به عليه ، فأنزل الله -عزَّ وجلَّ- في هذه السورة من أولها إلى آخرها. <sup>(٤)</sup>"

(١) وهو ما حكى الله عنه في سورة المنافقون الآية (٧) .

(٢) وهو ما حكى الله عنه في سورة المنافقون الآية (٨) .

(٣) هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي ، كنيته : أبو عمرو ، وقيل غير ذلك ، من مشاهير الصحابة ، شهد مؤتة وغيرها ، له أحاديث ، ردّه النبي -ﷺ- يوم أحد ؛ لصغره ، وحضر سبع عشرة غزوة مع النبي -ﷺ- ، أخبره النبي -ﷺ- أن الله صدّقه في ما نقله عن أبي المنافق أنه قاله ، توفي بالكوفة ، سنة ست وستين ، وقيل ثمان وستين . انظر تهذيب الأسماء واللغات (١/١٩٩) ، وسير أعلام النبلاء (٣/١٦٥) ، والأعلام (٣/٩٥) .

(٤) جامع البيان (١٢/١٠٢) ، وقد روى نحوه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير سورة المنافقين باب : ﴿ اتَّخَذُوا آلِهِمْ

جُنَّةً ﴾ [المنافقون: ٢] رقم الحديث (٤٩٠١) صفحة (١٠٥٣) بإسناده عن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ -ﷺ- قَالَ : كُنْتُ مَعَ عَمِّي فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بِنِ سَلُولٍ يَقُولُ : لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَقَالَ أَيضًا : لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي فَذَكَرَ عَمِّي لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِلَيَّ =

والشاهد هنا أن قول المسلمين للمنافق: ﴿تَمَالَوْا يُسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ ، كان في القصة متأخراً عن قول المنافق ، وجاء في السورة متقدماً على قول المنافق: ﴿لَا تُفِئُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ وقوله: ﴿لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ .

ب- قد يكون التقديم والتأخير في القصة محتملاً: كما في قصة ملكة سبأ في قوله تعالى -: ﴿أَذْهَبَ بِكُنْيَتِي هَذَا فَالِقَهُ لِيهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النمل: ٢٨] قال رحمه الله -: " فاختلف أهل التأويل في تأويل ذلك [أي : هذه الآية] فقال بعضهم : معناه: اذهب بكناتي هذا فألقه إليهم ، فانظر ماذا يرجعون ، ثم تولى عنهم منصرفاً إليّ ، فقال : هو من المؤخر الذي معناه التقديم... قال أبو جعفر: فهذا القول... يدل على أن الهدهد تولى إلى سليمان راجعاً بعد إلقائه الكتاب، وأن نظره إلى المرأة ما الذي ترجع وتفعل ؟ كان قبل إلقائه كتاب سليمان إليها . وقال آخرون : بل معنى ذلك : اذهب بكناتي هذا فألقه إليهم ثم تولى عنهم ، فكن قريباً منهم ، وانظر ماذا يرجعون ، قالوا : وفعل الهدهد ، وسمع مراجعة المرأة أهل مملكتها ، وقولها لهم : ﴿إِنِّي أُلْقِي إِلَيْكَ كِتَابَ كَرِيمٍ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾ [النمل: ٢٩ - ٣٠] وما بعد ذلك من مراجعة بعضهم بعضاً .

وهذا القول أشبه بتأويل الآية ؛ لأن مراجعة المرأة قومه كانت بعد أن ألقى إليها الكتاب ، ولم يكن الهدهد أن ينصرف وقد أمر بأن ينظر إلى مراجعة القوم بينهم ، ما يتراجعونه قبل أن يفعل ما أمره به سليمان . " (١)

عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله - ﷺ - وكذبني ، فأصابني هم لم يصيبني مثله قط ، فجلست في بيتي فأنزل الله عز وجل - ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ [المنافقون: ١] إلى قوله: ﴿هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُفِئُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٧] إلى قوله: ﴿لِيُخْرِجَكُمُ الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨] فأرسل إلي رسول الله - ﷺ - فقرأها علي ، ثم قال : " إن الله قد صدقك " . ونحو هذا المثال في الأعراف (٧٩) ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُرُوا لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴿٧٩﴾﴾ جامع البيان (٥/٥٣٩-٥٤٠) .

(١) جامع البيان (٩/٥١٢) .



ففي هذه الآية: ﴿ أَذْهَبَ يَكْتَنِي هَكَذَا فَالْقَيْدُ لِتَيْمٍ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ [النمل: ٣٨] تقديم وتأخير محتتمل لأمرين:

الأول: إما أن يكون سليمان - ﷺ - أمر الهدهد بالرجوع إليه بعد إلقاء الكتاب وبعد حضور مشورة المرأة لقومها ، ويكون معنى التولي هنا : الرجوع إلى بلده .  
والثاني: أن يكون معنى التولي : البعد عنها مع سماع مشورتها .

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَتَأَيَّبُ الْمَلَأُ أَيَكُمِ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٣٨] قال - رحمه الله - : " اختلف أهل العلم في الحين الذي قال فيه سليمان : ﴿ يَتَأَيَّبُ الْمَلَأُ أَيَكُمِ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ : فقال بعضهم : قال ذلك حين أتاه الهدهد نبأ صاحبة سبأ ، وقال له : ﴿ وَحِثُّكَ مِنْ سَكِّ بِئْرِ يَقِينِ ﴾ [النمل: ٢٢] وأخبره أن لها عرشاً عظيماً ، فقال له سليمان - ﷺ - : ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [النمل: ٢٧] ، فكان اختباره صدقه من كذبه بأن قال لهؤلاء: أيكم يأتي بي بعرش هذه المرأة قبل أن يأتوني مسلمين . وقالوا إنما كتب سليمان الكتاب مع الهدهد إلى المرأة بعد ما صحَّ عنده صدق الهدهد بمجيء العالم بعرشها إليه على ما وصفه به الهدهد ، قالوا : ولولا ذلك كان محالاً أن يكتب معه كتاباً إلى من لا يدري ، هل هو في الدنيا أم لا ؟ قالوا : وأخرى : أنه لو كان كتب مع الهدهد كتاباً إلى المرأة قبل مجيء عرشها إليه ، وقبل علمه صدق الهدهد بذلك ، لم يكن لقوله له : ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ معنى ؛ لأنه لا يُلم بخبره الثاني من إبلاغه إياها الكتاب ، أو ترك إبلاغه إياها ذلك ، إلا نحو الذي علم بخبره الأوّل حين قال له : ﴿ وَحِثُّكَ مِنْ سَكِّ بِئْرِ يَقِينِ ﴾ قالوا : وإن لم يكن في الكتاب معهم امتحان صدقه من كذبه ، وكان محالاً أن يقول نبيّ الله قولاً لا معنى له ، وقد قال : ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ علم أن الذي امتحن به صدق الهدهد من كذبه : هو مصير عرش المرأة إليه ، على ما أخبره به الهدهد الشاهد على صدقه ، ثم كان الكتاب معه بعد ذلك إليها... وقال آخرون : بل إنما اختبر صدق الهدهد سليمان بالكتاب ، وإنما سأل من عنده إحضاره عرش المرأة بعد ما خرجت رُسُلها

من عنده ، وبعد أن أقبلت المرأة إليه... " (١)

وفي هذه الآية الأخرى :احتمال لأمرين أيضاً :

الأول : أن يكون أمر سليمان-ﷺ - بالإتيان بعرش المرأة قبل إرسال الكتاب ، فمن المتعين أن يعلم صدق الهدهد عن خبر هذه المملكة بإتيانه بالعرش ، لا بإرسال الكتاب .

والثاني : أن أمر سليمان - ﷺ - بالإتيان بالعرش كان بعد إرسال الكتاب وبعد مجيء رسلها .

وعلى هذا الاحتمال بين الآيتين ، يكون احتمال التقديم والتأخير في سرد القصة .

والله أعلم- .

(١) جامع البيان (٩/٥١٩-٥٢٠) .

## المبحث الثاني : السياق قد يكون محتملاً للتقديم أو التأخير ، ولغيره :

كثيراً ما يكون لمعنى الآيات أو جهةً متقاربة أو متعددة ، ولكل وجه منها استدلال من الآيات ، ومن أسباب احتمال التقديم أو التأخير : اختلاف القراءة ، أو احتمال الإعراب :  
المطلب الأول : مثال احتمال السياق للتقديم والتأخير بسبب اختلاف القراءة:

قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] قال - رحمه الله - : " القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ اختلفت القراءة في قراءة ذلك : فقرأه جماعة من قراء الحجاز والعراق : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ نصباً<sup>(١)</sup> . فتأويله : إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤوسكم . وإذا قرئ كذلك كان من المؤخر الذي معناه التقديم ، وتكون "الأرجل" منصوبة ، عطفاً على "الأيدي" . وتأويل قارئوا ذلك كذلك ، أن الله - جل ثناؤه - إنما أمر عباده بغسل الأرجل دون المسح بها . ذكر من قال : عنى الله بقوله : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ الغسل ... عن أبي عبد الرحمن<sup>(٢)</sup> ، قال : قرأ عليّ الحسن والحسين - رضوان الله عليهما - ، فقرأ : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ فسمع عليّ - ﷺ - ذلك ، وكان يقضي بين الناس ، فقال : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ ، هذا من المقدم والمؤخر من الكلام... عن السديّ ، قوله : ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ فيقول : اغسلوا وجوهكم ، واغسلوا أرجلكم ، وامسحوا برؤوسكم ، فهذا من التقديم والتأخير .

وقرأ ذلك آخرون من قراءة الحجاز والعراق : { وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ } بخفض الأرجل ، وتأويل قارئ ذلك كذلك ، أن الله إنما أمر عباده بمسح الأرجل في الوضوء دون غسلها ،

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب . إتحاف فضلاء البشر (١/٥٣٠) .

(٢) هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمى ، القارئ ، أبوه صحابي ، قرأ عبد الله على : عثمان وعلي وابن مسعود وغيرهم ، توفي سنة سبعين ، وقيل غير ذلك . انظر تهذيب التهذيب (٢/٣١٩) ، وتحقيق شاکر (١٠/٥٥٠) .

وجعل الأرجل عطفاً على الرأس ؛ وخفضوها لذلك .<sup>(١)</sup> فالقراءة إذا كان فيها اختلاف في الإعراب والعطف ، فإنه يترتب على ذلك اختلاف في مبنى الكلام وترتيبه ، وهل فيه تقديم أم تأخير ؟ ، وهنا : قراءة النصب إرجاع إلى الغسل ، وقراءة الخفض : إرجاع إلى مسح الأرجل ، وإنما يكون ذلك عند لبس الخفين أو الجوربين . -والله أعلم- .<sup>(٢)</sup>

(١) جامع البيان (٤/٤٦٦-٤٦٨) ، وتحقيق شاكر (١٠/٥٢) . وانظر مثله في البقرة (٢٦٠) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤَيِّنُ قَال بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ الآية جامع البيان (٣/٥٣-٥٤) ، و(٢٨٢) ﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ الآية جامع البيان (٣/١٢٤) ، والأعراف (٢) ﴿ كَتَبْنَا نُزُلًا لِيَاكُفُّوا أَلْسِنَهُمْ مِنْهُ لِيَعْلَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْحَقُّ وَالْحَقُّ لَا يَكْفُرُ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ يَكْفُرُ بِالْبَاطِلِ وَالْبَاطِلُ لَا يَكْفُرُ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ يَكْفُرُ بِالْبَاطِلِ وَالْبَاطِلُ لَا يَكْفُرُ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ يَكْفُرُ بِالْبَاطِلِ وَالْبَاطِلُ لَا يَكْفُرُ بِالْحَقِّ ﴾ جامع البيان (٥/٤٢٦) ، وإبراهيم (٣) ﴿ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ جامع البيان (٧/٤١٤) .

(٢) يرجع لتوجيه القراءات والموقف منه ص (٣٧٦) .

## المطلب الثاني : مثال احتمال السياق للتقديم والتأخير بسبب الإعراب :

كما في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [النساء: ١٥٣] قال - رحمه الله - : "... يقول الله : ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ ﴾ يعني: فقد سأل أسلاف هؤلاء اليهود وأوتلهم موسى - عليه السلام - أعظم مما سألك من تنزيل كتاب عليهم من السماء ، فقالوا له : ﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ : أي عياناً نعاينه وننظر إليه... وقد ذكر عن ابن عباس أنه كان يقول في ذلك: "... إنهم إذا رأوه فقد رأوه ، إنما قالوا : جَهْرَةً أَرِنَا اللَّهَ ، قال : هو مقدم ومؤخر. وكان ابن عباس يتأول ذلك : أن سؤالهم موسى كان جهرة . " (١)

فالذي يظهر أن سبب الاختلاف هنا : هو إعراب ﴿ جَهْرَةً ﴾ : هل هي حال من الرؤية ، أم حال من السؤال .

هذه بعض المواضع التي تتعلق بالتقديم والتأخير ودلالة السياق تدل على إثبات ذلك أو رده ، على نحو ما سبق دراسته (٢) . - والله الموفق - .

(١) جامع البيان (٤/٣٤٧) .

(٢) وانظر بقية المواضع عموماً في : النساء (١٢) ﴿ وَلكُمْ نَصْفُ مَا تَرَكَ آزواجُكُمْ إِن كُنتُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ الآية جامع البيان (٣/٦٢٥) ، و (٢٥) ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحِ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَمِنَ نَّفْسِكُمْ أَلْمُؤْمِنَاتِ ﴾ الآية جامع البيان (٤/٢١) ، و (٩٠) ﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَيْكُم مِّن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَيْتُكُم أَوْ جَاءَكُم فَصَدَّوهُمْ وَأَن يَقُولُكُمْ أَوْ يُقَالُوا قَوْمُهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٤/٢٠٠) ، و (١٤٠) ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَن إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ الآية جامع البيان (٤/٣٢٨) ، والأعراف (١٦٣) ﴿ وَسَمِعْتُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٩٣) ، و (١٦٩) ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَلْعُدُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾ الآية جامع البيان (٦/١٠٧) ، والأنفال (٦٩) ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ جامع البيان (٦/٢٩١) ، والتوبة (٣) ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٣١٨) ، وهود (١٣) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِمِثْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مَفْرُودٍ ﴾ الآية جامع البيان (٧/١١) ، والرعد (٣) ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِجْسًا وَأَنْهَارًا ﴾ الآية جامع

البيان (٣٣٠/٧-٣٣١)، والإسراء (٦٠) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّيحَ آيَةً لِّلنَّاسِ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾  
 الآية جامع البيان (١٠٤-١٠٥)، والكهف (٢-١) ﴿ لَمَهْدٍ لِّبِئْرِ الَّذِينَ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَقَدْ جَعَلْنَا لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيَامًا ﴾  
 الآية جامع البيان (١٧٣-١٧٤)، و(٦٣) ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَنسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾  
 الآية جامع البيان (٢٤٩/٨)، وطه (١٢٩) ﴿ وَوَلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٣﴾ ﴾ جامع البيان  
 (٤٧٦/٨)، والنمل (١٤) ﴿ وَحَمَلُوا بِهَا وَأَسْتَقْبَتْنَهَا أَنفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ الآية جامع البيان (٥٠٢/١٠)، وسورة ص (٢٦)  
 ﴿ يٰنَادُواؤُا إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٥٧٥/١٠)،  
 ومحمد (١٨) ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾ جامع البيان (٣١٧/١١)،  
 والممتحنة (١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّيكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ الآية جامع البيان (٥٥-٥٦)، والزلزلة (٦)  
 ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوَّا أَعْمَلَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ جامع البيان (٦٦١/١٢)، والعاديات (٧) ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾  
 جامع البيان (٦٧٤/١٢) .

## الفصل التاسع

أثر دلالة السياق  
في تضعيف بعض الأقوال :

## الفصل التاسع

### أثر دلالة السياق في تضعيف بعض الأقوال :

وبعد سرد عدّة آثار من دلالات السياق وما نتج عنها من فوائد ، تجد للسياق أيضاً أثراً كبيراً ومهماً ، في تمييز الضعيف منها من القوي ، والصحيح منها من الخطأ ، والأولى منها من الممكن والمحتمل ، ولا شك أن الترجيح بين الأقوال بالاعتماد على ما يناسب سياق الكلام يستلزم تضعيفاً وترجيحاً غالباً ، ولا يقتصر الأثر على أحدهما <sup>(١)</sup>.

وسأتناول هذا الفصل من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول : الترجيح بسبب اللغة .

المبحث الثاني : الخصوص والعموم .

المبحث الثالث : مراعاة المخاطب والمتكلم .

المبحث الرابع : دلالة الكلمة والسياق واللاحق وموضوع السورة .

المبحث الخامس : مراعاة التقابل والتقسيم المتوازن .

المبحث السادس : تضعيف ما لم يرد ذكره في السياق .

المبحث السابع : مراعاة عود الكلام على القريب .

المبحث الثامن : مواضع لم يكن فيها تطبيق للتعامل نفسه .

---

(١) انظر قواعد الترجيح عند المفسرين ، (١/١٢٤-١٨٦) للدكتور : حسين بن علي الحربي ، وقد بين فيها : أن دلالة السياق من قواعد الترجيح عند وقوع خلاف بين المفسرين .



## المبحث الأول : الترجيح بسبب اللغة :

أسباب ترجيح معنى الكلمة في اللغة قد يرجع إلى الكلمة ذاتها ، وأي معانيها يناسب السياق ، أو يعود إلى استعمال العرب للكلمة ذات المعنى الواحد ، وما يحدث من تغييرات لهذا الاستعمال ، كإدخال التعريف عليها مثلاً ، وما ينتج من مراعاة تصريف الكلمة وهل هي تابعة لأصل الكلمة هذه أو تلك ، وطريقة التعامل مع الضمائر وأسماء الإشارة ، والإعراب ودوره في الترجيح ، فإلى شيء من هذه الأمثلة من خلال المطالب التالية :

**المطلب الأول :** قد ترد الكلمة في اللغة ولها معان متعددة فيذكر الإمام الطبري -رحمه الله- المعاني

ويرجح منها المعنى المناسب للسياق .

**المطلب الثاني :** الاستعمال اللغوي .

**المطلب الثالث :** النظر إلى تصريف الكلمة واشتقاقها .

**المطلب الرابع :** العطف بالواو يفيد التفريق لأنه الأشهر في الاستعمال .

**المطلب الخامس :** الضمير والإشارة وما يتعلق بهما .

**المطلب السادس :** الإعراب يرحح القول المناسب .

## المطلب الأول :

قد ترد الكلمة في اللغة ولها معان متعددة فيذكر الإمام الطبري -رحمه الله- المعاني ويرجح منها المعنى المناسب للسياق:

ومن أمثلة ذلك قوله -تعالى-: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَنَصِفُوا أَلْسِنَتَهُمُ الْكُذْبَ أَنْ لَهُمُ اللَّعْنَةُ لَا يَجْرَمُ أَنْ لَهُمُ النَّارُ وَأَنْتُمْ مُفْرَطُونَ ﴾ [النحل: ٦٢] قال -رحمه الله-: " وقوله: ﴿ وَأَنْتُمْ مُفْرَطُونَ ﴾ يقول -تعالى ذكروه-: وأهمُّ مُخْلَفُونَ متروكون في النار ، منسيون فيها . واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك: فقال أكثرهم بنحو ما قلنا في ذلك... وقال آخرون : معنى ذلك : أنهم مُعْجَلُونَ إلى النار مقدّمون إليها . وذهبوا في ذلك إلى قول العرب : أفرطنا فلاناً في طلب الماء ، إذا قدّموه لإصلاح الدلاء والأرشية ، وتسوية ما يحتاجون إليه عند ورودهم عليه فهو مُفْرَطٌ... وقال آخرون : معنى ذلك: مُبْعَدُونَ في النار... "

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : القول الذي اخترناه ، [وهو أن معنى: ﴿ مُفْرَطُونَ ﴾ مخلفون ومتروكون في النار ] ، وذلك أن الإفراط الذي هو بمعنى التقديم ، إنما يقال : فيمن قدم لإصلاح ما يقدم إليه ، إلى وقت ورود من قدّمه عليه ، وليس بمُتقدّم من قدّم إلى النار من أهلها لإصلاح شيء فيها لوارد يرد عليها فيها فيوافقه مصلحاً ، وإنما تُتقدّم من قدّم إليها ؛ لعذاب يُعجّل له . فإذا كان معنى ذلك الإفراط الذي هو تأويل التعجيل ففسد أن يكون له وجه في الصحة ، صحّ المعنى الآخر ، وهو الإفراط الذي بمعنى: التخليف والترك ، وذلك أن يُحكى عن العرب : ما أفرطت ورائي أحداً ، أي : ما خلفته ، وما فرطته ، أي : لم أخلفه . <sup>(١)</sup>

(١) جامع البيان (٦٠٢/٧-٦٠٤). وانظر مواضع أخرى في البقرة (١٠٢) ﴿ وَأَنْتَبَهُوا مَا تَنْتَلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مِثَالِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَئِنَّ الشَّيْطَانَ كَثُرُوا ﴾ الآية جامع البيان (٤٩٨/١-٥٠٠) ، و(٢٣٥) ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النَّسَاءِ أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٢٣٤/٢-٢٣٦) ، والنساء (٣٤) ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ ﴾

فلما كان سياق الآيات في ذكر العذاب ، لم يصح حمل معنى الفرط على الذي يصلح ما يقدم عليه ؛ لأن ما يقدم عليه في السياق النار ، وليس هناك ما يصلحه الفرط ؛ ولذلك قال بالمعنى اللغوي الآخر للفظه : وهو التخفيف والترك ؛ لمناسبتها للسياق .

---

عَلَى النِّسَاءِ يَمَّا فَصَلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيَمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴿الآية جامع البيان (٤/٦٨-٧٠) ، و(٨٤) ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ النساء: ٨٣ الآية جامع البيان (٤/١٨٧) .

## المطلب الثاني : الاستعمال اللغوي :

ففي قوله -تعالى- : ﴿وَأَيُّ لَهْمٍ أُتِلُّ سَلَخٌ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يس: ٣٧] قال -رحمه الله-: " يقول -تعالى- ذكّره- : ودليل لهم أيضاً على قدرة الله على فعل كلّ ما شاء : ﴿أُتِلُّ سَلَخٌ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ يقول : ننزع عنه النهار . ومعنى : ﴿مِنْهُ﴾ في هذا الموضع : عنه ، كأنه قيل : نسلخ عنه النهار ، فنأتي بالظلمة ونذهب بالنهار... وقوله : ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ يقول : فإذا هم قد صاروا في ظلمة بحجىء الليل ، وقال قتادة في ذلك :.. يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل . وهذا الذي قاله قتادة في ذلك عندي من معنى سلخ النهار من الليل بعيد ، وذلك أن إيلاج الليل في النهار ، إنما هو زيادة ما نقص من ساعات هذا في ساعات الآخر ، وليس السلخ من ذلك في شيء ؛ لأن النهار يسلم من الليل كله ، وكذلك الليل من النهار كله ، وليس يولج كلّ الليل في كلّ النهار ، ولا كلّ النهار في كلّ الليل ."<sup>(١)</sup>

بل يجب مراعاة الفرق بين كل كلمة وأخرى فـ"منهم" ليست مثل "فيهم"، ففي قوله -تعالى- : ﴿وَلَيْسَتُمْ فِي الَّذِينَ لَا يَهْدُونَ نِكَالًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتُغُونَ الْكِنَابَ بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣] الآية قال -رحمه الله- : " وأما الخير الذي أمر الله -تعالى- ذكّره- عباده بكتابة عبيدهم إذا علموه فيهم : فهو القُدرة على الاحتراف والكسب لأداء ما كوتبوا عليه... وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن علمتم فيهم صدقاً ووفاءً وأداءً... وقال آخرون : بل معنى ذلك إن علمتم لهم مالاً..."

وأولى هذه الأقوال في معنى ذلك عندي قول من قال : معناه : فكاتبوهم إن علمتم فيهم قوة على الاحتراف والاكتساب ، ووفاء بما أوجب على نفسه وألزمها ، وصدق لهجة . وذلك أن هذه

(١) جامع البيان (٤٤٠/١٠) . وانظر نحوه في البقرة (٩٣) ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ لِيَجْعَلَ بِكَفَرِهِمْ﴾ الآية جامع البيان

(٤٦٧/١-٤٦٨) ، والنساء (٢٢) ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنْ نِسَاءِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ الآية جامع البيان

. (٦٦١/٣)

المعاني هي الأسباب التي يمولى العبد الحاجة إليها إذا كاتب عبده مما يكون في العبد ، فأما المال وإن كان من الخير ، فإنه لا يكون في العبد ، وإنما يكون عنده أو له لا فيه ، والله إنما أوجب علينا مكاتبة العبد إذا علمنا فيه خيراً ، لا إذا علمنا عنده أو له ؛ فلذلك لم نقل : إن الخير في هذا الموضع معني به المال . " (١)

وواضح من سياق الآية تضعيف قول من قال بأن معنى : ﴿ **إِنْ عَلَّمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا** ﴾ : مالا ؛ لأن المال ليس من الخير الذي في العبد ، بل هو خير له يملكه ، أو عنده في حوزته ، وإنما الخير : القدرة على الكسب ؛ لقضاء دين الكتابة لسيدته ، والآية نسبت الخير إلى أنه فيهم ، ولم تقل : علمتم لهم خيراً .

**والضبح في اللغة يستعمل للخيل لا للإبل :** ففي قوله -تعالى- : ﴿ **وَالْمَدْيَنَ ضَبْحًا** ﴾ **[العاديات:**  
**١] قال -رحمه الله- :** " اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ **وَالْمَدْيَنَ ضَبْحًا** ﴾ فقال بعضهم : عنى بالعاديات ضَبْحًا : الخيل التي تعدوها ، وهي تحمحم...وقال آخرون: هي الإبل...  
 وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب : قول من قال : عنى بالعاديات : الخيل ، وذلك أن الإبل لا تَضْبَح ، وإنما تضح الخيل، وقد أخبر الله -تعالى- أنها تعدو ضَبْحًا . " (٢)

(١) جامع البيان (٩/٣١٣-٣١٥) .

(٢) جامع البيان (١٢/٦٦٥-٦٦٧) . وانظر مواضع أخرى مشابهة لما سبق : في البقرة (٥٠) ﴿ **وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَجْمَعْتُمْ**  
**وَأَفْرَقْنَا أَعَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ** ﴿٥٠﴾ جامع البيان (١/٣١٤) ، و(٢٨٢) ﴿ **يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنُكُمْ بِدِينِكُمْ إِلَىٰ آجُلٍ**  
**مُّسَمًّى فَاتَّخِذُوهُ** ﴾ الآية جامع البيان (٣/١٢٩) ، وآل عمران (٨١) ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ آمَنُوا لَوَّاسًا وَمِنْ حَتِّبٍ**  
**وَيَحْيَىٰ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ** ﴾ الآية جامع البيان (٣/٣٣١) ، والأنعام (١١٧) ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ**  
**هُوَ أَعْلَمُ مَنِ يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴿٣٧﴾ جامع البيان (٦/٣٢٠) ، والأعراف (٢٧) ﴿ **يَبْقَىٰ مَادَمٌ لَا يَفْنَأُكُمْ**  
**الْقَيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ آبَائِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَتَزَوَّجُ مِنْهُمَا لِبِأْسِهِمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا** ﴾ الآية جامع البيان (٥/٤٦١-٤٦٢) ، والنمل (٤٠)  
 ﴿ **قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ** ﴾ الآية جامع البيان (٩/٥٢٤) ، وسورة ص (١٦) ﴿ **وَقَالُوا**  
**رَبَّنَا جَعَلْنَا لَنَا قَوْلًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ** ﴿٦﴾ جامع البيان (١٠/٥٥٩-٥٦٠) ، والشورى (٢٣) ﴿ **ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ**  
**آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ الآية جامع البيان (١١/١٤٥) ، والفتح (٢٤) ﴿ **وَعَدَدُكُمْ اللَّهُ مَفَانِدَ كَبِيرَةً فَأَخَذُونَهَا** ﴾ **الفتح: ٢٠**

والكلمة يختلف معناها مفردة مجردة عما يدخل عليها بعد ذلك : ومن الأمثلة على ذلك دخول (أل) التعريفية على الكلمة كما في قوله -تعالى- : ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ سَيِّئًا وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَيَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦] قال -رحمه الله- : في قوله -تعالى- : ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك : فقال بعضهم : معنى ذلك : والجار ذي القرابة والرحم منك... وقال آخرون : بل هو جار ذي قرابتك... عن ميمون بن مهران<sup>(١)</sup>... قال : الرجل يتوسل إليك بجار ذي قرابتك . قال أبو جعفر : وهذا القول قول مخالف المعروف من كلام العرب ، وذلك أن الموصوف بأنه ذو القرابة في قوله : ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ الجار دون غيره ، فجعله قائل هذه المقالة جار ذي القرابة ، ولو كان معنى الكلام كما قال ميمون بن مهران لقليل : وجار ذي القربى ، ولم يقل : ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ ، فكان يكون حينئذٍ إذا أضيف الجار إلى ذي القرابة : الوصية ببرّ جار ذي القرابة دون الجار ذي القربى . وأما ﴿وَالْجَارِ﴾ بالألف واللام فغير جائز أن يكون : ﴿ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ إلا من صفة الجار . وإذا كان ذلك كذلك كانت الوصية من الله في قوله : ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ ببرّ الجار ذي القربى دون جار ذي القرابة ، وكان بينا خطأ ما قال ميمون بن مهران في ذلك." (٢)

الآيتين جامع البيان (١١/٣٥٤-٣٥٤) ، والتحريم (١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ الآية جامع البيان (١٢/١٤٩-١٥٠) ، والمرسلات (٣٢) ﴿إِنَّمَا تُرْمَىٰ بِشَكْرِ الْكَافِرِ﴾ جامع البيان (١٢/٣٨٨-٣٨٩) ، والنبأ (١٤) ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنْ أَلْفِ مِائَةٍ مَقَالًا﴾ جامع البيان (١٢/٣٩٨-٣٩٩) ، والنازعات (٣٠) ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ جامع البيان (١٢/٤٣٧-٤٣٨) .

(١) هو أبو أيوب ، ميمون بن مهران الجزري الرقي القاضي ، نسبة لسكانه بلدة الرقة بعد إعتاقه ، قيل ولد سنة موت علي -عليه السلام- سنة أربعين ، كان من أجلة التابعين وزهادهم وعبادهم ، استعمله عمر بن عبد العزيز على خراج الرقة وقضاها ، وثقه العجلي والنسائي وابن سعد ، توفي سنة سبع عشرة ومائة ، وقيل غير ذلك . انظر سير أعلام النبلاء (٧١/٥) ، والأعلام (٣٠١/٨) .

(٢) جامع البيان (٤/٨٠-٨١) . وانظر مثله في البقرة (٨٥) ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنفُسُكُمْ تُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِّن دِينِهِمْ﴾

ففرّق - رحمه الله - بين كلمة "جار" منكرة وكلمة "الجار" معرفة بـ(أل)، والآية على التعريف ؛ فتفسر على القريب في المسكن دون جارٍ قريب الرحم .

---

تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤٦﴾ الآية جامع البيان (١/٤٤٦) ، و(٢٤٨) ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٦٢٣-٦٢٤) ، والأنبياء (١٠٥) ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ جامع البيان (٩/٩٧-٩٨) .

### المطلب الثالث : النظر إلى تصريف الكلمة واشتقاقها :

ففي قوله -تعالى- : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لِيَأْسَوا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٧] قال -رحمه الله- : " وقوله ﴿ وَالنَّوْمَ سُبَاتًا ﴾ يقول : وجعل لكم النوم راحة ؛ تستريح به أبدانكم ، وتهدأ به جوارحكم . وقوله : ﴿ وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ يقول -تعالى- ذكره- : وجعل النهار يقظة وحياة ، من قولهم : نُشِرَ الميتُ . ومنه قول الله : ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٣] وكان مجاهد يقول في تأويل... قوله : ﴿ وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ قال : ينشر فيه ... وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك ؛ لأنه عقيب قوله : ﴿ وَالنَّوْمَ سُبَاتًا ﴾ في الليل . فإذا كان ذلك كذلك ، فوصف النهار بأن فيه اليقظة والنشور من النوم أشبه إذ كان النوم أخص الموت .

والذي قاله مجاهد غير بعيد من الصواب ؛ لأن الله أخبر أنه جعل النهار معاشاً ، وفيه الانتشار للمعاش ، ولكن النشور مصدر من قول القائل : نشر ، فهو بالنشر من الموت والنوم أشبه ، كما صحّت الرواية عن النبي ﷺ - أنه كان يقول إذا أصبح وقام من نومه : «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» . (١)

فرجح -رحمه الله- أن المراد بالنشور اليقظة من النوم لا الانتشار ؛ لسببين : الأول : مقابلة لحكمة النوم في الليل ، فلما كان النوم موتاً أصغر ، فالنهار حياة ونشور ، الثاني : أن مصدر نشر : نشوراً ، وليس مصدر انتشر : نشوراً .

وكذلك الاستدلال على المراد من العدد بتمييز المعدود : كما في قوله -تعالى- : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَخْيَلَهُمْ إِنَّكَ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣] قال -رحمه الله- : "...وأولى الأقوال في مبلغ عدد القوم الذين

(١) جامع البيان (٣٩٦/٩-٣٩٧) . والحديث رواه البخاري في كتاب الدعوات ، باب : ما يقول إذا نام صفحة (١٣٣٦) حديث (٦٣١٢) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع . (٢٠٨٣/٤) حديث (٢٧١١) .



وصف الله خروجهم من ديارهم بالصواب : قول من حدّد عددهم بزيادة عن عشرة آلاف ، دون من حده بأربعة آلاف ، وثلاثة آلاف ، وثمانية آلاف ؛ وذلك أن الله -تعالى ذكره- أخبر عنهم أنهم كانوا ألوفاً، وما دون العشرة آلاف لا يقال لهم : ألوفاً ، وإنما يقال : هم آلاف ، إذا كانوا ثلاثة آلاف فصاعداً إلى العشرة آلاف ، وغير جائز أن يقال : هم خمسة ألوفاً ، أو عشرة ألوفاً .<sup>(١)</sup>

(١) جامع البيان (٦٠٤/٢) ، وتحقيق شاکر (٢٧٦/٥) . وانظر البقرة (١٦٤) ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْمُلْكِ الَّذِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَمَّا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْرَجَ بِهِ الْإَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَرَّكَ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَاتٍ حَيَاةٍ وَنَضْرِبِ الْرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ جامع البيان (٦٩/٢) ، وانظر مثله في المائدة (٣) ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالذَّمُّ وَغُلْمُ الْفَخْرِزِيرِ وَمَا أَهَلَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْحَنَقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّمْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ الآية جامع البيان (٤٠٧/٤-٤٠٨) .

## المطلب الرابع : العطف بالواو يفيد التفريق لأنه الأشهر في الاستعمال :

ففي قوله -تعالى- : ﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِزْقًا لِلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ [النساء: ٣٨] " قال أبو جعفر : يعني بذلك - جل ثناؤه - : وأعتدنا للكافرين بالله من اليهود الذين وصف الله صفتهم عذاباً مهيناً . ﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِزْقًا لِلنَّاسِ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ ﴾ في موضع خفض عطفاً على "الكافرين" وقوله: ... ﴿ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ يقول : ولا يصدّقون بوحدانية الله ولا بالميعاد إليه يوم القيامة ، الذي فيه جزاء الأعمال أنه كائن . وقد قال مجاهد : إن هذا من صفة اليهود . [قال أبو جعفر :] وهو بصفة أهل النفاق الذين كانوا أهل شرك فأظهروا الإسلام تقية من رسول الله - ﷺ - وأهل الإيمان به وهم على كفرهم مقيمون أشبه منهم بصفة اليهود ؛ لأن اليهود كانت توحّد الله وتصدّق بالبعث والمعاد ، وإنما كان كفرها تكذيبها بنبوّة محمد - ﷺ - . وبعد : ففي فصل الله بين صفة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، وصفة الفريق الآخر الذين وصفهم في الآية قبلها وأخبر أن لهم عذاباً مهيناً ، بالواو الفاصلة بينهم ما ينبئ عن أهمّاه صفتان من نوعين من الناس مختلفي المعاني ، وإن كان جميعهم أهل كفر بالله . ولو كانت الصفتان كلتاهما صفة نوع من الناس لقليل إن شاء الله : وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً ، الذين ينفقون أموالهم رياء الناس ، ولكن فصل بينهم بالواو لما وصفنا .<sup>(١)</sup>

وقد يحدد مرجع الكلام المعطوف الأسلوب من خطاب أو غيبة : ففي قوله -تعالى- :

﴿ وَمَصَدَقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحْمَلَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٥٠] " قال أبو جعفر : يعني بذلك - جل ثناؤه - : وبأي قد جئتكم بآية من ربكم، وجئتكم مصدقاً لما بين يديّ من التوراة، ولذلك نصب ﴿ وَمَصَدَقًا ﴾ على الحال من ﴿ وَجِئْتُكُمْ ﴾ . والذي يدلّ على أنه نصب على قوله: ﴿ وَجِئْتُكُمْ ﴾ دون العطف على قوله: ﴿ وَجِئْتُكُمْ ﴾ [آل

(١) جامع البيان (٤/٩٠)، وتحقيق شاکر (٣٥٦/٨) .

**عمران: ٤٥** ] ، قوله : ﴿لَمَّا بَرَكْ يَدَيَّ مِنَ التَّورَةِ﴾ ولو كان عطفاً على قوله : ﴿وَجِيهًا﴾ ، لكان الكلام : ومصداقاً لما بين يديه من التوراة ، وليحلّ لكم بعض الذي حرّم عليكم . " (١)

فاستدل - رحمه الله - على أن كلمة ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ حال من الفعل ﴿وَجِيهًا﴾ دون العطف على كلمة ﴿وَجِيهًا﴾ وهي خطاب لغائب ؛ لأن ما بعد ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ جاء على صيغة المخاطب ، فيرجع بالخطاب إلى ما يلائمه .

(١) جامع البيان (٣/٢٨٠) ، وتحقيق شاکر (٦/٤٣٨) .

## المطلب الخامس : الضمير والإشارة واسم الموصول ، وما يتعلق بها :

١- ما يتعلق بالضمير : (١)

أ - الأصل في الضمير أن يعود إلى مذكور في السياق : ففي قوله -تعالى- : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٩] قال -رحمه الله- : في قوله -تعالى- : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ "اختلف أهل التأويل في معنى ذلك: فقال بعضهم: معنى ذلك : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ ﴾ يعني بعيسى ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ يعني : قبل موت عيسى ، يوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال ، فتصير الملل كلها واحدة ، وهي ملة الإسلام الحنيفية ، دين إبراهيم -ﷺ-... وقال آخرون : يعني بذلك : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت الكتابي... وقال آخرون : معنى ذلك : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد -ﷺ- قبل موت الكتابي...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب : قول من قال : تأويل ذلك : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى... وأما الذي قال : عنى بقوله : ﴿ لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ ليؤمنن بمحمد -ﷺ- قبل موت الكتابي ، فمما لا وجه له مفهوم... [وإنما يدل على فساده] أنه لم يجر لمحمد - عليه الصلاة والسلام - في الآيات التي قبل ذلك ذكر ، فيجوز صرف الهاء التي في قوله : ﴿ لِيُؤْمِنُوا بِهِ ﴾ إلى أنهما من ذكره ، وإنما قوله : ﴿ لِيُؤْمِنُوا بِهِ ﴾ في سياق ذكر عيسى وأمه واليهود ، فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره ، إلا بحجة يجب التسليم لها من : دلالة ظاهر التنزيل ، أو خبر عن الرسول تقوم به حجة ، فأما الدعاوى فلا تتعذر على أحد . " (٢)

(١) موضوع الضمير مهم في اللغة العربية بوجه عام ، ومن أغمض أنواعه ضمير الغائب ، وقد يسر الله دراسة هذا الموضوع في مرحلة الدكتوراه ، وكان عنوانه : عود الضمير وأثره في التفسير دراسة لضمير الغائب المعتمد على الهاء في حزب المفصل ، ونوقشت بتاريخ ١٦/٦/١٤٣٠هـ ، عسى ربي أن يسهل طبعها .

(٢) جامع البيان (٤/٣٦٠-٣٦١) ، وتحقيق شاکر (٩/٣٧٩) .

ب - أما تحديد ما يعود عليه الضمير فالأصل أن يكون إلى أقرب مذكور : كما في قوله -تعالى- : ﴿ قَالَ يَقْتُورِ أَرْهَطِيحَ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَتَّخِذْتُمُوهُ وِرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّكَ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [هود: ٩٢] قال أبو جعفر : " يقول -تعالى- ذكروه- : قال شعيب لقومه: يا قوم أعزّزتم قومكم ، فكانوا أعزّ عليكم من الله ، واستخففتكم بربكم ، فجعلتموه خلف ظهوركم ، لا تأمرون لأمره ولا تخافون عقابه ، ولا تعظّمونه حق عظمته؟! ... وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .  
وقال آخرون : معنى ذلك : واتخذتم ما جاء به شعيب وراءكم ظهريًّا ، فاهلأ في قوله :  
﴿وَأَتَّخِذْتُمُوهُ﴾ على هذا من ذكر ما جاء به شعيب...

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك ؛ لقرب قوله : ﴿وَأَتَّخِذْتُمُوهُ وِرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا﴾ من قوله : ﴿أَرْهَطِيحَ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ فكانت الهاء في قوله : ﴿وَأَتَّخِذْتُمُوهُ﴾ بأن تكون من ذكر الله ؛ لقرب جوارها منه أشبه وأولى .<sup>(١)</sup>  
وهذا الترجيح يرجع لقاعدة : طلب اتصال السياق ، وعدم الفصل بين الجمل والكلمات ما أمكن .

وليس إرجاع الضمير للأقرب في كل المواضع بل قد يترك ذلك لدلالات أقوى كدلالة السياق : ففي قوله -تعالى- : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ بَلَاءَ آيَاتِكُمْ إِذْ رَاهِبُوا هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٨] قال -رحمه الله- "وقوله : ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا ﴾ يقول -تعالى- ذكروه- : سماكم يا معشر من آمن بمحمد -ﷺ- المسلمين من قبل ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل... وقال آخرون: بل معناه : إبراهيم سماكم المسلمين ، وقالوا هو كناية من ذكر إبراهيم -ﷺ- : ...ابن زيد : [في قوله:] ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ قال : ألا ترى قول إبراهيم : ﴿وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرَيْتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً﴾

(١) جامع البيان (١٠٤/٧-١٠٦)، وتحقيق شاكر (٤٥٩/١٥) . وانظر مثلاً آخر في : الحج (٥٥) ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيبٍ ﴾ [جامع البيان (١٧٩/٩-١٨٠) .

لَكَ ﴿ [البقرة: ١٢٨] قال : هذا قول إبراهيم: ﴿ هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ولم يذكر الله بالإسلام والإيمان غير هذه الأمة ، ذكرت بالإيمان والإسلام جميعاً ، ولم نسمع بأمة ذكرت إلا بالإيمان . ولا وجه لما قال ابن زيد من ذلك؛ لأنه معلوم أن إبراهيم لم يسمّ أمة محمد مسلمين في القرآن ؛ لأن القرآن أنزل من بعده بدهر طويل ، وقد قال الله -تعالى ذِكره- : ﴿ هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا ﴾ ولكن الذي سمنا مسلمين من قبل نزول القرآن وفي القرآن : الله الذي لم

يزل ولا يزال ، وأما قوله : ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ فإن معناه : من قبل نزول هذا القرآن ، في الكتب التي نزلت قبله ، ﴿ وَفِي هَذَا ﴾ يقول : وفي هذا الكتاب . " (١)

فليس إبراهيم -عليه السلام- هو مسمي المسلمين بهذا الاسم ؛ لأن التسمية هذه كانت في القرآن وفي الكتب التي قبله ، وهذه الكتب من كلام الله -عزّ وجلّ- لا من كلام إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام- .

ج -تحديد الضمير لا بد من موافقته لما قبله في التذكير والتأنيث: ففي قوله -تعالى-:

﴿ أَلَيْسَ لِمَنْ يَخْلُقُ مِثْلَهَا فِي أَلْبَانِ ﴾ [الفجر: ٨] قال -رحمه الله- : " يقول - جلّ ثناؤه- : ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم التي لم يخلق مثلها في البلاد ، يعني : مثل عاد ، والهاء عائدة على عاد . وجائز أن تكون عائدة على إرم ؛ لما قد بينا قبل أنها قبيلة . وإنما عني بقوله ﴿ لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا ﴾ في العظم والبطش والأيد... وقال آخرون [كابن زيد]: بل معنى ذلك : ﴿ ذَاتَ الْعِمَادِ ﴾ ﴿ أَلَيْسَ لِمَنْ يَخْلُقُ مِثْلَهَا فِي أَلْبَانِ ﴾ [الفجر: ٨-٧] لم يخلق مثل الأعمدة في البلاد، وقالوا : ﴿ أَلَيْسَ لِمَنْ يَخْلُقُ مِثْلَهَا ﴾ في صفة ذات العماد ، والهاء التي في ﴿ مِثْلَهَا ﴾ إنما هي من ذكر ذات العماد... وهذا قول لا وجه له ؛ لأن العماد واحد مذكر ، والتي للأنتى، ولا يوصف المذكر بالتي ، ولو كان ذلك من صفة العماد ؛ لقليل : الذي لم يخلق مثله في البلاد... " (٢)

(١) جامع البيان (٩/١٩٣-١٩٤) . وقريبٌ منه في النحل (١٠٠) ﴿ لِمَا سُلْطَنَهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ

﴿ [١٠] ﴾ جامع البيان (٧/٦٤٥-٦٤٦) .

(٢) جامع البيان (١٢/٥٦٨-٥٦٩) ، وانظر مواضع أخرى في البقرة (٢٢٩) ﴿ أَلَا تَلْقَوْنَ فِيهَا قُلُوبًا يَنْسَاكُمُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْبِيحًا بِحَسَنٍ ﴾

فكل ضمير يجب أن يرجع إلى ما يوافقه تذكيراً أو تأنيثاً ، وما خالف ذلك فضعيف كما في المثال ، حيث ورد فيه ضمير "التي" وهو ضمير مؤنث فلا يرجع للعماد لأنه مذكّر ، وإنما يرجع إلى ما يناسب المؤنث في سياق الآية وهو قبيلة عاد إرم .

## ٢- ما يتعلق بالإشارة :

أ-الإشارة تكون إلى المذكور القريب أولى من المذكور البعيد أو غير المذكور:

ففي قوله -تعالى- : ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَىٰ ﴾ [النجم: ٥٦] قال -رحمه الله-: " اختلف أهل التأويل في معنى قوله - جل ثناؤه - لمحمد -ﷺ- : ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَىٰ ﴾ ووصفه إياه بأنه من النذر الأولى وهو آخرهم ، فقال بعضهم : معنى ذلك : أنه نذير لقومه ، وكانت النذر الذين قبله نُذراً لقومهم ، كما يقال : هذا واحد من بني آدم ، وواحد من الناس... وقال آخرون : معنى ذلك غير هذا كله ، وقالوا : معناه هذا الذي أنذرتكم به أيها القوم من الوقائع التي ذكرت لكم أي أوقعتها بالأمم قبلكم من النذر التي أنذرتها الأمم قبلكم في صحف إبراهيم وموسى... عن أبي مالك<sup>(١)</sup> ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَىٰ ﴾ قال : مما أنذروا به قومهم في صحف إبراهيم وموسى ، وهذا الذي ذكرت عن أبي مالك أشبه بتأويل الآية ، وذلك أن الله - تعالى ذكره - ذكّر ذلك في سياق الآيات التي أخبر عنها أنها في صحف إبراهيم وموسى نذير من النذر الأولى ، التي جاءت الأمم قبلكم كما جاءتكم ، فقوله : ﴿ هَذَا ﴾ بأن تكون إشارة إلى ما تقدّمها من الكلام أولى وأشبه منه بغير ذلك ."<sup>(٢)</sup>

الآية جامع البيان (٢/٤٨٢) ، والطلاق (٤) ﴿ وَاللّٰهُ يَسِّنُّ مِنَ الْمَجِيْضِ مِمَّنْ سَأَلُوْا مِنْ رَبِّهِمْ فَوَدَّعْنَهُنَّ نِكَاحُهُنَّ وَاللّٰهُ لَدَدٌ

يَخْتَصِنُ ﴾ الآية جامع البيان (١٢/١٣٤) .

(١) هو أبو مالك غزوان الغفاري ، تابعي محدث كوفي ، روى عن البراء وابن عباس ، وروى عنه السدي ، وثقه ابن معين ، وقال ابن حجر : ثقة من الثالثة . انظر تقريب التهذيب (٢/١٠٥) ، وتهذيب التهذيب (٨/٢٤٥) ، وخلاصة تهذيب تهذيب الكمال صفحة (٣٠٧) .

(٢) جامع البيان (١١/٥٣٩-٥٤٠) . وانظر مثله في سورة ص (٣٩) ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِحِسَابٍ ﴾ [٣٩] جامع البيان (١٠/٥٨٥-٥٨٦) .

فاسم الإشارة : ﴿ هَذَا ﴾ يرجع إلى ما سبقه من نذر ومواعظ ، أولى مما بعد محله ، أو لم يذكر في السياق .

ب- تحديد مرجع الإشارة إلى كل ما تقدم في السياق أو إلى بعضه راجع إلى تعقيبات القرآن : فإن من عادة القرآن التعقيب على الأحداث والأحكام فإذا لحق الكلام السابق تعقيب فالإشارة بعده تعود إلى السابق الذي لم يعقب عليه فقط ومثال ذلك :

قوله -تعالى- : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء: ٣٠]

٣٠] قال أبو جعفر : " اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا ﴾ فقال

بعضهم : معنى ذلك: ومن يقتل نفسه ، بمعنى : ومن يقتل أخاه المؤمن ﴿ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ

نُصَلِّيهِ نَارًا ﴾ ... وقال آخرون : بل معنى ذلك : ومن يفعل ما حرّمته عليه من أول هذه السورة

إلى قوله : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴾ من نكاح من حرّمت نكاحه ، وتعدّي حدوده ، وأكل أموال

الأيّام ظلماً ، وقتل النفس المحرّم قتلها ظلماً بغير حق . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ومن

يأكل مال أخيه المسلم ظلماً بغير طيب نفس منه ، وقتل أخاه المؤمن ظلماً ، فسوف نصليّه ناراً .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : معناه : ومن يفعل ما حرّم الله

عليه من قوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الذَّبَابُ فَأَمْتُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ﴾ [النساء: ١٩] إلى قوله : ﴿ وَمَنْ

يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴾ من نكاح الحرّمات ، وعضل المحرّم عضلها من النساء ، وأكل المال بالباطل ، وقتل

المحرّم قتله من المؤمنين ؛ لأن كلّ ذلك مما وعد الله عليه أهله العقوبة . فإن قال قائل : فما منعك

أن تجعل قوله : ﴿ ذَلِكَ ﴾ معنياً به جميع ما أوعده الله عليه العقوبة من أول السورة ؟ . قيل : منعي

ذلك أن كلّ فصل من ذلك قد قرن بالوعيد ، إلى قوله : ﴿ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء:

١٨] ولا ذكر للعقوبة من بعد ذلك على ما حرّم الله في الآي التي بعده ، إلى قوله : ﴿ فَسَوْفَ

نُصَلِّيهِ نَارًا ﴾ . فكان قوله : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴾ معنياً به ما قلنا مما لم يُقرن بالوعيد ، مع إجماع

الجميع على أن الله -تعالى- قد توعّد على كلّ ذلك ، أولى من أن يكون معنياً به ما سلف فيه



الوعيد بالنهي مقروناً قبل ذلك." (١)

٣- ما يتعلق باسم الموصول :

فصيغة اسم الموصول ترجح المقصود بالحكم : ففي قوله -تعالى- : ﴿ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَتَادُوهُمَا وَإِصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ نَوَابِغًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١٦] قال -رحمه الله- : "...اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله : ﴿ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَتَادُوهُمَا ﴾ فقال بعضهم : هما : البكران اللذان لم يُحصنا ، وهما غير اللاتي عُنيَنَ بالآية قبلها . (١) وقالوا : قوله : ﴿ وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ [النساء: ١٥] معنيّ به الثيبات المحصنات بالأزواج ، وقوله ﴿ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ ﴾ يعني به : البكران غير المحصنين... وقال آخرون : بل عُني بقوله : ﴿ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ ﴾ الرجلان الزانيان... وقال آخرون : بل عني بذلك الرجل والمرأة ، إلا أنه لم يقصد به بكر دون ثيب..."

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله : ﴿ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ ﴾ قول من قال : عني به البكران غير المحصنين إذا زنيا وكان أحدهما رجلاً والآخر امرأة ؛ لأنه لو كان مقصوداً بذلك قصد البيان عن حكم الزناة من الرجال ، كما كان مقصوداً بقوله : ﴿ وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ قصد البيان عن حكم الزواني لقليل : والذين يأتونها منكم فأذوهم ، أو قيل : والذي يأتيتها منكم ، كما قيل في التي قبلها : ﴿ وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَحِشَةَ ﴾ فأخرج ذكرهنّ على الجميع ،

(١) جامع البيان (٤/٣٨-٣٩) ، وتحقيق شاكر (٨/٢٣٠) . وقريب منه في البقرة (٥) ﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

﴿ ﴿ نِسَائِكُمْ خَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حُرْمَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّٰلِكُوهُ وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴾ جامع البيان (١/١٤٠) ، و(٢٢٣) : ﴿ نِسَائِكُمْ خَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حُرْمَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّٰلِكُوهُ وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴾ جامع البيان (٢/٤١١) ، والنحل (١٠٥) : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكٰذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكٰذِبُونَ ﴾ ﴾ جامع البيان (٧/٦٥٠-٦٥١) .

(٢) في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَقَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٥] .

ولم يقل : واللذان يأتيان الفاحشة. وكذلك تفعل العرب إذا أرادت البيان على الوعيد على فعل أو الوعد عليه ، أخرجت أسماء أهله بذكر الجميع أو الواحد ، وذلك أن الواحد يدلّ على جنسه ، ولا تخرجها بذكر اثنين ، فتقول : الذين يفعلون كذا فلهم كذا ، والذي يفعل كذا فله كذا ، ولا تقول : اللذان يفعلان كذا فلهما كذا ، إلا أن يكون فعلاً لا يكون إلا من شخصين مختلفين ، كالزنا لا يكون إلا من زان وزانية . فإذا كان ذلك كذلك ، قيل بذكر الاثنين، يراد بذلك الفاعل والمفعول به ، فأما أن يذكر بذكر الاثنين والمراد بذلك شخصان في فعل - فقد ينفرد كل واحد منهما به أو في فعل لا يكونان فيه مشتركين - فذلك ما لا يعرف في كلامها . وإذا كان ذلك كذلك ، فبين فساد قول من قال : عني بقوله : ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ﴾ الرجلان ، وصحة قول من قال : عني به الرجل والمرأة ، وإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنهما غير اللواتي تقدم بيان حكمهنّ في قوله : ﴿وَأَلَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحِشَةَ﴾ ؛ لأن هذين اثنان وأولئك جماعة...<sup>(١)</sup>

فظهر من استخدام اسم الموصول "الذنان" أن الحكم مراد به مثنى مكون من ذكر وأنثى فحسب ، ولو كان أراد الجمع من الذكور والإناث لاستخدم اسم الموصول المناسب لهم وهو : اللاتي أو اللاتي .

وهذا إبداع في التفسير ، وتتبع للسياق عزيز ، إذ نظر إلى أقرب وعيد سابق ، فجعل ما بعده داخلاً تحت الوعيد الحاضر ، فله درّ الإمام الطبري على هذا الاستدلال الدقيق ، والتفسير البديع ، ومتابعة دلالة السياق التي وفق إليها . - رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء - .

(١) جامع البيان (٦٣٧/٣) ، وتحقيق شاکر (٨١/٨) .

## المطلب السادس : الإعراب يرجح القول المناسب :

ففي قوله -تعالى- : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَاقِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُورٍ ﴾ [هود: ٨٢] قال -رحمه الله- : " وأما قوله : ﴿ مَّنْضُورٍ ﴾ فإن قنادة وعكرمة يقولان فيه... : ﴿ مَّنْضُورٍ ﴾ يقول : مصفوفة... وقال الربيع بن أنس فيه... : ﴿ مَّنْضُورٍ ﴾ قال : نضد بعضه على بعض... وقال بعضهم : ﴿ مَّنْضُورٍ ﴾ : يتبع بعضه بعضاً عليهم ، قال : فذلك نضدهُ .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : ما قاله الربيع بن أنس ، وذلك أن قوله : ﴿ مَّنْضُورٍ ﴾ من نعت ﴿ سِجِّيلٍ ﴾ ، لا من نعت الحجارة ، وإنما أمطر القوم حجارة من طين ، صفة ذلك الطين أنه نضد بعضه إلى بعض فصير حجارة ، ولم يمتطروا الطين فيكون موصوفاً بأنه تتابع على القوم مجيئه . قال أبو جعفر : وإنما كان جائزاً أن يكون على ما تأوله هذا المتأول لو كان التنزيل بالنصب : منضودةً ، فيكون من نعت الحجارة حينئذٍ .<sup>(١)</sup>

فترجح أن : ﴿ مَّنْضُورٍ ﴾ نعت لكلمة : ﴿ سِجِّيلٍ ﴾ المحرورة ، وسجيل طين ، ثم وصف الطين بأنه منضود ، فصار معنى النضد راجع إلى كلمة ﴿ سِجِّيلٍ ﴾ ، ولو كانت نعتاً للحجارة لكانت منصوبة ، وإنما القراءة بالخفض لا بالنصب .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلْأَكْلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٠] قال -رحمه الله- : في قوله : ﴿ سَيْنَاءَ ﴾ "...اختلف أهل التأويل في تأويله : فقال بعضهم : معناه : المبارك، كأن معنى الكلام عنده : وشجرة تخرج من جبل مبارك... وقال آخرون : معناه : حسن... وقال آخرون : هو اسم جبل معروف... وقال آخرون : معناه : أنه جبل ذو شجر... والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن ﴿ سَيْنَاءَ ﴾ اسم أضيف إليه الطور يعرف به، كما قيل جبلا طيئاً ، فأضيفا إلى طيئاً ، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال : معناه : جبل مبارك ،

(١) جامع البيان (٧/٩٣) .

أو كما قال من قال : معناه : حسن ، لكان : الطور منوَّناً ، وكان قوله : ﴿ سَيِّئَةً ﴾ من نعته .<sup>(١)</sup> فضعّف - رحمه الله - بعض الأقوال في تفسير : ﴿ سَيِّئَةً ﴾ ؛ لأنها تستلزم صرف الكلمة وتنوينها ، وهي في الآية ممنوعة من الصرف ، فلا بد من تفسير الكلمة بما يحافظ على حالتها الإعرابية في سياق الآية .

والحالة الإعرابية للكلمات اللاحقة قد تحدّد المنعوت : كما في قوله - تعالى - : ﴿ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٣] قال - رحمه الله - : " اختلف أهل العربية فيما نعتت به قوله : ﴿ وَأُخْرَى ﴾ فقال بعض نحويّ البصرة : معنى ذلك : وتجارة أخرى ، فعلى هذا القول يجب أن يكون : ﴿ وَأُخْرَى ﴾ في موضع خفض عطفاً به على قوله : ﴿ هَلْ أَذُكَّرُ عَلٰى يَمْرُؤٍ تُنٰجِكُمْ مِّنْ عُلَاقِ اَلْيَمِّ ﴾ [الصف: ١٠] ، وقد يحتمل أن يكون رفعاً على الابتداء . وكان بعض نحويّ الكوفة يقول : هي في موضع رفع . أي : ولكم أخرى في العاجل مع ثواب الآخرة ، ثم قال : ﴿ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ مفسراً للأخرى . والصواب من القول في ذلك عندي : القول الثاني ، وهو أنه معنيّ به : ولكم أخرى تحبونها ؛ لأن قوله : ﴿ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ مبين عن أن قوله ﴿ وَأُخْرَى ﴾ في موضع رفع ، ولو كان جاء ذلك خفضاً حسن أن يجعل قوله : ﴿ وَأُخْرَى ﴾ عطفاً على قوله : ﴿ يَمْرُؤٍ ﴾ ، فيكون تأويل الكلام حينئذ لو قرأ ذلك خفضاً : وعلى حلة أخرى تحبونها .<sup>(٢)</sup> فاستدلّ بجملة : ﴿ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ المرفوعة ، على أن أول الجملة وهي قوله : ﴿ وَأُخْرَى ﴾ كذلك في موضع رفع لا جرّ .

(١) جامع البيان (٢٠٧/٩-٢٠٨) . ومثله في التين (٢) ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ جامع البيان (٦٣٣/١٢-٦٣٤) .

(٢) جامع البيان (٨٥/١٢) ، وانظر بقية المواضع في : البقرة (٨٨) ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلُقٌ بَل لَّمْ نَكْفُرْهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ جامع البيان (٤٥٣/١) ، و(٢١٧) ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ النَّهْرِ اَلْحَرَامِ اِقَالَ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِوَدِّهِ وَالْمَسْجِدِ اَلْحَرَامِ وَاِخْرَاجِ اَهْلِيهِ مِنْهُ اَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٦٤-٣٦٥) ، والأنعام (١٥٦) ﴿ اَنْ تَقُولُوا اِنَّمَا اُنزِلَ اَلْكِتَابُ عَلٰى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَاِنْ كُنَّا عَنْ وِرَاسَتِهِمْ لَمَنفِلِينَ ﴾ جامع البيان (٤٠١/٥-٤٠٢) .

ومعرفة المقصود من الاستثناء يرجح قولاً: ففي قوله -تعالى-: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ بِنُظُرٍ﴾ [الزمر: ٦٨] قال -رحمه الله-: "وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ اختلف أهل التأويل في الذي عني الله بالاستثناء في هذه الآية: فقال بعضهم: عني به جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت... وقال آخرون: عني بذلك الشهداء... وقال آخرون: عني بالاستثناء في الفرع: الشهداء، وفي الصعق: جبريل وملك الموت وحملة العرش... عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله -ﷺ-: «يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ثَلَاثَ نَفَخَاتٍ: الْأُولَى: نَفَخَةُ الْفِرْعَ، وَالثَّانِيَةُ: نَفَخَةُ الصَّعِقِ، وَالثَّلَاثَةُ: نَفَخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفَخَةِ الْأُولَى، فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفَخَةَ الْفِرْعَ، فَتَفْزَعُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ» قال أبو هريرة: يا رسول الله، فمن استثنى حين يقول: ﴿فَفَزَعْنَا مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [النمل: ٨٧] قال: «أولئك الشهداء، وإِنَّمَا يَصِلُ الْفِرْعُ إِلَى الْأَحْيَاءِ، وَأولئك أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَقَاهُمُ اللَّهُ فِرْعَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَأَمْنَهُمْ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ بِنَفَخَةِ الصَّعِقِ، فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفَخَةَ الصَّعِقِ، فَيَصْعَقُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ فَإِذَا هُمْ حَامِدُونَ، ثُمَّ يَأْتِي مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى الْجَبَّارِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فَيَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ مَاتَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شِئْتَ، فَيَقُولُ لَهُ وَهُوَ أَعْلَمُ: فَمَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ: بَقِيَتْ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَبَقِيَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، وَبَقِيَ جَبْرِيْلُ وَمِيكَائِيلُ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: اسْكُتْ إِنِّي كَتَبْتُ الْمَوْتَ عَلَى مَنْ كَانَ تَحْتَ عَرْشِي، ثُمَّ يَأْتِي مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ مَاتَ جَبْرِيْلُ وَمِيكَائِيلُ، فَيَقُولُ اللَّهُ وَهُوَ أَعْلَمُ: فَمَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ: بَقِيَتْ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَبَقِيَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، وَبَقِيَتْ أَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ: فَلْيَمُتْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، فَيَمُوتُونَ وَيَأْمُرُ اللَّهُ -تعالى- الْعَرْشَ فَيَقْبِضُ الصُّورَ. فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ قَدْ مَاتَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ بَقِيَ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُ: بَقِيَتْ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَبَقِيَتْ أَنَا، قال: فَيَقُولُ اللَّهُ: أَنْتَ مِنْ خَلْقِي خَلَقْتِكَ لِمَا رَأَيْتَ، فَمُتْ لَا تَحْيَى، فَيَمُوتُ»<sup>(١)</sup>.

(١) وإسناد ابن جرير قال: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا الحاربي عبد الرحمن بن محمد، عن إسماعيل بن رافع المدني، عن يزيد، عن رجل من الأنصار، عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة ورفعته، وفي الإسناد:

وهذا القول الذي رُوي في ذلك عن رسول الله ﷺ - أولى بالصحة ؛ لأن الصعقة في هذا الموضوع : الموت . والشهداء وإن كانوا عند الله أحياء كما أخبر الله -تعالى ذكّره- فإنهم قد ذاقوا الموت قبل ذلك . وإنما عني - جلّ ثناؤه - بالاستثناء في هذا الموضوع ، الاستثناء من الذين صعقوا عند نفخة الصعق ، لا من الذين قد ماتوا قبل ذلك بزمان ودهر طويل ، وذلك أنه لو جاز أن يكون المراد بذلك من قد هلك ، وذاق الموت قبل وقت نفخة الصعق ، وجب أن يكون المراد بذلك من قد هلك ، فذاق الموت من قبل ذلك ؛ لأنه ممن لا يصعق في ذلك الوقت إذا كان الميت لا يجدد له موت آخر في تلك الحال... " (١)

فهذا الخبر في الآية : عن وقوع صعقة الموت على خلق كثير وعدم وقوعها على الذين استثناهم الله ، دليل على أن إدخال الشهداء فيمن استثناهم الله ضعيف ؛ لأنه قد وقع عليهم الموت قبل الصعقة -والله أعلم -.

وليس الدليل على خروج الشهداء الحديث المرفوع فقط ؛ لأنه ضعيف ، وإن كان يستأنس به ، ولكن لما كان المراد من الاستثناء في الآية هنا : إثبات أن الله خص أناساً بعدم الموت وأن أكثر الخلق يموتون ؛ كان ذلك دليلاً على أن الشهداء لا يدخلون فيمن نجاهم الله من صعقة الموت لأنهم

إسماعيل بن رافع ضعفه كثير من الأئمة ، وفي تقريب التهذيب : ضعيف الحفظ (٦٩/١) ، وفيه مبهمان وهما : رجل من الأنصار ، ومحمد بن كعب تابعي ، وساق ابن كثير رواية قريبة للطبراني ثم قال : " هذا حديث مشهور ، وهو غريب جداً ، ولبعظه شواهد في الأحاديث المتفرقة ، وفي بعض ألفاظه نكارة " تفسير القرآن العظيم (١٤١/٢) ، قال ابن حجر في فتح الباري : وسنده ضعيف ومضطرب (٣٦٩/١١) ، وقد أخرجه إسحاق ابن راهويه في مسنده (٨٥/١) ، وأبو الشيخ في كتاب العظمة (٨٢٣/٣) ، وتعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢٨٣/١) ، ومدار الحديث عندهم على إسماعيل بن رافع .

(١) جامع البيان (٢٧/١١-٢٩) . وانظر مواضع أخرى في آل عمران (١١٢) ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الرِّبَا أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٥/٣-٣٩٦) ، والمائدة (١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٩٠/٤) ، و(٣) ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْوَالُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ وَالنِّسَاءُ وَالْمَوَدَّةُ وَالْمَرْدِيَّةُ وَالنَّطِيجَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٤١٢/٣-٤١٣) .

ماتوا .والله أعلم - .

ومن خلال الأمثلة السابقة يتبين : ما للسياق من أثر واضح في تقوية الأقوال وتضعيفها رجوعاً إلى اللغة العربية ، سواء كان ذلك بسبب اختيار المعنى المناسب للكلمة في سياق الآيات ، أو اختيار أكثر المعاني استعمالاً ، أو مراعاة الأصل اللغوي وتصريف الألفاظ في المفردة ، أو تغاير المعنى في العطف بالواو والفاء و ثم ، أو تحديد مرجع الضمير، والإشارة ، والموقع الإعرابي ، ونحو ذلك . وهذا يؤكد ما لمعرفة اللغة العربية التي نزل بها القرآن من منزلة عند العلماء ، فهي من الشروط التي لا يقبل التهاون بها بحال ، وقد نهل العلماء من علم الإمام الطبري -رحمه الله- باللغة إلى يومنا هذا ولا يزالون .

## المبحث الثاني : الخصوص والعموم :

قد يختلف المفسرون في المقصود بالآية : هل هو العموم أم الخصوص ؟ .

وسأعرض في هذا المبحث الأمثلة المندرجة تحت ترجيح الخصوص أو العموم من خلال

المطالب التالية:

المطلب الأول : العام محدد بالأوصاف المذكورة في الآية .

المطلب الثاني : قد يلزم من القول بالعموم ترجيح قول على آخر .

المطلب الثالث : أولى العموم ما كان مذكوراً في السياق .

المطلب الرابع : الأصل العموم ولا يخص اللفظ إلا بدليل .



## المطلب الأول : العام محدد بالأوصاف المذكورة في الآية :

١- فاللفظ يكون عاماً ولكن عمومته في نوع معين : مثال ذلك في قول الله -تعالى- : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَادْبُرَ النُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠] قال -رحمه الله- : " اختلف أهل التأويل في التسبيح الذي أمر به من الليل : فقال بعضهم : عني به صلاة العتمة<sup>(١)</sup>... وقال آخرون : هي الصلاة بالليل في أي وقت صلى... عن مجاهد ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ قال : من الليل كله ، والقول الذي قاله مجاهد في ذلك أقرب إلى الصواب ، وذلك أن الله - جل ثناؤه - قال : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ فلم يحدّ وقتاً من الليل دون وقت . وإذا كان ذلك كذلك كان على جميع ساعات الليل . وإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا ، فهو بأن يكون أمراً بصلاة المغرب والعشاء ، أشبه منه بأن يكون أمراً بصلاة العتمة ؛ لأنهما يصليان ليلاً ."<sup>(٢)</sup>

(١) العتمة : الثلث الأول من الليل بعد غيبوبة الشمس والشفق . معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٢٢٤) ، وعزاه للخليل بن أحمد ، وقد ورد النهي عن تسمية العشاء بالعتمة ، وأظهر الأقوال عند ابن القيم -رحمه الله- أن النهي عن استعمال لفظ العتمة إذا كان دائماً مع إهمال لفظ العشاء . انظر حاشية ابن القيم على أبي داود (٧/٢٧٦-٢٧٧) ، وفتح الباري (٢/٤٥) .

(٢) جامع البيان (١١/٤٣٥-٤٣٦) . وانظر مواضع أخرى مشابهة في البقرة (٢٢) ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ الآية جامع البيان (١/١٩٩-٢٠٠) ، و(٣٧) ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ البقرة: ٣٦ الآية جامع البيان (١/٢٧٩-٢٨٠) ، و(٦٢) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالصَّنِيعِينَ مِنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا صُلْحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ جامع البيان (١/٣٦٤-٣٦٥) ، وآل عمران (٢٣) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُعْذِرُونَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فُرْقًا مِنْهُمْ وَمَنْ مُّعْرِضُونَ﴾ جامع البيان (٣/٢١٧-٢١٨) ، والمائدة (٣٣) ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأرجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَخُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ الآية جامع البيان (٤/٥٥١-٥٥٢) ، والأنعام (١٤٦) ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُلْفُرٍ﴾ الآية جامع البيان (٥/٣٨٢) ، والمرسلات (١) ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ جامع البيان (١٢/٣٧٨) .

٢- وقد يكون السياق فيه وصف معين ولكن لا يراد به الخصوص: كما في قوله -تعالى-:

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى التَّوَسُّعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦] بين -رحمه الله- أن الخبر بأن المتعة للمطلقة حق على المحسنين في هذه الآية وغيرها<sup>(١)</sup> لا يفيد تخصيص الأمر لهم ، بل يدخل عموم المكلفين ؛ لأن الله -عزّ وجلّ- أمرهم جميعاً بالإحسان والتقوى في كتابه ، كما في قوله : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

وقوله : ﴿وَاحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] وما وجب على هؤلاء الأخيار فغيرهم من باب الأولى<sup>(٢)</sup> ، والآية الأخيرة في سورة البقرة نفسها .

(١) ورد نحو الآية في أن الأمر حق على المتقين دون غيرهم في : البقرة (١٨٠) ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ ، و(٢٤١) ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ .

(٢) انظر جامع البيان (٥٤٩/٢ و٥٥١) الكلام بمعناه ، وتحقيق شاکر (١٣٣/٥) .

## المطلب الثاني: قد يلزم من القول بالعموم ترجيح قول آخر :

القول بالعموم قد يلزم منه دلالة أخرى أو ترجيح : ففي قوله -تعالى- : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٦] قال -رحمه الله- : "...وأما معنى قوله - جل ثناؤه - ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عُني به ، فقال بعضهم : عُني به أهل قبلتنا من المسلمين... وقال آخرون: عني بذلك : كل من كفر بالله بعد الإيمان الذي آمن، حين أخذ الله من صلب آدم ذريته وأشهدهم على أنفسهم بما بين في كتابه<sup>(١)</sup>... وقال آخرون : بل الذين عُنيوا بقوله : ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ المنافقون...

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب... أنه عني بذلك جميع الكفار، وأن الإيمان الذي يوجبون على ارتدادهم عنه ، هو الإيمان الذي أقرّوا به يوم قيل لهم : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢] . وذلك أن الله - جل ثناؤه - جعل جميع أهل الآخرة فريقين : أحدهما سُوداً وجوهه ، والآخر بيضاً وجوهه ، فمعلوم -إذ لم يكن هنالك إلا هذان الفريقان - أن جميع الكفار داخلون في فريق من سُود وجهه ، وأن جميع المؤمنين داخلون في فريق من بيض وجهه ، فلا وجه إذاً لقول قائل عني بقوله : ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ بعض الكفار دون بعض، وقد عمّ الله - جل ثناؤه - الخبر عنهم جميعهم ، وإذا دخل جميعهم في ذلك ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها ، ثم ارتدوا كافرين بعد إلا حالة واحدة ، كان معلوماً أنها المرادة بذلك ."<sup>(٢)</sup>

فلما كان الناس قسمين : مؤمنين وكافرين فقط لم يصح تخصيص من آمن ثم كفر بالمرتد المعروف ؛ لأن هناك من لم يؤمن مطلقاً فيخرج عن القسمين ويكون قسماً ثالثاً ، ولكن يصح التقسيم

(١) وهي قوله تعالى في الأعراف (١٧٢) : ﴿وَلَمَّا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ .

(٢) جامع البيان (٣/٣٨٦-٣٨٧) ، وتحقيق شاكر (٧/٩٤) . وانظر مثله في النساء (٥) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا كُنَّا نَعْمَلُ لَمْ يَأْتِنَا بِاللَّهِ لَكْرًا إِنَّمَا أَكْرَمْتُم بِهَا وَكُنْتُمْ قَوْمًا مَّشْرُوكًا﴾ جامع البيان (٣/٤٩٠) .

كما في قوله -تعالى- : ﴿وَلِذَٰلِكَ أَخَذْنَا مِنْ بُنَىٰ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢] ، ويدخل جميع الناس إذا قلنا إن الإيمان هو الفطرة ، وإيمانهم لما استشهدهم ربهم -عزّ وجلّ- وهم في ظهر آدم ، ويكون معنى الكفر هو الموت عليه ، سواء كان مؤمناً ثم ارتد ، أو كان كافراً أصلياً ، ويكون معنى الإيمان : من مات على الإيمان سواء ولد مؤمناً ، أو كان كافراً ثم آمن ، ويكون التقسيم شاملاً لجميع الخلق كما في الآية الكريمة .

ولا يقال بالعموم في الخطاب إذا كان في الخطاب إشارة لتخصيص ؛ لأنه إذا جعل عاماً ذهب المقصود : ففي قوله -تعالى- : ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء: ٣٧] قال -رحمه الله-: " يقول -تعالى- ذكّره- خُلِقَ الْإِنسَانُ يعني : آدم من عجل . واختلف أهل التأويل في تأويله : فقال بعضهم : معناه : من عَجَلٍ في بنيته ، وخلقته كان من العجلة وعلى العجلة... وقال آخرون : معناه: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أي: من تعجيل في خلق الله إياه ، ومن سرعة فيه ، وعلى عجل . وقالوا : خلقه الله في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس على عجل في خلقه إياه قبل مغيبها... وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة ممن قال نحو هذه المقالة: إنما قال : ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ وهو يعني : أنه خلقه من تعجيل من الأمر؛ لأنه قال : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠] قال : فهذا العجل . وقوله : ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ إني سأريكم آياتي . وعلى قول صاحب هذه المقالة ، يجب أن يكون كلّ خلق الله خلق على عجل ؛ لأن كل ذلك خلق بأن قيل له كن فكان . فإذا كان ذلك كذلك ، فما وجه خصوص الإنسان إذاً بذكر أنه خُلِقَ من عجل دون الأشياء كلها وكلها مخلوق من عجل؟ . وفي خصوص الله -تعالى- ذكّره- الإنسان بذلك الدليل الواضح على أن القول في ذلك غير الذي قاله صاحب هذه المقالة... وقال آخرون منهم : هذا من المقلوب ، وإنما خلق العجل من الإنسان ، وخلق العجلة من الإنسان... وفي إجماع أهل التأويل على خلاف هذا القول ، الكفاية المغنية عن الاستشهاد على فساده بغيره .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا : الذي ذكرناه عن من قال معناه : خُلِقَ الْإِنسَانُ من عجل في خلقه ، أي : على عجل وسرعة في ذلك . وإنما قيل ذلك كذلك ؛ لأنه

بُودر بخلقه مغيب الشمس في آخر ساعة من نهار يوم الجمعة ، وفي ذلك الوقت نفخ فيه الروح... " (١) فقول الله -تعالى- : ﴿الْإِنْسَانُ﴾ تخصيص له ، وتفسير الآية بخلقه بكلمة : كن ، ضعيف ؛ لأن ذلك ليس خاصاً بالإنسان ، بل هو عام للخلق ، قال -تعالى- : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٢) ؛ ولذلك يجب أن يفسر بما اختص به الإنسان دون ما كان عاماً لجميع الخلق .  
والمقصود من المثال : تضعيف قول من قال : معنى : "خلق من عجل" : أي : بقول الله -عزّ وجلّ- للإنسان : كن فكان ؛ لأن هذا يشترك فيه جميع الخلق ، وأما أن آدم حصل منه أنه استعجل القيام ، أو أنه خلق آخر العصر من يوم الجمعة وأنه طلب تميم خلقه قبل غروب الشمس ، فالظاهر أنه من الإسرائيليات ، " وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج " (٣) ، وهو داخل تحت العموم في المعنى الراجح وهو : أن الإنسان مطبوع على العجلة ، وأما لا تنفك عنه ، كما قال -عزّ وجلّ- : ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١] (٤) ، وقد مثّل سبحانه على استعجال الإنسان بعد ذكر خلقه من عجل فقال : ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٣٨] .

(١) جامع البيان (٩/٢٦-٢٨) .

(٢) رواه البخاري وغيره . برقم (٣٤٦١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً .

(٣) وانظر مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني صفحة (٥٤٨-٥٤٩) ، وفتح القدير للشوكاني (٣/٤٠٧-٤٠٨) ، وأضواء البيان

للشنقيطي (٣/١٠١-١٠٢) .

### المطلب الثالث : أولى العموم ما كان مذكوراً في السياق :

حين يكون اللفظ عاماً فإن المراد ما يدخل تحت معنى هذا اللفظ ، ومن باب التفريق بين دلالة اللفظ ودلالة السياق ، فقد اعتبر دخول ما في السياق دخولاً أولياً :

ففي قوله -تعالى- : ﴿ أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثَ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ مِمَّنْ لِيَسَّ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَسَّ لَهُنَّ عِلْمَ اللَّهِ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَقَّا عَنْكُمْ فَأَلَقْنَ بَشِيرُهُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧] قال -رحمه الله- : " واختلفوا في تأويل قوله : ﴿ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ فقال بعضهم : الولد... وقال بعضهم : معنى ذلك ليلة القدر... وقال آخرون : بل معناه : ما أحله الله لكم ورضخه لكم... "

قال أبو جعفر : والصواب من القول في تأويل ذلك عندني أن يقال : إن الله -تعالى- ذكره - قال : ﴿ وَأَبْتَغُوا ﴾ . بمعنى : اطلبوا ، ﴿ مَا كَتَبَ اللَّهُ ﴾ يعني : الذي قضى الله -تعالى- لكم . وإنما يريد الله -تعالى- ذكره - : اطلبوا الذي كتبت لكم في اللوح المحفوظ أنه يباح فيطلق لكم ، وطلب الولد إن طلبه الرجل بجماعه المرأة مما كتب الله له في اللوح المحفوظ ، وكذلك إن طلب ليلة القدر ، فهو مما كتب الله له ، وكذلك إن طلب ما أحل الله وأباحه ، فهو مما كتبه له في اللوح المحفوظ . وقد يدخل في قوله : ﴿ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ جميع معاني الخير المطلوبة ، غير أن أشبه المعاني بظاهر الآية قول من قال معناه : وابتغوا ما كتب الله لكم من الولد ؛ لأنه عقيب قوله : ﴿ فَأَلَقْنَ بَشِيرُهُنَّ ﴾ . بمعنى : جامعوهن ، فلأن يكون قوله : ﴿ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ . بمعنى : وابتغوا ما كتب الله في مباشرتكم إياهن من الولد والنسل أشبه بالآية من غيره من التأويلات ، التي ليس على صحتها دلالة من ظاهر التنزيل ، ولا خبر عن الرسول -ﷺ- . " (١)

وهذا العموم في قوله : ﴿ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ يدخل فيه أولاً : ما كان السياق فيه ، وهو ابتغاء

(١) جامع البيان (١٧٥/٢-١٧٦) . ومثله في البقرة أيضا الآية (١٩٥) ﴿ وَأَبْتَغُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ الآية جامع البيان (٢١١/٢) .

الولد ؛ لإتيانه بعد المباشرة للأزواج ، ويدخل كل ما يطلب مما كتب لدخول كل هذه المعاني في أمها مكتوبة في اللوح المحفوظ .

وقد يحمل الإمام الخطاب على العموم مع أن الخطاب لمعينين<sup>(١)</sup> : ففي قوله -تعالى- : ﴿ وَهُوَ الَّذِي آتَىٰ جَنَّتِ مَعْرُوشَتِي وَعَجْرَ مَعْرُوشَتِي وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثُلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَاتَ مُتَشَكِّبًا وَعَجْرَ مُتَشَكِّبًا كُنُوزًا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَمَاءُهُمْ حَقُّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُشْرِقُوا لَكُمْ إِلَّا أَنْتُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعام: ١٤١]... في قوله -تعالى- ﴿ وَلَا تُشْرِقُوا لَكُمْ إِلَّا أَنْتُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ قال أبو جعفر : " اختلف أهل التأويل في الإسراف الذي نهى الله عنه بهذه الآية ، ومن المنهي عنه ؟. فقال بعضهم : المنهي عنه : ربّ النخل والزرع والتمر ، والسرف الذي نهى الله عنه في هذه الآية : مجاوزة القدر في العطية إلى ما يحسف بربّ المال... وقال آخرون : الإسراف الذي نهى الله عنه في هذا الموضع : منع الصدقة والحقّ الذي أمر الله ربّ المال بإتيائه أهله بقوله : ﴿ وَمَاءُهُمْ حَقُّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾... وقال آخرون : إنما حوطب بهذا السلطان: نهي أن يأخذ من ربّ المال فوق الذي ألزم الله ماله... "

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله -تعالى- ذكره -نهى بقوله : ﴿ وَلَا تُشْرِقُوا ﴾ عن جميع معاني الإسراف ، ولم يخص منها معنى دون معنى. وإذا كان ذلك كذلك ، وكان الإسراف في كلام العرب : الإخطاء بإصابة الحقّ في العطية ، إما بتجاوز حدّه في الزيادة ، وإما بتقصير عن حدّه الواجب ، كان معلوماً أن المفرّق ماله مبارأة ، والباذلّة للناس حتى أبحفت به عطيته : مسرف بتجاوزه حدّ الله إلى ما [ليس له] ، وكذلك المقصر في بذله فيما ألزمه الله بذله فيه ، وذلك كمنعه ما ألزمه إتياءه منه أهل سهمان الصدقة إذا وجبت فيه ، أو منعه من ألزمه الله نفقته من أهله وعياله ما ألزمه منها ، وكذلك السلطان في أخذه من رعيته ما لم يأذن الله بأخذه . كل هؤلاء فيما فعلوا من ذلك مسرفون ، داخلون في معنى من أتى ما نهى الله عنه من الإسراف بقوله : ﴿ وَلَا تُشْرِقُوا ﴾ في عطيتكم من أموالكم ما يحسف بكم ، إذ كان ما قبله من الكلام أمراً من الله بإتياء

(١) سبق الحديث تفصيلاً عن ذلك في قاعدة : تعيين من نزل بهم الخطاب لا يعني تخصيصهم بل يدخل من يشاهمهم صفحة (٢٧٨) وما بعدها .

الواجب فيه أهله يوم حصاده ، فإن الآية قد كانت تنزل على رسول الله ﷺ - بسبب خاص من الأمور ، والحكم بها على العام ، بل عامة آي القرآن كذلك ، فكذاك قوله : ﴿ وَلَا تَشْرِقُوا إِلَهُكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .<sup>(١)</sup>

وقد يجعل ما ورد في السياق مما يصح به التفسير محتملاً : كما في قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤] قال - رحمه الله - : "...اختلف أهل التأويل في صفة الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم نبيه وخليله - صلوات الله عليه- : فقال بعضهم : هي شرائع الإسلام ، وهي ثلاثون سهماً [أي : شعبة وخصلة]... وقال آخرون : هي خصال عشر من سنن الإسلام... وقال بعضهم : بل الكلمات التي ابتلى بها عشر خلال بعضهن في تطهير الجسد ، وبعضهن في مناسك الحج... وقال آخرون : بل ذلك : إني جاعلك للناس إماماً في مناسك الحج... عن أبي صالح في قوله : ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ : فمنهن : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، وآيات النسك... [و] عن مجاهد في قوله : ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ : قال الله لإبراهيم : إني مبتليك بأمر فما هو ؟ قال : تجعلني للناس إماماً !. قال : نعم . قال : ومن ذريتي ؟ قال : لا ينال عهدي الظالمين . قال : تجعل البيت مثابة للناس . قال : نعم . [قال :] وأمناً ، قال : نعم . [قال :] وتجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك قال : نعم . [قال :] وترينا مناسكنا وتتوب علينا . قال : نعم . قال : وتجعل هذا البلد آمناً قال : نعم . قال : وترزق أهله من الثمرات من آمن منهم . قال : نعم... عن الربيع في قوله : ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ : فالكلمات : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ وقوله : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة: ١٢٥] وقوله : ﴿ وَأَنبِئُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥] وقوله : ﴿ وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾ [البقرة: ١٢٥] ، وقوله : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ [البقرة: ١٢٧] قال : فذلك كله من الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم... وقال آخرون : بل ذلك مناسك الحج خاصة... وقال آخرون : هي أمور منهن

(١) جامع البيان (٣٧١/٥) ، وتحقيق شاكر (١٧٣/١٢) . ومثله في الإسراء (٧٢) ﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْيُنُ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْيُنُ ﴾

وَأَسَدٌ سَيِّدًا ﴿٧٣﴾ جامع البيان (١١٧/٨-١١٨) .



الختان... وقال آخرون : بل ذلك الخلال الستّ : الكوكب ، والقمر ، والشمس ، والنار ، والهجرة ، والختان ، التي ابتلى بمنّ فصبر عليهنّ... وقال آخرون [عن السدي]:...الكلمات التي ابتلى بمنّ إبراهيم ربه : ﴿رَبَّنَا قَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرَيْتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٩].

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله عزّ وجلّ - أخبر عباده أنه اختبر إبراهيم خليله بكلمات ، أوحاهن إليه ، وأمره أن يعمل بمنّ ، فأتمهنّ كما أخبر الله - جلّ ثناؤه - عنه أنه فعل . وجائز أن تكون تلك الكلمات : جميع ما ذكره من ذكرنا قوله في تأويل الكلمات ، وجائز أن تكون بعضه ؛ لأن إبراهيم صلوات الله عليه - قد كان امتحن فيما بلغنا بكل ذلك ، فعمل به وقام فيه بطاعة الله وأمره الواجب عليه فيه . وإذا كان ذلك كذلك ، فغير جائز لأحد أن يقول : عنى الله بالكلمات التي ابتلى بمنّ إبراهيم شيئاً من ذلك بعينه دون شيء ، ولا عنى به كل ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها ، من خبر عن الرسول - ﷺ - ، أو إجماع من الحجة ، ولم يصحّ فيه شيء من ذلك خبر عن الرسول بنقل الواحد ، ولا بنقل الجماعة التي يجب التسليم لما نقلته... ولو قال قائل في ذلك : إن الذي قاله مجاهد ، وأبو صالح ، والربيع بن أنس ، أولى بالصواب من القول الذي قاله غيرهم ، كان مذهباً ؛ لأن قوله : ﴿إِنِّي جَاءَكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] وقوله : ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥] وسائر الآيات التي هي نظير ذلك ، كالبيان عن الكلمات التي ذكر الله أنه ابتلى بمنّ إبراهيم . " (١)

وإنما جعل ما ورد في سياق الآيات محتملاً ؛ لعدم ظهور الدلالة على أن ما بعد الكلمات تفسير لها ، فقال باحتمال الأقوال وأن كلاً له وجهه وحظه من النظر ، وتفسيرها بما يصلح من السياق مذهب .

(١) جامع البيان (١/٥٧٥-٥٧٦) ، وتحقيق شاکر (٧/٣) .

## المطلب الرابع : الأصل في الخطاب العموم ، ولا بد من دليل على التخصيص :

### ١- الأصل العموم ولا يخص اللفظ إلا بدليل :

ففي قوله -تعالى- : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ ثُمَّ يَنْتَصِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٩] قال -رحمه الله- : "يقول -تعالى- ذكره- : والذين إذا بغى عليهم باغٍ واعتدى عليهم ينتصرون . ثم اختلف أهل التأويل في الباغي الذي حمد - تعالى ذكره - المنتصر منه بعد بغيه عليه : فقال بعضهم: هو المشرك إذا بغى على المسلم... وقال آخرون : بل هو كل باغٍ بغى فحمد المنتصر منه... وهذا القول الثاني أولى في ذلك بالصواب ؛ لأن الله لم يخص من ذلك معنى دون معنى ، بل حمد كل منتصر بحقٍ ممن بغى عليه." (١)

فالانتصار المحمود في الاقتصار من الظالم الباغي ، على أي ظلم وقع من مسلم أو كافر ، ولا بد أن يكون العافي والمصلح في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ ثُمَّ يَنْتَصِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٩ - ٤٠] هو المسلم فقط ؛ لأن سياقها فيه ، ولا يؤجر إلا المسلم الموحد ، وأما الباغي: فيدخل فيه المسلم والكافر -والله أعلم-.

### ٢- أدلة تخصيص العموم عند الإمام الطبري -رحمه الله- :

أ- من أدلة تخصيص العموم ما يتبعه من تعقيب : ففي قوله -تعالى- : ﴿ بَكَرًا مِّن كَسَبٍ سَيِّئَةٍ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨١] قال أبو جعفر : " وأما السيئة التي ذكر الله في هذا المكان فإنها الشرك بالله... قال أبو جعفر : وإنما قلنا : إن السيئة -التي

(١) جامع البيان (١٥٥/١١) . ومثله في : البقرة (١٨) ﴿ هُمْ بِكُمْ عَمَىٰ فَمَن لَّا يَجِدُونَ ﴾ [١٨] جامع البيان (١٨١/١) ، و(٤٤) ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [٤٤] جامع البيان (٢٩٦-٢٩٧) ، و(٢٢٤) ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلُّوا وَيُؤْتُوا زَكَاةً وَأَنَّهُ سَبِّحٌ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالسَّمَاءُ وَالْأَرْضُ كُلٌّ لَّهُ قَانُونَ ﴾ [٢٦] جامع البيان (١٧٩/١٠) ، والرحمن (٧٢) ﴿ حُرِّمَتْ مَقْصُورَاتُ الْبَنَاتِ فِي الْغِيَابِ ﴾ [٧٢] جامع البيان (٦١٦/١١) .

ذكر الله - جل ثناؤه - أن من كسبها وأحاطت به خطيئته فهو من أهل النار المخلدن فيها - في هذا الموضوع ، إنما عني الله بما بعض السيئات دون بعض ، وإن كان ظاهرها في التلاوة عاماً ؛ لأن الله قضى على أهلها بالخلود في النار ، والخلود في النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان به لتظاهر الأخبار عن رسول الله - ﷺ - بأن أهل الإيمان لا يخلدون فيها ، وأن الخلود في النار لأهل الكفر بالله ، دون أهل الإيمان ، فإن الله - جل ثناؤه - قد قرن بقوله : ﴿ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٨١) قوله : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٨٢) [البقرة: ٨٢] فكان معلوماً بذلك أن الذين لهم الخلود في النار من أهل السيئات ، غير الذي لهم الخلود في الجنة من أهل الإيمان... " (١)

فاستدل - رحمه الله - على معنى السيئة التي خلد أصحابها في النار بأنها الشرك ؛ لأن مقابل هذا الفريق هم المؤمنون الخالدون في الجنة ، ولا شك أن مقابل الكفر الإيمان وليست السيئة : المعصية من مسلم موحد (٢) .

ب- ومن أدلة تخصيص العموم الاستثناء : كما في قوله - تعالى - : ﴿ وَعَلَىٰ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَنَرِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (١٥) [الأنعام: ١٤٦] قال أبو جعفر : "اختلف أهل التأويل في الشحوم التي أخبر الله - تعالى - ذكره - أنه حرمها على اليهود من البقر والغنم: فقال بعضهم : هي شحوم الثروب خاصة (٣)... وقال آخرون : بل ذلك كان كل شحم لم يكن مختلطاً بعظم ولا على عظم... وقال آخرون : بل ذلك شحم الثرب والكلبي... قال أبو جعفر : والصواب في ذلك من القول أن يقال : إن الله أخبر أنه كان حرم على اليهود

(١) جامع البيان (١/٤٢٨-٤٢٩) ، وتحقيق شاكر (٢/٢٨١) . وانظر مثله في البقرة أيضاً آية (١٩٧) ﴿ الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَتٌ ﴾

فَمَنْ قَرَضَ فِيهِمْ لَلْحَجِّ فَلَا رَفَثَ وَلَا سُوفَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴿ الآية جامع البيان (٢/٢٨٢ و ٢٨٧ و ٢٨٩) .

(٢) انظر تفسير آيات أشكلت (١/٣٨٨) لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق الشيخ : عبد العزيز الخليفة .

(٣) الثروب : الشحم الذي يغشى الكرش والأمعاء ، وهو رقيق ، انظر مختار الصحاح صفحة (٧٠) .

من البقر والغنم شحومهما ، إلا ما استثناه منها : مما حملت ظهورهما ، أو الحوايا ، أو ما اختلط بعظم ، فكل شحم سوى ما استثناه الله في كتابه من البقر والغنم ، فإنه كان محرماً عليهم . " (١)

فالله عز وجل - حرم الشحوم على اليهود واستثنى منها أشياء فكل المستثنى حلال ، وكل ما لم يدخل في المستثنى حرام .

ج- ومن أدلة تخصيص العموم : المقابلة لشيء واللفظ عام : كما في قوله - تعالى - : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَمُحَرَّمٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَإِنْ كَانَ يَكُن مِثْلَهُ فَمَا بِشُرَكَائِهِمْ سَبِّحُوهُمْ وَبَشِّرُوهُمْ إِنَّهُمْ عَلَىٰ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿١٣٨﴾ [الأنعام: ١٣٩] قال - رحمه الله - : " وأما قوله : ﴿ وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى بالأزواج : فقال بعضهم : عنى بها النساء... وقال آخرون : بل عنى بالأزواج البنات...

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن هؤلاء المشركين أنهم كانوا يقولون لما في بطون هذه الأنعام - يعني : أنعامهم - : هذا محرّم على أزواجنا ، والأزواج إنما هي نساؤهم في كلامهم ، وهن - لا شك - بنات من هن أولاده ، وحلائل من هن أزواجه . " (٢)

فاستفيد من مقابلة الأزواج بالذكور : أن الأزواج : الإناث ، سواء كن متزوجات أم غير متزوجات ، وفي ذلك قال الشوكاني - رحمه الله - : " جنس الأزواج ، وهن النساء ، فيدخل في ذلك البنات والأخوات ونحوهن . " (٣)

ومن سوق الأمثلة الماضية وما يشابهها يظهر للمتأمل : أن العموم والخصوص بحسب ما يضاف إلى اللفظ من أوصاف وحدود ، وأن هناك لوازم تلزم القول بالعموم ، وهناك أمور مانعة من القول بالعموم أيضاً ، وأن كل لفظ عام فإن ما ذكر في السياق يدخل فيه دخولاً أولياً ، وأن الأصل في المعنى العموم ، إلا أن يدل دليل على الخصوص ، كالتعقيب والاستثناء والمقابلة .

(١) جامع البيان (٥/٣٨٣) ، وتحقيق شاکر (١٢/٢٠١) .

(٢) جامع البيان (٥/٣٥٨) ، وتحقيق شاکر (١٢/١٣٩) .

(٣) فتح القدير (٢/١٦٧) ، وانظر روح المعاني للآلوسي (٨/٥٣) .

## المبحث الثالث : مراعاة المخاطب والمتكلم :

إن مراعاة المخاطب والمتكلم الواردة في السياق توصل إلى ترجيح ما يناسبهما وتضعف ما سوى ذلك ، فالمخاطب أو المتكلم إذا كان هو الله -عزّ وجل- فإن معنى الكلام يحمل على ما يناسب صفاته ، ويتفق مع مراده ، دون الأشياء التي لا تدخل تحت قصده ، ولا تكون من مراده ، وكذا حزب الله من الأنبياء والصالحين ، وأعداؤه من الشياطين والكافرين ونحوهم ، يحمل كلامهم على ما يناسب قصدهم ومرادهم دون غيره.

١- مثال على مراعاة المخاطب والموصوف : في قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ثَلَاثِينَ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النحل: ٧٥ - ٧٦] رجع -رحمه الله - : أن المراد في المثل الأول : في قوله : ﴿ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ﴾ هو المؤمن وليس الله -عزّ وجل- ؛ لقوله : ﴿ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ﴾ والله هو الرازق لا المرزوق ، وليس إفضال الله وجوده مثل إنفاق من رزق رزقاً حسناً .

وفي المثل الثاني : رجع أن المراد بقوله : ﴿ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾ : الصنم العاجز عن كل شيء ، وليس المراد البشر من الكفار الأحياء ؛ لأن من الكفار : من هو قادر غني ، يبذل جهده فيضرب وينفع -بإذن الله- ، والله -سبحانه - ذكر أنهم لا يقدر على شيء ، وهذا الوصف يناسب الصنم العاجز ، لا الكافر الذي له شيء من القدرة والبيان.<sup>(١)</sup>

٢- مثال على ترجيح معنى مناسب بعد تحديد المخاطب : كما في قوله -تعالى- : ﴿ وَتَوَّكَأَ

(١) انظر جامع البيان (٧/٦٢٢-٦٢٤) بمعناه .

لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ [يس: ٦٦] قال - رحمه الله -: "اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: ولو نشاء لأعميهم عن الهدى، وأضللناهم عن قصد المحجة... وقال آخرون: معنى ذلك: ولو نشاء لتركناهم عمياً... عن الحسن في قوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ قال: لو يشاء لطمس على أعينهم فتركهم عمياً يترددون... [و] عن قتادة: قوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ يقول: لو شئنا لتركناهم عمياً يترددون. وهذا القول الذي ذكرناه عن الحسن وفتادة أشبه بتأويل الكلام؛ لأن الله إنما تهدد به قومًا كفارًا، فلا وجه لأن يقال: وهم كفار، لو نشاء لأضللناهم، وقد أضلهم، ولكنه قال: لو نشاء لعاقبناهم على كفرهم، فطمسنا على أعينهم فصيرناهم عمياً، لا يبصرون طريقاً، ولا يهتدون له. (١)

فتهديد الكفار بطمس الأعين معناه: عقوبة حقيقية بعمى البصر، ولا يصح حمل التهديد على شيء مجازي واقع بهم وقت الخطاب، أو في نص الخطاب كالضلال والغي.

### ٣- تضعيف السياق لتحديد مخاطب بعيد: ولذلك سبيان:

- أ- تضعيف تحديد مخاطب في الآية للزوم تكرار لا فائدة له .  
 ب- تضعيف تحديد مخاطب في الآية إذا ترتب عليه اختلاف المعنى بين معطوفين مشتركين .

(١) جامع البيان (١٠/٤٥٨-٤٥٩). وانظر مواضع أخرى مشاهمة في: البقرة (١٦٦) ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ ﴿١٥﴾ جامع البيان (٢/٧٥)، و(٢١٧) ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمِ قُلْ فِيهِ كِبِيرٌ وَصَدٌّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ الآية جامع البيان (٢/٣٦٤)، والمائدة (٢٤) ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ إِنَّكِ عَلَىٰ غَيْرٍ عَلِيمًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادَّهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكِ فَفَقْتِلَا إِنَّا هُنَا قَائِمُونَ﴾ ﴿١٦﴾ جامع البيان (٤/٥٢١)، والأنعام (١١٩) ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا دُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ الآية جامع البيان (٥/٣٢١)، والأعراف (٢٩-٣٠) ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾. الآيتين جامع البيان (٥/٤٦٥ و٤٦٧)، والفرقان (٢٢) ﴿يَوْمَ يَرُونَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيُقَالُونَ يَا جِبْرًا عَجَبًا﴾ ﴿٢٣﴾ جامع البيان (٩/٣٧٩-٣٨٠)، والجن (٣) ﴿وَأَنَّهُ تَمَلَّحَ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صُحْبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ ﴿٢٤﴾ جامع البيان (١٢/٢٦٠-٢٦١).

أ- تضعيف تحديد مخاطب في الآية للزوم تكرار لا فائدة له: ففي قوله -تعالى-: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفْرًا أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٨﴾ [النساء: ١٨] قال -رحمه الله-: "واختلف أهل التأويل فيمن عني بقوله: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ﴾ فقال بعضهم: عني به أهل النفاق... وقال آخرون: بل عني بذلك أهل الإسلام... عن سفيان [أي: الثوري] قال: بلغنا في هذه الآية: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ﴾ قال: هم المسلمون، ألا ترى أنه قال: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفْرًا﴾؟ . وقال آخرون: بل هذه الآية كانت نزلت في أهل الإيمان، غير أنها نسخت...

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب: ما ذكره الثوري أنه بلغه أنه في الإسلام، وذلك أن المنافقين كفار، فلو كان معنيًا به أهل النفاق لم يكن لقوله: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفْرًا﴾ معنى مفهوم؛ إذ كانوا والذين قبلهم في معنى واحد من أن جميعهم كفار، ولا وجه لتفريق أحكامهم والمعنى الذي من أجله بطل أن تكون [لهم] توبة واحد. وفي تفرقة الله -جل ثناؤه- بين أسمائهم وصفاتهم بأن سمي أحد الصنفين كافرا، ووصف الصنف الآخر بأهم أهل سيئات، ولم يسمهم كفاراً ما دل على افتراق معانيهم، وفي صحة كون ذلك كذلك صحة ما قلنا، وفساد ما خالفه. (١)

فإذا لزم من القول تكرار فلا يصح القول به، ولا بد من حمله على غيره، فالمنافق كافر وقد ذكر في الآية الفريق الثاني وهم: الذين يموتون وهم كفار، فيدخل فيهم المنافقون، أما الفريق الأول فليس منافقاً؛ لدخول المنافق مع الذين يموتون وهم كفار، فالواجب حمل الآية على جديد غير مكرر، فالمعنى بالخطاب في قوله: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ﴾ هم أهل السيئات من المسلمين، وأما الذين يموتون وهم كفار فيشمل الكفار

(١) جامع البيان (٣/٦٤٥-٦٤٦)، وتحقيق شاکر (١٠٠/٨).

والمناقضين ، وحينئذ لا تكرر في الآية .

ب- تضعيف تحديد مخاطب في الآية إذا ترتب عليه اختلاف في المعنى بين معطوفين  
 مشتركين : ففي قوله -تعالى- : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٥] استدلال -رحمه الله: على ضعف قول من ظنَّ أن الخطاب في قوله : ﴿ وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ على وجه الأمر والإلزام بصيغة الخبر ، بأن الواجب عليه أن يكون معنى الآية : أن كل من بلغ أشده أن يقول : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ والواقع يشهد بوجود من يكفر بالله ويجرؤ على والديه وهذا لا ينكره أحد ؛ مما يدل على أن المخاطب الموصوف بقوله : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ بعض الناس لا كلهم ، كما أن الحمل يولد مختلفاً في الواقع ، فليس المقصود بقوله -تعالى- : ﴿ وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ كل الحمل ، بل هناك من يولد لتسعة أشهر ، وهم الأكثر ، ومن يولد لستة ، ومن يولد لأربع سنين ، وغير ذلك .<sup>(١)</sup>

فكما أن الدعاء في قوله : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ لا يكون إلا من مسلم مؤمن ؛ لأن هناك في الواقع من لا يقوله من الكفار ، فكذلك يقال في المعطوف المشترك معه : الحمل والفصال ، فليس كل الناس يكون حملة وفصالة في هذه المدة ، بل حمل الناس مختلف كما سبق .

٤- سياق القصة قد يكون مرجحاً لمخاطب : كما في قوله -تعالى- : ﴿ وَقَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً مِّنَ الْقُرْآنِ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَشَدِيدٌ ﴾ [غافر: ٢٨] قال -رحمه الله- : " اختلف أهل العلم في هذا الرجل المؤمن : فقال بعضهم : كان من قوم فرعون ، غير أنه كان قد آمن بموسى ، وكان يُسرِّ إيمانه من فرعون

(١) انظر جامع البيان (٥٠٨/٢) ، وتحقيق شاكر (٤٠/٥) . عند تفسير آية الرضاعة من سورة البقرة (٢٣٣) ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّقَهُنَّ ﴾ الآية ، ولم يتكرر في الأحقاف .



وقومه خوفاً على نفسه... وقال آخرون: بل كان الرجل إسرائيلياً، ولكنه كان يكتنم إيمانه من آل فرعون...

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي... أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون، قد أصغى لكلامه، واستمع منه ما قاله، وتوقف عن قتل موسى عند نهي عن قتله، وقيله ما قال، وقال له: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا آرَأَىٰ وَمَا آهَدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، ولو كان إسرائيلياً لكان حرياً أن يعاجل هذا القائل له ولملئه ما قال بالعقوبة على قوله؛ لأنه لم يكن يستنصح بني إسرائيل، لاعتداده إياهم أعداء له، فكيف بقوله عن قتل موسى لو وجد إليه سبيلاً! ولكنه لما كان من ملاً قومه، استمع قوله، وكفّ عما كان همّ به في موسى.<sup>(١)</sup>

فاستدلّ بسير القصة، وطول صبر فرعون على صراحة الرجل، وقوة نصحه، على ترجيح ماهية الرجل المؤمن، وأنه من قوم فرعون لا من بني إسرائيل؛ لأنه لو كان من بني إسرائيل وهم أعداء فرعون لما كان من فرعون كل هذا الصبر والتؤدة.

٥- وقد يكون ترجيح معنى كلمة ترد في السياق مرجحاً لمراد بخطاب في كلمة أخرى:

كما في قوله -تعالى-: ﴿وَإِخْرَاجَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّيمِيقُنَا لَهُمُ الْعَذَابَ فَكُلَّمَا أَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ قَالَ رَبِّ ارْحَمْنِي إِنَّهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]... ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: أهلك هؤلاء الذين أهلكتهم، ﴿بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ أي: بعبادة من عبد العجل؟ قالوا: وكان الله إنما أهلكهم؛ لأنهم كانوا ممن يعبد العجل، وقال موسى ما قال، ولا علم عنده بما كان منهم من ذلك... وقال آخرون: معنى ذلك: أن إهلاكك هؤلاء الذين أهلكتهم، هلاك لمن وراءهم من بني إسرائيل إذا انصرف إليهم، وليسوا معي، والسفهاء على هذا القول كانوا المهلكين الذين سألو أن يريهم ربهم...

قال أبو جعفر: وأولى القولين بتأويل الآية: قول من قال: إن موسى إنما حزن على هلاك

(١) جامع البيان (٥٤/١١). وانظر مثالا آخر في غافر (٤٣) ﴿لَا جُزْمَ أُنْمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَكَ دَعْوَةٌ فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ

مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [٤٣] جامع البيان (٦٤/١١).

السبعين بقوله: ﴿ **أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْسُفَهَاءُ مِنَّا** ﴾ ، وأنه إنما عني بالسفهاء : عبدة العجل وذلك أنه محال أن يكون موسى - ﷺ - كان تخير من قومه لمسألة ربه ما أراه أن يسأل لهم إلا الأفضل فالأفضل منهم ، ومحال أن يكون الأفضل كان عنده من أشرك في عبادة العجل واتخذة دون الله إلهاً...<sup>(١)</sup> فالمقصود من السفهاء في هذه الآية : هم عبدة العجل على الصحيح ، وليس السبعين الذين أشار الله إلى أن موسى - ﷺ - اختارهم منهم ؛ فموسى لا يختار إلا الأفضل ، وعبدة العجل المشركون بالله ليسوا هم الأفضل .

٦- قد يتحدد من السياق سن المتحدث فيه : كما في قوله - تعالى - : ﴿ **وَإِذْ رَفَعْنَا إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [البقرة: ١٢٧] قال - رحمه الله - : " ثم اختلف أهل التأويل في الذي رفع القواعد ، بعد إجماعهم على أن إبراهيم كان ممن رفعها ، فقال بعضهم : رفعها إبراهيم وإسماعيل جميعاً... وقال آخرون : بل رفع قواعد البيت إبراهيم ، وكان إسماعيل يناوله الحجارة... وقال آخرون : بل الذي رفع قواعد البيت إبراهيم وحده ، وإسماعيل يومئذ طفل صغير... "

والصواب من القول عندنا في ذلك : أن المضمرة من القول لإبراهيم وإسماعيل ، وأن قواعد البيت رفعها إبراهيم وإسماعيل جميعاً ، وذلك أن إبراهيم وإسماعيل إن كانا هما بنيها ورفعها فهو ما قلنا ، وإن كان إبراهيم تفرّد ببناؤها ، وكان إسماعيل يناوله ، فهما أيضا رفعها ؛ لأن رفعها كان بكما ، من أحدهما البناء ، ومن الآخر نقل الحجارة إليها ومعونة وضع الأحجار مواضعها . ولا تمتنع العرب من نسبة البناء إلى من كان بسببه البناء ومعونته . وإنما قلنا ما قلنا من ذلك ؛ لإجماع جميع أهل التأويل على أن إسماعيل معني بالخبر الذي أخبر الله عنه وعن أبيه أنهما كانا يقولانه ، وذلك قولهما : ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ**

(١) جامع البيان (٧٦/٦-٧٧) ، وتحقيق شاکر (١٤٩/١٣) . ونحوه في النساء (١٩) ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَصُولُوهُنَّ لِنْتَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَضْلٍ مَبِينٍ** ﴾ الآية جامع البيان (٦٤٩/٣-٦٥١) ، والمائدة (٣٤) ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ جامع البيان (٥٦٦/٤) ، ويوسف (٢٠) ﴿ **وَشَرُّهُ يُشْرِبُ بِخَيْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ** ﴾ جامع البيان (١٦٨/٧) .

وَمَا إِنَّا إِنَّا أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٦٨﴾ فمعلوم أن إسماعيل لم يكن ليقول ذلك إلا وهو : إما رجل كامل ، وإما غلام قد فهم مواضع الضر من النفع ، ولزمته فرائض الله وأحكامه . وإذا كان في حال بناء أبيه ما أمره الله ببناؤه ورفع قواعده بيت الله كذلك ، فمعلوم أنه لم يكن تاركاً معونة أبيه ، إما على البناء ، وإما على نقل الحجارة . وأي ذلك كان منه فقد دخل في معنى من رفع قواعده البيت ، وثبت أن القول المضمّر خير عنه وعن والده إبراهيم - عليهما السلام - .<sup>(١)</sup>

فاستدلّ - رحمه الله - بدعائهما ربّهما الدال على التكليف وصحة القرابة والقصد، أن إسماعيل - عليه السلام - مكلف كبير أو مميز عاقل ، وهذا الدعاء وقع منهما في رفع بناء البيت ، فهو دليل على أنه ليس بصغير لا يحسن رفع الحجارة ووضعها ، كما في بعض الأقوال .

٧- قد يرجح السياق عدد الموصوفين : كما في قوله - تعالى - : ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ رَبُّنَا يَأْتِي اللَّهَ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩] قال - رحمه الله - : " وقد قيل إن الله - جل ثناؤه - عني بقوله : ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ كعب بن الأشرف<sup>(٢)</sup>... قال أبو جعفر : وليس لقول القائل عني بقوله : ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ كعب بن الأشرف معنى مفهوم ؛ لأن كعب بن الأشرف واحد ، وقد أخبر الله - جل ثناؤه - أن كثيراً منهم يودّون لو يردّون المؤمنين كفاراً بعد إيمانهم . والواحد لا يقال له : كثير . بمعنى الكثرة في العدد ، إلا أن يكون قائل ذلك أراد بوجه الكثرة التي وصف الله بها من وصفه بها في هذه الآية : الكثرة في العزّ ورفع المنزلة في قومه وعشيرته ، كما يقال : فلان في الناس كثير ، يراد به كثرة المترلة والقدر . فإن كان أراد ذلك فقد أخطأ ؛ لأن

(١) جامع البيان (١/٦٠١-٦٠٢) ، وتحقيق شاكر (٣/٦٥) .

(٢) هو كعب بن الأشرف ، من طيء ، ثم أحد بني نبهان ، أمه من بني النضير ، ألب قريشا على المسلمين بعد بدر وهو معاهدهم ، وشاعر يهجو رسول الله - ﷺ - ، قتل بعد بدر وقصته في البخاري . معالم السنة للخطابي (٢/٣٣٨) ، والسيرة النبوية لابن هشام (٢/١٦٠) ، وتاريخ الأمم والملوك (٢/٤٨٧) ، وفتح الباري (٧/٣٣٦) ، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية صفحة (٣٧٣) .

الله - جل ثناؤه - قد وصفهم بصفة الجماعة ، فقال : ﴿ **الْكِتَابَ لَوْ يُرَدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَغَارًا حَسَكًا** ﴾ فذلك دليل على أنه عنى الكثرة في العدد . أو يكون ظن أنه من الكلام الذي يخرج مخرج الخبر عن الجماعة ، والمقصود بالخبر عنه الواحد... فيكون ذلك أيضاً خطأ ، وذلك أن الكلام إذا كان بذلك المعنى فلا بد من دلالة فيه تدل على أن ذلك معناه ، ولا دلالة تدل في قوله : ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِمَّنْ أَهْلُ الْكِتَابِ** ﴾ أن المراد به واحد دون جماعة كثيرة ، فيجوز صرف تأويل الآية إلى ذلك وإحالة دليل ظاهره إلى غير الغالب في الاستعمال . " (١)

فالظاهر في السياق أن الموصوفين جماعة لا فرد ، فلا يصح القول بأن الموصوف فرد ؛ لأن الظاهر من الخطاب أنه وصف لجمع ، ولا دليل على إرادة غيره .

٨- السياق قد يرجح ماهية الموصوف : كما في قوله -تعالى- : ﴿ **قَالَ هِيَ رَزَقَتْنِي عَنْ قَيْسِ** **وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَيْصُومًا قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [يوسف: ٢٦] قال -رحمه الله- : " وأما قوله : ﴿ **وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا** ﴾ فإن أهل العلم اختلفوا في صفة الشاهد : فقال بعضهم : كان صبيّاً في المهدي... وقال آخرون : كان رجلاً ذا لحية... وقيل : معنى قوله : ﴿ **وَشَهِدَ شَاهِدٌ** ﴾ : حكم حاكم... وقال آخرون [كمجاهد]: إنما عني بالشاهد القميص المقدود... قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : قول من قال : كان صبيّاً في المهدي؛ للخبر الذي ذكرناه عن رسول الله -ﷺ- أنه ذكر من تكلم في المهدي ، فذكر أن أحدهم صاحب يوسف (٢) .

(١) جامع البيان (١/٥٣٤-٥٣٥) ، وتحقيق شاکر (٢/٤٩٩) .

(٢) لم يذكر ابن جرير -رحمه الله- نص الحديث ، ومن رواياته : "تكلم أربعة وهم صغار هذا [يعني ولد ماشطة ابنة فرعون] وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى ابن مريم - عليه السلام - " ، وهذا لفظ الحاكم في المستدرک عن ابن عباس (٢/٤٩٦-٤٩٧) ، وأشار الذهبي في تلخيصه إلى صحته ، ورواه الحاكم أيضا عن أبي هريرة (٢/٥٩٥) بمعناه ، ورواه أحمد في مسنده عن ابن عباس (١/٣٠٩) برقم (٢٨٢٢) ، وقال أحمد شاکر : في تحقيق المسند إسناده صحيح (٤/٣٩٥) ، وفي تحقيق تفسير جامع البيان (١٦/٥٥) قال في حديث المسند : إنه موقوف على ابن عباس ، ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٢٤٤) ، وقال الخقق محمد السعيد بسبوني زغلول : " وهو نفس إسناده الحاكم " ، وقال ابن كثير في تفسيره : إسناده البيهقي : لا بأس به . (٣/١٦) .

فأما ما قاله مجاهد : من أنه القميص المقدود ، فما لا معنى له ؛ لأن الله -تعالى ذكّره- أخبر عن الشاهد الذي شهد بذلك أنه من أهل المرأة ، فقال : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ ، ولا يقال للقميص هو من أهل الرجل ولا المرأة .<sup>(١)</sup>

فوصف الشاهد أنه من أهل المرأة دليل على ضعف من قال : الشاهد القميص المقدود ؛ لأنه لا يقال للقميص في اللغة من أهل المرأة أو الرجل .

وهكذا يتضح أنه ينبغي على المفسر مراعاة المخاطب أو المتكلم ، وما يمكن أن يقصده ، وأن لذلك أثراً كبيراً في فهم الكلام ، ومعرفة ما يلزم منه التكرار ونحوه ، وقد يستفاد من عرض القصة وسوقها تحديد المخاطب أو المتكلم وحاله وسنّه ، وعدد الموصوفين وماهيتهم . -كما تقدم- .

(١) جامع البيان (٧/١٩٣-١٩٤) ، وتحقيق شاكر (١٦/٥٣) .

## المبحث الرابع :

### دلالة السياق واللحاق وموضوع السورة على ترجيح معنى :

وقد يرجح سباق الكلام أو لحاقه أو هما مجتمعان معنى ، وهذا المبحث أهم مباحث الفصل ،

وستكون الأمثلة عليه من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : أمثلة ترجيح السباق لمعنى .

المطلب الثاني : أمثلة ترجيح اللحاق لمعنى .

المطلب الثالث : أمثلة الترجيح لمعنى بدلالة السياق واللحاق معاً .

المطلب الرابع : الاستدلال بموضوع السورة على ترجيح معنى .

## المطلب الأول : أمثلة الترجيح بالسباق :

كما في قوله -تعالى- : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ قَائِلٌ اللَّهُ يَوْمَ عَلِيمٌ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ٢٧٣] ... في قوله -تعالى- : ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ قال أبو جعفر : " يقال : قد ألحف السائل في مسألته إذا ألح فهو يلحف فيها إلحافاً .

فإن قال قائل : أفكان هؤلاء القوم يسألون الناس غير إلحاف ؟ قيل: غير جائز أن يكون كانوا يسألون الناس شيئاً على وجه الصدقة، إلحافاً أو غير إلحاف، وذلك أن الله -عزَّ وجلَّ- وصفهم بأنهم كانوا أهل تعفف ، وأهم إنما كانوا يعرفون بسيماهم ، فلو كانت المسألة من شأنهم لم تكن صفتهم التعفف ، ولم يكن بالنبي -ﷺ- إلى علم معرفتهم بالأدلة والعلامة حاجة ، وكانت المسألة الظاهرة تنبئ عن حالهم وأمرهم." (١)

فنفي السؤال الملحف لا يعني وجود سؤال غير ملحف ؛ لأنه سبق وصفهم بأنهم يعرفون بسيماهم في قوله : ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ ، ولو كانوا يسألون لعرفوا بالسؤال، سواء ألحفوا في السؤال أم لم يلحفوا ، فيعرفون بغير السيماء ، وهذا الذي عليه جمهور المفسرين . (٢) ورجحه الشيخ زاده (٣) وقال : " وهو أنسب ؛ للمبالغة في وصف التعفف " (٤) .

ومال الزمخشري : إلى أنهم يسألون ولا يلحون ، وضعف الرازي هذا القول ، ورجحه ابن

(١) جامع البيان (٣/٩٨-١٠٠) ، وتحقيق شاکر (٥/٥٩٧) .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (جزء ٣/٢٢٢) ، وفتح القدير (١/٢٩٣) ، وروح المعاني (٣/٧٧) .

(٣) هو محمد بن محي الدين بن مصطفى ، مصلح الدين ، القوجوي ، الشهير بشيخ زاده ، مفسر فقيه حنفي ، كان مدرساً في استانبول له حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي ، وهي أعظم الحواشي فائدة ، توفي سنة خمسين وتسعمائة ، وقيل :

إحدى . انظر شذرات الذهب (٨/٢٨٦) ، والأعلام (٧/٣٢٠) .

(٤) حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي (١/٥٨٥) طبع دار صادر .

القيم فقال : "والنفي متسلط عليهما ، أي : لا يسألون ولا يلحفون " (١) ، وقال باحتمالهما : ابن عطية والسعدي . - رحمهم الله- (٢)

وفي قوله -تعالى- : ﴿ قَالَ يَبْنَوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّي أَخْطَأُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [هود: ٤٦] قال أبو جعفر : " يقول الله -تعالى- ذكروه- : قال الله : يا نوح إن الذي غرقته ، فأهلكته -الذي تذكر أنه من أهلك - ليس من أهلك . واختلف أهل التأويل في معنى قوله : ﴿ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ فقال بعضهم : معناه : ليس من ولدك ، هو من غيرك . وقالوا : كان ذلك من جنث [أي : إثم]... وقال آخرون : معنى ذلك : لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ الذين وعدتك أن أنجيهم... "

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : تأويل ذلك : إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم ؛ لأنه كان لدينك مخالفاً وي كافرأ ، وكان ابنه ؛ لأن الله -تعالى- ذكروه- قد أخبر نبيه محمداً -ﷺ- أنه ابنه ، فقال : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾ [هود: ٤٢] ، وغير جائز أن يخبر أنه ابنه ، فيكون بخلاف ما أخبر . وليس في قوله : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ دلالة على أنه ليس بابنه ، إذ كان قوله : ﴿ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ محتملاً من المعنى ما ذكرنا ، ومحتماً إنه ليس من أهل دينك ، ثم يحذف الدين فيقال : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ ، كما قيل : ﴿ وَسَكَلِ الْقَرْبَةَ أَلَى كُنَّا فِيهَا ﴾ [يوسف: ٨٢] (٣) . فليس معنى : ﴿ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ أنه ليس من صلبك ؛ لإخبار الله قبل ذلك أن نوحاً نادى ابنه في قوله : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾ ، وعليه فيحمل معنى : ﴿ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ على المعنى الموافق لإثبات هذا الابن لنوح -ﷺ- فيكون المعنى : ليس من أهلك الذين سينجون من الغرق .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَا ﴾ [الرحمن: ٦٦] قال أبو جعفر : " يقول -تعالى- ذكروه- : في هاتين العنتين ، من دون العنتين اللتين هما لمن خاف مقام ربه ، ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَا ﴾ ، يعني : فوارتان . واختلف أهل التأويل في المعنى الذي تنضحان به : فقال بعضهم : تنضحان

(١) انظر الكشاف (٣٩٨/١) ، ومفاتيح الغيب (جزء ٧/٨٨) ، وانظر بدائع التفسير (٤٣٤/١) .

(٢) انظر المحرر الوجيز (٣٤٠/٢) ، وتيسير الكريم الرحمن صفحة (١٠٨) .

(٣) جامع البيان (٥٠٧/٥٢) ، وتحقيق شاكر (٣٤٠/١٥) .



بالماء... وقال آخرون : بل معنى ذلك أنهما ممتلئتان... وقال آخرون : تنضخان الماء والفاكهة... وقال آخرون : نضاختان بألوان الفاكهة... وقال آخرون : نضاختان بالخير... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : عُنِيَ بذلك أنهما تنضخان بالماء؛ لأنه المعروف بالعيون إذ كانت عيون ماء .<sup>(١)</sup>

فالراجح في معنى النضخ : أنه نضخ بالماء ؛ لأن الناضخ عينان ، وهما عيون ماء ، وهذا هو المشهور من المعنى هنا .<sup>(٢)</sup>

(١) جامع البيان (١١/٦١٢-٦١٣) .

(٢) وانظر بقية المواضع في : الفاتحة (٦) ﴿ اٰمِدًا تَصِرَطِ الْمُنْتَقِمِ ﴾ جامع البيان (١/١٠٣) ، والبقرة (١٧) ﴿ مَتَلِّهْمُ كَنَلِ الَّذِي اَسْتَوَقَدَ نَارًا فَلَمَّا اَضَاعَتْ مَا حَوْلَهُ دَهَبَ اِلٰهَ يَتَوَرَّهٖمْ وَرَزَّكَهُمْ فِي ظُلُمٰتٍ لَا يَبْصُرُوْنَ ﴾ جامع البيان (١/١٧٨) ، و (٥٧) ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَاَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَاَلْسَلٰوِيَّ ﴾ الآية جامع البيان (١/٣٣٨) ، و (١٨٤) ﴿ اَيٰمًا مَّمْدُوْدَةٌ فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَّرِيضًا اَوْ عَلٰى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ اَيّٰمٍ اٰخَرَ ﴾ الآية جامع البيان (٢/١٣٦) ، و (١٩٦) ﴿ وَاٰمِنُوْا بِالْحَجِّ وَالْمَعْرَةِ لِلّٰهِ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٢٦٤) ، و (٢٢٣) ﴿ يَسْأَلُوْكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَاَنْتُمْ حَرْثُهُمْ اَنْنٰى شِئْتُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٤١١) ، و (٢٢٥) ﴿ لَا يُؤٰخِذُكُمُ اللّٰهُ بِاللّٰغُوِّ فِيْ اٰيٰتِكُمْ وَلٰكِنْ يُؤٰخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ فَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللّٰهَ وَاِيٰتِيْكُمْ فَاَلْبَسُوْا لِيْكُمْ اٰيٰتِيْهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اِذَا تَدٰبَرْتُمْ يَدِيْنَ اِلَى اللّٰهِ اٰكْبَرُ مَسْئُوْمٌ فَاَلْبَسُوْهُ ﴾ الآية جامع البيان (٣/١٢٥) ، و آل عمران (٧٥) ﴿ وَمِنْ اٰهْلِ الْكِتٰبِ مَن تٰمَنَتْهُ يَتَطٰوَرُ يُوْذُوْهُ اِلَيْكَ وَيَمْتُهُمْ مِّنْ اِنْ تٰمَنَتْهُ يَدِيْنا رَ لَا يُؤٰذُوْهُ اِلَيْكَ اِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قٰلِمًا ﴾ الآية جامع البيان (٣/٣١٦) ، و (٩٧) ﴿ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اِذَا قٰمْتُمْ مِّنْ مَّكٰنٍ يَّيْنِكُمْ مَّقٰمًا لِزَهِيمٍ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ﴾ الآية جامع البيان (٣/٣٦٩) ، و (١١٨) ﴿ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لَا تَنۢجِحُوْا بِطٰغٰنَةٍ مِّنْ دُوْرِكُمْ لَا يٰٓاَلُوْكُمْ حَبٰلًا ﴾ الآية جامع البيان (٣/٤٠٩) ، و (١٣٥) ﴿ وَالَّذِيْنَ اِذَا قُلُوْا فِجْرًا اَوْ ظَلَمُوْا اَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللّٰهَ فَاَسْتَغْفَرُوْا لِذُنُوْبِهِمْ ﴾ الآية جامع البيان (٣/٤٤٢) ، و (١٧٣) ﴿ الَّذِيْنَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ اِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوْا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَرَآدَهُمْ اِيۡمٰنًا وَقَالُوْا حَسْبُنَا اللّٰهُ وَرِعْمَ الْوَكِيْلِ ﴾ جامع البيان (٣/٥٢٣) ، و النساء (٣) ﴿ وَاِنْ خِفْتُمْ اَلَّا تَقْسِطُوْا فِي الْبَيْتِيْ فَاَنْكِحُوْا مَا كَتَبَ لَكُمْ مِنَ النِّسَآءِ مَتًى وَكَلْتُمْ وَرَضِعْنَ ﴾ الآية جامع البيان (٣/٥٧٧) ، و (١٩) ﴿ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لَا يَحِلُّ لَكُمْ اَنْ رَثُوْا النِّسَآءَ كَرِهًا ﴾ الآية جامع البيان (٣/٦٤٩) ، و (٩٤) ﴿ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ فَمَيِّتُوْا ﴾ الآية جامع البيان (٤/٢٢٨-٢٢٩) ، و (١٠٣) ﴿ فَاِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلٰوةَ فَاذْكُرُوْا اللّٰهَ فَاَنۢكَبُوْا وَعَلَىٰ جُنُوْبِكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٤/٢٦٠-٢٦١) ، و المائدة (٩٥) ﴿ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لَا تَقْتُلُوْا الصَّيِّدَ وَاَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٦٣-٦٤) ، و الأنعام (٩) ﴿ وَكَوْجَعَلْنٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلِيۡشُوۡنَ ﴾ جامع البيان (٥/١٥٣) ، و (٨٥) ﴿ وَرَزَّكِيۡنَا ﴾

وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ ﴿جامع البيان (٢٥٧/٥)، و(١٢١)﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ فِي الْكِتَابِ لَئِن كُنْتُمْ عَالِمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴿جامع البيان (٣٢٨/٥)، و(١٢٩)﴾ وَكَذَلِكَ نُفِيءُ الَّذِينَ ظَلَمُوا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٧﴾ ﴿جامع البيان (٣٤٤/٥)، و(١٣١)﴾ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَجِ يُظَلِّمُ أَهْلَهَا غَفْلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴿جامع البيان (٣٤٧/٥)، والأعراف (١٧)﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴿جامع البيان (٤٤٧/٥)، و(١٥٠)﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ﴿الآية جامع البيان (٦٦/٦)، و(٢٠٢)﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴿جامع البيان (١٥٨/٦)، والأنفال (٢٤)﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴿الآية جامع البيان (٢١٢/٦-٢١٣)، و(٣٣-٣٤)﴾ وَمَا كَانَتْ أَلْفٌ لِّعَدِيدِهِمْ وَأَمَّا فِيهِمْ ﴿الآيتين جامع البيان (٢٣٦/٦)، و(٣٩)﴾ وَقَدْ نَلُوهُم حَتَّىٰ لَأَنْتَكُونَ فِتْنَةً وَيَكْفُرُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِن لَّمْ يَأْتُوا فِئْتًا لِّمَا يَمْلِكُونَ بِصِغِيرِ الْبُقَاعِ ﴿جامع البيان (٢٤٧/٦)، و(٤٣)﴾ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَتَابِعِهَا فَلَا فِئْتًا لِّمَا يَمْلِكُونَ كَثِيرًا قَلِيلًا وَنَارُهَا أَكْبَرُ ﴿الآية جامع البيان (٢٥٩/٦)، والتوبة (٦٠)﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَعْسُومِينَ وَالْأَعْيُنِ وَالْمَوَلَّاتِ وَالْمَوَدَّةِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَسْكِينِ ﴿الآية جامع البيان (٣٩٨/٦)، و(١١٤)﴾ وَمَا كَانَتْ أَسْتَفْغَارًا لِزَيْهَبٍ لَّا يَمِسُّ وَلَا عَن مَّوَدَّةٍ وَعَدَّهَا إِثْمًا ﴿الآية جامع البيان (٤٩٩/٦)، وهود (٦)﴾ وَمَا يَمِينُ نَابِتَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴿الآية جامع البيان (٤/٧)، و(٧١)﴾ وَأَمَّا نِسْوَةٌ فَايَمَةً فَضَحِكْتُمْ فَبَشِّرْنَهَا بِلِئَالٍ مِنَّا وَمِن رَّبِّهَا إِسْحَاقٌ ﴿جامع البيان (٧٢/٧)، و(٨٦)﴾ يَقِيئُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَوَّابِينَ ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿جامع البيان (١٠٠/٧)، ويوسف (٥٥)﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ﴿جامع البيان (٢٤٢/٧)، والرعد (٣٩)﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنشِئُ مَا يَشَاءُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿جامع البيان (٤٠٣/٧)، و(٤١)﴾ أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴿الآية جامع البيان (٤٠٨/٧)، والنحل (٩٩-١٠٠)﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَىٰ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿الآيتين جامع البيان (٦٤٥/٧)، والإسراء (٢٨)﴾ وَإِنَّمَا تَعْرِضَنَّ عَنْهُمْ أَنِغَاةَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّسُورًا ﴿جامع البيان (٧٠/٨-٧١)، و(٨٠)﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ ﴿الآية جامع البيان (١٣٧/٨-١٣٨)، ومریم (٧٠)﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلَاتًا ﴿جامع البيان (٣٦٣/٨)، وطه (٨٢)﴾ وَإِنِّي لَنَفَارِكٌ لِّمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَجَعَلَ صَاحِبًا ثُمَّ أَهْتَدَىٰ ﴿جامع البيان (٤٤٢/٨)، و(٩٤)﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴿الآية جامع البيان (٤٥٠/٨)، و(١١٠)﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ. عَلَّمَا ﴿جامع البيان (٤٦٠/٨)، والأنبياء (٩٥)﴾ وَحَكَرْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ أَهْلَ كَهَنَاتِهِمْ لَأَنْهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿جامع البيان (٨٣-٨٢/٩)، والحج (٥)﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ آيَاتِنَا فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ

تُضَعِّفُ مُخَلَّفَةً وَغَيْرَ مُخَلَّفَةٍ لِنَسِيَنِ لَكُمْ ﴿ الآية جامع البيان (١١١/٩) ، و(١٥) ﴿ مَن كَانَتْ يَطْنُ أَنْ لَن يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا  
 وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ﴿٥٣﴾ جامع البيان (١٢٠/٩) ، والفرقان (٥٣)  
 ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا يَمْلِحُ لِمَا جَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٢﴾ جامع البيان (٤٠٠/٩) ، و(٦٧)  
 ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٥١﴾ جامع البيان (٤١٢/٩) ، والشعراء (١٩) ﴿ وَقَعَلْتَ  
 قَعَلَتِكَ الْبَنِي فَعَلْتَ وَآتَى مِنَ الْكُفْرِيِّينَ ﴿٥٠﴾ جامع البيان (٤٣٧/٩) ، و(١٩٨) ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿٥٠﴾  
 جامع البيان (٤٧٨/٩) ، والأحزاب (٥٢) ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ الْبَيْتَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْهُنَّ إِذَا مَا  
 مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴿ الآية جامع البيان (٣١٩/١٠) ، والصفات (١١٦) ﴿ وَصَوَّرْنَاهُم مَّا كَانُوا هُمُ الْفٰلِقِينَ ﴿٥٠﴾ جامع البيان  
 (٥١٩/١٠) ، والزمر (٦) ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً فَزَوْجِ  
 (١٠) ، و(٦١٥/١٠) ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا  
 يُعْبَدَ عَنْ سَبِيلِهِ ﴿ الآية جامع البيان (٦١٩/١٠) ، وفصلت (٥٣) ﴿ سَأْتِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَا لَهُمْ  
 أَنَّهُ الْحَقُّ ﴿ الآية جامع البيان (١٢٥/١١) ، وسورة ق (٢١-٢٢) ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَنَهْيٌ ﴿٥٠﴾ الآيتين جامع  
 البيان (٤٢٠/١١) ، والطور (٤٨) ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٥٠﴾ جامع البيان (٥٠٠/١١)  
 (٥٠١) ، والنجم (١٠) ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿٥٠﴾ جامع البيان (٥٠٩-٥١٠) ، والحديد (١٢) ﴿ يَوْمَ تَرَى  
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴿ الآية جامع البيان (٦٧٦/١١) ، والجن (٢٨) ﴿ لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَتْلَقُوا رَسُولَنَا رَبِّهِمْ  
 وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٥٠﴾ جامع البيان (٢٧٧/١٢) .

## المطلب الثاني : أمثلة ترجيح اللحاق لمعنى :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ قَالُوا أَذُوقْ لَنَا رَبِّكَ بَيْنَ لَنَا مَا لَوْ تَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوُثَهَا سَسْرُ النَّظِيرِينَ ﴾ [البقرة: ٦٩] قال -رحمه الله- : "...اختلف أهل التأويل في معنى قوله : ﴿ صَفْرَاءُ ﴾ فقال بعضهم : معنى ذلك سوداء شديدة السواد... وقال آخرون: معنى ذلك : صفراء القرن والظلف... قال أبو جعفر : وأحسب أن الذي قال في قوله : ﴿ صَفْرَاءُ ﴾ يعني به سوداء ، ذهب إلى قولهم في نعت الإبل السُّود : هذه إبل صُفر ، وهذه ناقة صفراء يُعنى بها سوداء . وإنما قيل ذلك في الإبل ؛ لأن سوادها يضرب إلى الصُّفرة... وذلك إن وُصِفَت الإبل به فليس مما توصف به البقر ، مع أن العرب لا تصف السواد بالفقوع ، وإنما تصف السواد -إذا وصفته بالشدة- بالحلوكة ونحوها ، فتقول : هو أسود حالك وحانك وحلكوك... ولا تقول : هو أسود فاقع ، وإنما تقول هو أصفر فاقع، فوصفه إياه بالفقوع من الدليل البين على خلاف التأويل الذي تأول قوله : ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ ﴾ المتأول ، بأن معناه : سوداء شديدة السواد ."<sup>(١)</sup>

(١) جامع البيان (١/٣٨٧-٣٨٨) ، وتحقيق شاكر (٢/١٩٩) . وانظر بقية الأمثلة في : البقرة (٢٥) ﴿ وَيَبْرُؤُ الذِّيذِ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَلَمْ جَنَّتْ جَعْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كَلِمًا زُرْقًا زُرْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي زُرَقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ الآية جامع البيان (١/٢٠٧) ، و(١٨٢) ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْرَ عَلَيْهِ ﴾ الآية جامع البيان (٢/١٣١) - (١٣٢) ، و(٢٤٨) ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مَلِكِهِمْ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٢/٦٣٠) ، والنساء (٣٢) ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِرَبِّكُمْ عَلَى بَعْضِكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٤/٥١) ، والنساء (٨٦) ﴿ وَإِذَا حُيِّبْتُمْ بِحِجَابٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِنهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بِكُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ جامع البيان (٤/١٩٣) ، والأنعام (١٤٨) ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾ الآية جامع البيان (٥/٣٨٧-٣٨٨) ، والأعراف (٣٩) ﴿ وَقَالَتْ أُولَاهُنَّ لِأَخْرَجْنَهُنَّ فَمَا كَانَتْ لَكُنَّ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ جامع البيان (٥/٤٨٤) ، والأنفال (٤١) ﴿ وَأَطِيعُوا أَمْرًا غَمِيمًا مِّن قَوْمٍ قَدْ آتَىٰ لَّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَالرُّسُلَ وَالَّذِينَ الْفَرَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآتَىٰ النَّكِيْلِ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٢٥١) ، وسبأ (١٦) ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ فَرَمَتْهُم بِحِجَابٍ مِّن دَرَاكِ أَكُلِ حَمْطٍ وَأَقْلِي وَشَقِيقٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ جامع البيان (١٠/٣٦٤) .

فقوله: ﴿فَاقِعٌ﴾ يرجح أن معنى: ﴿صَفْرَاءٌ﴾ هو اللون المعهود، وليس السواد؛ لأن السواد يوصف بالحلوكة، والأصفر بالفقوعة، وهو المذكور مع الأصفر.

وفي قوله -تعالى- في وصف الحور العين: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصفات: ٤٩] قال -رحمه الله-: "اختلف أهل التأويل في الذي به شُبِّهَ من البَيض بهذا القول: فقال بعضهم: شبهن ببطن البيض في البياض، وهو الذي داخل القشر، وذلك أن ذلك لم يمسه شيء... وقال آخرون: بل شبهن بالبيض الذي يحضنه الطائر، فهو إلى الصفرة، فشبهه بياضهن في الصفرة بذلك... وقال آخرون: بل عني بالبيض في هذا الموضع: اللؤلؤ، وبه شبهن في بياضه وصفائه..."

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: شبهن في بياضهن، وأنهن لم يمسهن قبل أزواجهن إنس ولا جان، ببياض البيض الذي هو داخل القشر، وذلك هو الجلدة الملبسة المحّ (١) قبل أن تمسه يد أو شيء غيرها، وذلك لا شك هو المكنون، فأما القشرة العليا فإن الطائر يمسه، والأيدي تباشرها، والعش يلقاها. والعرب تقول لكلّ مصون: مكنون، ما كان ذلك الشيء، لؤلؤاً كان، أو بياضاً، أو متاعاً... (٢)

فالذي لا يمسه هو المكنون، وعادة لا يكون هذا في الغشاء الخارجي للشيء؛ لأنه يمسه فلا يكون له معنى الاكتنان، وإنما يكون وصف المكنون في الغشاء الداخلي الذي في قشر البيض، وقد يطلق على غيره إذا توفر فيه معنى الحفظ من المس.

وفي قوله -تعالى-: ﴿فَأَمَّا تَمُودُ فَأَقْلَمُوا بِالطَّاعِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥] قال -رحمه الله-: "يقول -تعالى- ذكره-: ﴿فَأَمَّا تَمُودُ﴾ قوم صالح، فأهلكهم الله بالطاغية. واختلف في معنى الطاغية -التي

(١) المحّ يطلق على: خالص كل شيء، أو صفرة البيض، أو ما في البيض كله، وهو المراد هنا. انظر ترتيب القاموس المحيط (٢٠٧/٤)، مادة (م ح ح).

(٢) جامع البيان (٤٨٨/١٠-٤٨٩). وانظر بقية المواضع في: الحج (٣٦) ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعِيرٍ اللَّهُ لَكُم فِيهَا حَبِيرٌ﴾ الآية جامع البيان (١٥٩/٩)، الإنسان (٢) ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ جامع البيان (٣٥٦/١٢).

أهلك الله بها ثمود - أهل التأويل : فقال بعضهم : هي طغيانهم وكفرهم بالله... وقال آخرون : بل معنى ذلك : فأهلكوا بالصيحة التي قد جاوزت مقادير الصباح وطغت عليها... وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : فأهلكوا بالصيحة الطاغية . وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ؛ لأن الله إنما أخبر عن ثمود بالمعنى الذي أهلكها به ، كما أخبر عن عاد بالذي أهلكها به ، فقال : ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَلَيْهِمْ ﴿٦٠﴾﴾ [الحاقة: ٦] ولو كان الخبر عن ثمود بالسبب الذي أهلكها من أجله ، كان الخبر أيضاً عن عاد كذلك ، إذ كان ذلك في سياق واحد ، وفي إتباعه ذلك بخبره عن عاد بأن هلاكها كان بالريح ، الدليل الواضح على أن إخباره عن ثمود إنما هو ما بينت .<sup>(١)</sup>

فالطاغية ليست بمعنى الطغيان بل هو عذاب ، بدليل قوله -تعالى- بعدها في قوم عاد: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَلَيْهِمْ﴾ فثمود مثلهم أهلكوا بعذاب هو الطاغية .<sup>(٢)</sup>

(١) جامع البيان (٢٠٦/١٢-٢٠٧) .

(٢) وانظر بقية المواضع في : البقرة (٧١) ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْقَرْيَةَ مَسَلَمَةً لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ الآية جامع البيان (٣٦٩/١) ، و(٧٨) ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَتْلُمُونَ إِلَّا أَمَانٍ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَنْظُرُونَ﴾ جامع البيان (٤١٨-٤١٩) ، و(١٦٠) ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوْتَلَيْتَ أَثُوبٌ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ جامع البيان (٦١/٢) ، و(١٨٧) ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ الآية جامع البيان (١٠٧/٢) ، و(١٨٥) ﴿شَهْرٌ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ الآية جامع البيان (١٥٦/٢ و ١٦٠) ، و(٢٠٣) ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ الآية جامع البيان (٣٢١/٢-٣٢٢) ، و(٢٢٨) ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ إِلَىٰ آبَائِهِنَّ وَلِلْآبَاءِ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَلِللَّذِينَ آمَنُوا إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِسُوهُنَّ لَهُنَّ فَرِيضَةٌ﴾ الآية جامع البيان (٥٤٦/٢) ، و(٢٤٩) ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكُم مَّبْتَلِيكُمْ فَمَنْ شَرِبَ فَسَاءَ عَلَيْهِ مَا شَرِبَ إِلَّا مَن سَمِيَ بِمَاءٍ لَّا يَمَسُّ يَدَيْهِ إِذْ جَاثَرَ بِالنَّهْرِ إِنْ يَأْتِيكُمْ مَاءٌ فَلَا تَمَسُّوهُ بِشَيْءٍ مِّنْ يَدَيْكُمَا إِلَّا الَّذِي يَمَسُّ يَدَيْهِ فَإِنَّهُ الشَّارِبُ إِلَّا الَّذِي شَرِبَ مِنْ هَاهُنَا بِيْعًا وَلَا حُلَّةً وَلَا شَفْعَةً﴾ الآية جامع البيان (٦/٣) ، وآل عمران (٤٥) ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَعْرِبُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ الآية جامع البيان (٢٦٨/٣) ، و(١٢١) ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّالِقَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ الآية جامع البيان (٤١٦/٣) ، و(١٥٣) ﴿إِذْ تُصَوِّدُونَ وَلَا تَكُونُونَ﴾

عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولَ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ ﴿ الآية جامع البيان (٤٨٢/٣) ، و(١٨٠) ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْغُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٥٣٢/٣) ، والنساء (٣) ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَأَدْكُوا مَا لَكُمْ لَكُمْ مِنَ الْيَمِينِ مَتَى وَتَلَّكَ وَرَيْعٌ ﴾ الآية جامع البيان (٥٨٠/٣) ، و(١٣) ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ الآية جامع البيان (٦٣٢/٣) ، و(٤٣) ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ الآية جامع البيان (١٠٢/٤) ، و(٨٨) ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي اللَّتَائِفِ فَتَنَيْنَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ﴾ الآية جامع البيان (١٩٦/٤) ، و(١٠١) ﴿ وَإِنَّا صَرَّفْنَا فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْرَبُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية جامع البيان (٢٥٠/٤) ، و(١١٩) ﴿ وَلَا تُحِلُّنَّهَا لَأَمْوَالِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَلْيَتَّكِفُنَّ مَا دَاك الْأَمْوَالِ وَلَا تَمُرُّنَّ بِهَا خَلْفَ اللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان (٢٨٥/٤) ، و(١٤٨) ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَى مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ الآية جامع البيان (٣٤٣/٤) ، والمائدة (١) ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ الآية جامع البيان (٣٨٨/٤) ، و(٦) ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ الآية جامع البيان (٤٨١/٤) ، و(٣١) ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَثُ سَوَاءَ أَحْيَا ﴾ الآية جامع البيان (٥٣٧/٤) ، و(٩٥) ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾ الآية جامع البيان (٤٧/٥) ، والأنعام (٩٥) ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ اللَّيْلِ وَالنَّوَى ﴾ الآية جامع البيان (٢٧٦/٥) ، والأعراف (١١) ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قَلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾ جامع البيان (٤٣٧/٥) ، و(٣٧) ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ الآية جامع البيان (٤٨١/٥) ، و(٢٠٣) ﴿ وَإِذَا لَمْ تَلْتَمِسْهُمْ يُكَافِرُوا وَلَا اجْتَنِبْتُمْهَا ﴾ الآية جامع البيان (١٦٠/٦) ، ويونس (٦١) ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُبْعَثُونَ فِيهِ ﴾ الآية جامع البيان (٥٣٧/٦) ، و(٨٣) ﴿ فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٥٩٢/٦) ، وهود (١٧) ﴿ أَمْنَ كَانَ عَلَى بَيْنِهِمْ مِنْ زَيْدٍ وَتَلَّوْهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ الآية جامع البيان (١٩/٧) ، و(٧٤) ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْحُ وَجَاءَهُهُ الْبَشَرِىُّ بَجْدَلًا فِي قَوْرِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ جامع البيان (٧٧/٧) ، و(١١٨) ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ جامع البيان (١٣٩/٧) ، والنحل (١) ﴿ أَلَمْ أَمُرْ اللَّهَ فَلَا تَسْجُدُوا ﴾ الآية جامع البيان (٥٥٧/٨) ، والإسراء (١١٠) ﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ الآية جامع البيان (١٦٩/٨) ، ومرم (٢٤) ﴿ فَادْبَعْنَا مِنْ خَيْبِهَا آلَ عَزْرَةَ قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سِرِيًّا ﴿٢٤﴾ ﴾ جامع البيان (٣٣٠/٨) ، و(٥٩) ﴿ خَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفَ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْرَةَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴿٥٩﴾ ﴾ جامع البيان (٣٥٥/٨) ، والأنبياء (٣٠) ﴿ أَوْلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ الآية جامع البيان

(٢١/٩)، و(٣٧) ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ سَأُوبِكُمْ مَا بَيْنِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ﴿٣٧﴾ جامع البيان (٢٨/٩)، و(٦٥) ﴿ ثُمَّ كُنُوزًا عَلَيَّ رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ ﴿٥٠﴾ جامع البيان (٤١/٩)، و(٨٧) ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْتَضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ الآية جامع البيان (٧٤/٩)، والحج (٥٢) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّاهُ الْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمَّتَيْهِ فَيَسْخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾ الآية جامع البيان (١٧٨/٩)، و(٦٧) ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُبْدِعُكَ فِي الْأُمَّةِ ﴾ الآية جامع البيان (١٨٥/٩)، والمؤمنون (١٢) ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ ﴿١٢﴾ جامع البيان (٢٠٢/٩)، و(٥٠) ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ ﴿٥٠﴾ جامع البيان (٢١٨-٢١٩)، والنور (٢) ﴿ الْأَنْبِيَاءُ وَالرَّسُلُ قَالُوا كُلٌّ وَجِئْنَا بِهَا آيَةً جَلِيَّةً ﴾ الآية جامع البيان (٢٥٨/٩)، و(٢٩) ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٣٠١/٩)، و(٣٦) ﴿ فِي بُيُوتٍ أُورِثَتْ أَنْ تَرْفَعُوا فِيهَا أَسْمَاءَ بَنَاتٍ لَكُمْ فِيهَا بِالْفَتْحِ وَالْأَسْمَاءُ ﴾ ﴿٣٦﴾ جامع البيان (٣٣٠/٩)، و(٦١) ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُرُوتِكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٣٥٤/٩)، والفرقان (١٩) ﴿ فَغَدَّ كَذِبُكُمْ بِمَا نَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾ الآية جامع البيان (٣٧٤-٣٧٥)، والشعراء (١٨٥ و ١٥٣) ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ ﴿١٨٥﴾ جامع البيان (٤٦٨/٩ و ٤٧٣)، والقصص (١٠) ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُرْمُوتٍ قَدْرًا ﴾ الآية جامع البيان (٣٦-٣٧/١٠)، و(٢٣) ﴿ وَلَمَّا رَدَّ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْتَفُونَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أُمَّةً تَدُودَانِ ﴾ الآية جامع البيان (٥٤/١٠)، والعنكبوت (٥٦) ﴿ يَجْعَلُونَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ أَرْضِي وَسِعَةً فَإِنِّي فَاعِلُونَ ﴾ ﴿٥٦﴾ جامع البيان (١٥٦/١٠)، ولقمان (١٦) ﴿ يَبْنِي لَهَا إِنْ تَكُ يُنْقَالُ حَبْرٌ مِنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمْنُونِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ ﴿١٦﴾ جامع البيان (٢١٢/١٠)، والسجدة (٢٨) ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿٢٨﴾ جامع البيان (٢٥٣/١٠)، والأحزاب (٦) ﴿ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيْهِ أُولِيَاءِكُمْ مَعْرُوفًا كَمَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ ﴿٦﴾ جامع البيان (٢٦١/١٠)، و(٢٤) ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنْفِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ﴿٢٤﴾ جامع البيان (٢٨٢/١٠)، و(٥١) ﴿ تُرِي مِنَ نَشَأِ رَبِّهِمْ نَفْسًا مِّنْ نَّفْسٍ ﴾ الآية جامع البيان (٣١٥/١٠)، ويس (٤٢) ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَفْسٍ مِمَّا يَكُونُ ﴾ ﴿٤٢﴾ جامع البيان (٤٤٦/١٠)، والصفات (١٧٤) ﴿ نَقُولُ عَنْهُمْ حَسْبُ جِبِينٍ ﴾ ﴿١٧٤﴾ جامع البيان (٥٤٢/١٠)، وسورة ص (١) ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ ﴿١﴾ جامع البيان (٥٤٦/١٠)، والزمر (٦٩) ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ﴿٦٩﴾ جامع البيان (٣١/١١)، وغافر (٦٩) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجْعَلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ آفٍ يَصْرِفُونَ ﴾ ﴿٦٩﴾ جامع البيان (٧٧/١١)، وفصلت (٥١) ﴿ لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاؤِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴾ ﴿٥١﴾ جامع البيان (١٢٤/١١)، والزخرف (٥) ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ =



### المطلب الثالث : أمثلة الترجيح بالسباق واللاحق معاً:

كما في قوله -تعالى-: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ [البقرة: ١٢١] قال -رحمه الله-: " اختلف أهل التأويل في الذين عناهم الله - جل ثناؤه - بقوله: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ فقال بعضهم: هم المؤمنون برسول الله - ﷺ - ، وبما جاء به من أصحابه: [وبه قال قتادة]... وقال آخرون: بل عنى الله بذلك علماء بني إسرائيل الذين آمنوا بالله وصدّقوا رُسُلَهُ ، فأقروا بحكم التوراة، فعملوا بما أمر الله فيها من اتباع محمد - ﷺ - ، والإيمان به ، والتصديق بما جاء به من عند الله... "

قال أبو جعفر: وهذا القول أولى بالصواب من القول الذي قاله قتادة؛ لأن الآيات قبلها مضت بأخبار أهل الكتابين، وتبديل من بدل منهم كتاب الله، وتأولهم إياه على غير تأويله، وادّعائهم على الله الأباطيل. ولم يجز لأصحاب محمد - ﷺ - في الآية التي قبلها ذكر، فيكون قوله: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ موجهاً إلى الخبر عنهم، ولا لهم بعدها ذكر في الآية التي تتلوها، فيكون موجهاً ذلك إلى أنه خبر مبتدأ عن قصص أصحاب رسول الله - ﷺ - بعد انقضاء قصص غيرهم، ولا جاء بأن ذلك خبر عنهم أثر يجب التسليم له. فإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى بمعنى الآية: أن يكون موجهاً إلى أنه خبر عن قصّة الله - جل ثناؤه - في الآية قبلها والآية بعدها، وهم أهل الكتابين: التوراة والإنجيل. " (١)

فظاهر من سياق الآيات السابقة واللاحقة أنها في أهل الكتاب، ولما لم يأت دليل على انصراف

كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥٠﴾ جامع البيان (١١/١٦٧-١٦٨)، ومحمد (٢٥) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُوا عَلٰى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ

الْهُدٰى السَّبِيْلَ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَّ لَهُمْ ﴿٥١﴾ جامع البيان (١١/٣٢٢)، والرحمن (١٩) ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ جامع

البيان (١١/٥٨٦)، والحديد (٢٧) ﴿ ثُمَّ فَعَيْنَا عَلٰى آفْرِهِمْ رُسُلَنَا وَفَعَيْنَا عِيسٰى ابْنَ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ ﴿ الآية جامع

البيان (١١/٦٩٢)، والفجر (٢٧) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ النَّاطِقِيَّةُ ﴿٢٧﴾ جامع البيان (١٢/٥٨١-٥٨٢) .

(١) جامع البيان (١/٥٦٦)، وتحقيق شاکر (٢/٥٦٤) .

الخطاب إلى غيرهم ، فالأصل بقاء الخطاب على سياقه ، فأهل الكتاب هم المخاطبون ، ولا مانع من دخول من يشابههم - كما سبق بيانه -<sup>(١)</sup> .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ** ﴾ [الحجر: ٢٤] قال -رحمه الله- : " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك : فقال بعضهم : معنى ذلك : ولقد علمنا من مضى من الأمم فتقدم هلاكهم ، ومن قد خلق وهو حيّ ، ومن لم يخلق بعدُ ممن سيخلق... وقال آخرون : عنى بالمستقدمين : الذين قد هلكوا، والمستأخرين : الأحياء الذين لم يهلكوا... وقال آخرون : بل معناه : ولقد علمنا المستقدمين في أول الخلق والمستأخرين في آخرهم... وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولقد علمنا المستقدمين من الأمم ، والمستأخرين من أمة محمد -ﷺ-... وقال آخرون : بل معناه : ولقد علمنا المستقدمين منكم في الخير والمستأخرين عنه... وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولقد علمنا المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة ، والمستأخرين فيها بسبب النساء... "

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصحة : قول من قال : معنى ذلك : ولقد علمنا الأموات منكم يا بني آدم فتقدم موته ، ولقد علمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم ممن هو حيّ ومن هو حادث منكم ممن لم يحدث بعدُ ؛ لدلالة ما قبله من الكلام ، وهو قوله : ﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِمْ وَنُحْيِيكُمْ** ﴾ [الحجر: ٢٣] ، وما بعده وهو قوله : ﴿ **وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ** ﴾ [الحجر: ٢٥] على أن ذلك كذلك ، إذ كان بين هذين الخبرين ، ولم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدلّ على خلافه ، ولا جاء بعد... " (٢)

وفي قوله -تعالى- : ﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًّا** ﴾ [الجن: ١٩] قال -رحمه الله- : " واختلف أهل التأويل في الذين عُنيوا بقوله : ﴿ **كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًّا** ﴾ فقال بعضهم : عني بذلك الجنّ، أنهم كادوا يركبون رسول الله -ﷺ- لما سمعوا القرآن... وقال آخرون : بل هذا من قول النفر من الجن لما رجعوا إلى قومهم ، أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب رسول الله -ﷺ- له ، وائتمامهم به

(١) انظر صفحة (٢٧٨) وما بعدها .

(٢) جامع البيان (٧/٥٠٧-٥١٠) .



-تعالى-: ﴿وَالْحَيْلَ وَالْبَعَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل: ٨] قال -رحمه الله-: " وكان بعض أهل العلم يرى أن في هذه الآية دلالة على تحريم أكل لحوم الخيل... وكان جماعة غيرهم من أهل العلم يخالفونهم في هذا التأويل ، ويرون أن ذلك غير دالّ على تحريم شيء ، وأن الله - جلّ ثناؤه - إنما عرّف عباده بهذه الآية وسائر ما في أوائل هذه السورة نعمه عليهم ، ونبههم به على حججه عليهم وأدلته على وحدانيته ، وخطأ فعل من يشرك به من أهل الشرك... "

والصواب من القول في ذلك عندنا : ما قاله أهل القول الثاني ، وذلك أنه لو كان في قوله - تعالى ذكره-: ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾ دلالة على أنها لا تصلح إذ كانت للركوب ، للأكل؛ لكان في قوله: ﴿فِيهَا دِفءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥] دلالة على أنها لا تصلح إذ كانت للأكل والدفء ، للركوب . وفي إجماع الجميع على أن ركوب ما قال -تعالى ذكره-: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ جائز حلال غير حرام ، دليل واضح على أن أكل ما قال: ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾ جائز حلال غير حرام ، إلا بما نصّ على تحريمه ، أو وضع على تحريمه دلالة من كتاب ، أو وحي إلى رسول الله -ﷺ- ، فأما بهذه الآية فلا يحرم أكل شيء . " (١)

فمن استدلل على أن الخيل لا تؤكل ؛ لأن الله لم يذكر الأكل للخيل في قول الله -تعالى-: ﴿وَالْحَيْلَ وَالْبَعَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ ، فيلزمه أن يقول : إن الركوب للأنعام لا يحل ؛ لأنه لم يذكر في قوله -تعالى-: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥] ، وإلا لزم تناقض في فهم الآيتين المتشابهتين في التركيب اللفظي ، وإنما ذكر الله هذا من باب الامتنان ، وليس هذا مقام تحديد الأحكام ، فلا يؤخذ منها مفهوم مخالفة .-والله أعلم-.

(١) جامع البيان (٥٦٢/٧-٥٦٤). وانظر نحوها في البقرة (٢٨٢) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنُكُمْ بِدِينِكُمْ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى فَاتَّخِذُوهُ

وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كِتَابًا بِالْعَدْلِ﴾ الآية جامع البيان (١٢١/٣-١٢٢).

## المطلب الرابع : الاستدلال بموضوع السورة على ترجيح معنى :

كما في قوله -تعالى- : ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۗ﴾ [الحجر: ٩١] قال -رحمه الله- :  
 "واختلفت أهل التأويل في معنى قوله: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ فقال بعضهم : معناه: الذين جعلوا القرآن فرقا مفترقا... فوجه قائلوا هذه المقالة قوله : ﴿عِضِينَ﴾ إلى أن واحدها : عَضُو ، وأن عِضِينَ جمعها ، وأنه مأخوذ من قولهم : عَضَيْتُ الشَّيْءَ تَعْضِيَةً : إذا فرقته... وقال آخرون : بل هي جمع : عَضَّة ، جمعت عِضِينَ ، كما جمعت البُرَّةُ : بُرِينَ ، والعِزَّةُ : عِزِينَ . فإذا وَجَّه ذلك إلى هذا التأويل كان أصل الكلام عِضَّةً ، ذهب هاؤها الأصلية... وقد قال جماعة من أهل التأويل : إنه إنما عَنَى بالعَضَّة في هذا الموضع ، نسبتهم إياه إلى أنه سِحْرٌ خاصة ، دون غيره من معاني الذم...  
 والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله -تعالى- ذكَّره -أمر نبيه -ﷺ- أن يُعَلِّمَ قَوْمًا عَضُّهُوا القرآن : أنه لهم نذير من عقوبة تنزل بهم بعضهم إياه ، مثل ما أنزل بالمقتسمين ، وكان عَضُّهُمُ إياه : قذفهموه بالباطل وقيلهم : إنه شعر وسحر ، وما أشبه ذلك . وإنما قلنا إن ذلك أولى التأويلات به ؛ للدلالة ما قبله من ابتداء السورة وما بعده ، وذلك قوله : ﴿إِنَّا كُنَّا نَكْفُرُ بِالْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] على صحة ما قلنا ، وأنه إنما عُنِيَ بقوله : ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ مشركي قومه . وإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنه لم يكن في مشركي قومه من يؤمن ببعض القرآن ويكفر ببعض ، بل إنما كان قومه في أمره على أحد معنيين : إما مؤمن بجميعه ، وإما كافر بجميعه . وإذا كان ذلك كذلك ، فالصحيح من القول في معنى قوله : ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ قول الذين زعموا أنهم عَضُّهُوا ، فقال بعضهم : هو سحر ، وقال بعضهم : هو شعر ، وقال بعضهم : هو كهانة ، وما أشبه ذلك من القول ، أو عَضُّهُوا ففرقوه ، بنحو ذلك من القول . وإذا كان ذلك معناه : احتمال قوله : ﴿عِضِينَ﴾ ، أن يكون جمع : عِضَّة ، واحتمل أن يكون جمع : عَضُو ؛ لأن معنى التعضية : التفريق ، كما تُعَضَّى الجِزُور والشاة ، فتفرق أعضاء . والعَضُّه : البُهْتُ ورميه بالباطل من القول ، فهما متقاربان في

المعنى" (١).

فلما كان سياق السورة في خطاب المشركين من قريش ، وكانت قريش إما مؤمنة بالقرآن ، أو كافرة به ، مدعية أنه سحر أو كهانة ، صح القول بأن معنى العضة في الآية هو هذا القول في التكذيب ، دون من قال : آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ؛ لأن هذا لم يكن من المشركين مطلقاً .  
ومن خلال ما سبق يتأكد ما للسياق من أثر في الترجيح ، سواء كان الترجيح : بمراعاة السياق أو اللحاق ، أو بهما مجتمعين ، وهذه الأنواع : هي التي كثر الاستدلال بها في جميع القرآن ، وأقل من ذلك ما كان الترجيح فيه مراعاة لاتحاد موضوع السورة .

(١) جامع البيان (٧/٥٤٧) .

## المبحث الخامس: مراعاة التقابل والتقسيم المتوازن :

إذا تأمل قارئ القرآن الآيات وجد بينها التقابل واكتمال الأقسام للأشياء ، سواء كان ذلك تصريحاً أو تلميحاً ؛ ولهذا ينبغي للمفسر أن يرجح من المعاني ما يكمل الأقسام المذكورة في الآيات دون ما كان بعيداً عنها ، وسأعرض الأمثلة من خلال المطالب التالية:

**المطلب الأول :** المقابلة في تقسيم الموصوفين بالإيمان والكفر .

**المطلب الثاني :** المقابلة في الأمر والنهي .

**المطلب الثالث :** الاستثناء يرجح فرقاً وتقابلاً بين المستثنى والمستثنى منه .

**المطلب الرابع :** المثل يرجح مقابلة الممثل به حتى يكون المعنى مماثلاً .

**المطلب الخامس :** أرجح جواب ما كان مقابل السؤال أو السابق من الآيات .

## المطلب الأول : المقابلة في تقسيم الموصوفين بالإيمان والكفر :

ففي قوله -تعالى- : ﴿ **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ [البقرة: ٣] قال - رحمه الله - : " وقد اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين أنزل الله - جل ثناؤه - هاتين الآيتين من أول هذه السورة فيهم :... فقال بعضهم : هم مؤمنوا العرب خاصة دون غيرهم من مؤمني أهل الكتاب . واستدلوا على صحة قولهم ذلك وحقيقة تأويلهم : بالآية التي تتلو هاتين الآيتين ، وهو قول الله - عز وجل - : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ** ﴾ [البقرة: ٤] . قالوا : فلم يكن للعرب كتاب قبل الكتاب الذي أنزله الله - عز وجل - على محمد - ﷺ - تدين بتصديقه والإقرار والعمل به، وإنما كان الكتاب لأهل الكتابين غيرها . قالوا : فلما قص الله - عز وجل - نأبأ الذين يؤمنون بما أنزل إلى محمد وما أنزل من قبله - بعد اقتصاصه نأبأ المؤمنين بالغيب - علمنا أن كل صنف منهم غير الصنف الآخر، وأن المؤمنين بالغيب نوع غير النوع المصدق بالكتابين ، اللذين أحدهما منزل على محمد - ﷺ - ، والآخر منهما على من قبل رسول الله... وقال بعضهم: بل نزلت هذه الآيات الأربع في مؤمني أهل الكتاب خاصة... وقال بعضهم : بل الآيات الأربع من أول هذه السورة أنزلت على محمد - ﷺ - بوصف جميع المؤمنين الذين ذلك صفتهم من العرب والعجم وأهل الكتابين وسواهم... وأولى القولين عندي بالصواب وأشبههما بتأويل الكتاب : القول الأول ، وهو : أن الذين وصفهم الله - تعالى ذكره - بالإيمان بالغيب ، وما وصفهم به - جل ثناؤه - في الآيتين الأولتين غير الذين وصفهم بالإيمان بالذي أنزل على محمد والذي أنزل على من قبله من الرسل ؛ لما ذكرت من العلل قبل لمن قال ذلك ، ومما يدل أيضاً مع ذلك على صحة هذا القول : أنه جنس - بعد وصف المؤمنين بالصفتين اللتين وصف ، وبعد تصنيفه كل صنف منهما على ما صنف الكفار - جنسين ، فجعل أحدهما : مطبوعاً على قلبه محتوماً عليه مأيوساً من إبابه ، والآخر : منافقاً يرائي بإظهار الإيمان في الظاهر، ويستسرّ النفاق في الباطن ، فصير الكفار جنسين ، كما صير المؤمنين في أول السورة



جنسين . ثم عرّف عباده نعت كل صنف منهم وصفتهم ، وما أعدّ لكل فريق منهم من ثواب أو عقاب ، وذمّ أهل الذمّ منهم ، وشكر سعي أهل الطاعة منهم" (١) .  
فنظر - رحمه الله - إلى أن الأقسام المذكورة في الكفر نوعان : كفار و منافقون ، واستدل بما على أن الأقسام المذكورة في الإيمان قسمان أيضاً هما : المؤمنون من العرب ، والمؤمنون من أهل الكتاب .

وهذا يدل على أنه - رحمه الله - يراعي التقابل والتقسيم في الآيات ، هذا مع الأدلة الأخرى كالعطف المغاير الدال على أن هؤلاء غير أولئك ، وأن العرب لم يكن لهم كتاب قبل النبي - ﷺ - ، كما قال تعالى : ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَأرَبِّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنزَلَهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَأْتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (٣) [السجدة: ٢ - ٣] .

(١) جامع البيان (١/١٣٤-١٣٦) ، وتحقيق شاکر (١/٢٣٧) باختصار .

## المطلب الثاني : المقابلة في الأمر والنهي :

كما في قوله -تعالى- : ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٣] قال -رحمه الله- : في قوله -تعالى- : ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ﴾ " اختلف أهل التأويل في معنى ذلك : فقال بعضهم : [كالسدي] معنى ذلك : قدموا لأنفسكم الخير... وقال آخرون: بل معنى ذلك : ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ﴾ ذكر الله عند الجماع ، وإتيان الحرث قبل إتيانه... "

قال أبو جعفر : والذي هو أولى بتأويل الآية ما روينا عن السدي وهو : أن قوله : ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ﴾ أمر من الله -تعالى ذكره- عباده بتقديم الخير والصلاح من الأعمال ليوم معادهم إلى ربهم ، عُدَّةً منهم ذلك لأنفسهم عند لقائه في موقف الحساب ، فإنه قال -تعالى ذكره- : ﴿ وَمَا تَقَدَّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٠، المزمل: ٢٠] .

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ؛ لأن الله -تعالى ذكره- عقب قوله : ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ﴾ بالأمر باتقائه في ركوب معاصيه ، فكان الذي هو أولى بأن يكون قبل التهديد على المعصية - إذ كان التهديد على المعصية عاماً - الأمر بالطاعة عاماً .

فإن قال لنا قائل : وما وجه الأمر بالطاعة بقوله : ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ﴾ من قوله : ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ ؟ قيل : إن ذلك لم يقصد به ما توهمته ، وإنما عني به : وقدموا لأنفسكم من الخيرات التي ندبناكم إليها<sup>(١)</sup> بقولنا : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ [البقرة: ٢١٥] ، وما بعده من سائر ما سألوا رسول الله -ﷺ- ، فأجيبوا عنه مما ذكره الله -تعالى ذكره- في هذه الآيات ، ثم قال -تعالى ذكره- : قد بينا لكم ما فيه رشدكم وهدايتكم إلى ما يرضي ربكم عنكم ، فقدموا لأنفسكم الخير الذي أمركم به ، واتخذوا عنده به عهداً ؛ لتحذوه لديه إذا لقيتموه

(١) أي : دعوناكم .

في معادكم ، واتقوه في معاصيه أن تقرّبوها ، وفي حدوده أن تضعيها ، واعلموا أنكم لا محالة ملاقوه في معادكم، فمجاز المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته .<sup>(١)</sup>

فحمل الأمر بالتقديم للأنفس في قوله : ﴿ وَقَدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ ﴾ على لزوم الطاعة عامة ؛ لأن الله -عزّ وجلّ- حذر بعده من المعصية عامة في قوله : ﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ ﴾ ، فالأمر بالطاعة عام كذلك ، ولم يحدد الأمر والنهي بما في الآية نفسها ، بل أعاده إلى ما سبق من عموم الأوامر والنواهي .

(١) جامع البيان (٤١١/٢) ، وتحقيق شاكر (٤١٦/٤) . وانظر مواضع أخرى في البقرة (١٦٠) ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَثَرُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ جامع البيان (٦١/٢) ، و(٢٢٨) ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَیْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ الآية جامع البيان (٤٥٨/٢-٤٥٩-٤٦٨-٤٦٩) ، و(٢٣٦) ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَقْرُبُوهُنَّ لَهِنَّ قَرِيْبَةٌ ﴾ الآية جامع البيان (٥٥٠ و٥٤٦/٢) ، والنساء (٣٦) ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاللَّذِينَ إِحْسَنَّا وَبَرَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمَجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْمَجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٨٣-٨٢/٤) ، والأنعام (١٣٩) ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَمْثَلِ خَالِصَةً لِّتُكْوَرُوا وَمُحَرَّمٌ عَلَیَّ أَنْزِلِحَا ﴾ الآية جامع البيان (٣٥٨-٣٥٧/٥) ، ويونس (٢٧) ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ حَاصِرٍ ﴾ الآية جامع البيان (٥٥٤/٦) ، والنحل (١٦) ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ وَإِلْتَجِمَ لَهُمْ يَتَدُونُ ﴾ جامع البيان (٥٧٢/٧) ، و(٩٧) ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴾ الآية جامع البيان (٦٤٣/٧) .

### المطلب الثالث : الاستثناء يرجح فرقاً وتقابلاً بين المستثنى والمستثنى منه:

ففي قوله -تعالى- : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ حَرَجْتَ قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ إِذْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَنَىٰ عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٠] "... قال أبو جعفر : فقال جماعة من أهل التأويل : عنى الله تعالى بالناس في قوله : ﴿ إِذْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ ﴾ : أهل الكتاب... قيل إنهم كانوا يقولون : ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن ، وقولهم : يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا ، فهي الحجة التي كانوا يحتجون بها على رسول الله -ﷺ- وأصحابه على وجه الخصومة منهم لهم ، والتمويه منهم بها على الجهال وأهل الغباء من المشركين... فقطع الله - جل ثناؤه - ذلك من حججهم وحسمه بتحويل قبلته نبيه -ﷺ- والمؤمنين به من قبلته اليهود إلى قبلته خليله إبراهيم - عليه السلام-... وأما قوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ فإنهم مشركوا العرب من قريش... وإنما الحجة في هذا الموضوع الخصومة والجدال ، ومعنى الكلام: لئلا يكون لأحد من الناس عليكم خصومة ودعوى باطل غير مشركي قريش ، فإن لهم عليكم دعوى باطلاً وخصومةً بغير حق ، بقليلهم لكم : رجع محمد إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا ، فذلك من قولهم وأمانيتهم الباطلة، هي الحجة التي كانت لقريش على رسول الله -ﷺ- وأصحابه ، ومن أجل ذلك استثنى الله -تعالى- ذكره- : الذين ظلموا من قريش من سائر الناس غيرهم ، إذ نفى أن يكون لأحد منهم في قبلتهم التي وجههم إليها حجة [ثم ذكر أقوال أهل التأويل وقال]... فقد أبان تأويل من ذكرنا تأويله من أهل التأويل قوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ عن صحة ما قلنا في تأويله ، وأنه استثناء على معنى الاستثناء المعروف، الذي ثبت فيهم لما بعد حرف الاستثناء ما كان منفياً عما قبله ، كما قول القائل: " ما سار من الناس أحداً إلا أخوك "، إثبات للأخ من السير ما هو منفي عن كل أحد من الناس ، فكذلك قوله : ﴿ إِذْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ نفى عن أن يكون لأحد خصومة وجدل قبل رسول الله -ﷺ- ودعوى باطل عليه وعلى أصحابه بسبب توجههم في صلاتهم قبل الكعبة ، إلا الذين ظلموا أنفسهم من قريش ، فإن لهم قبلهم خصومةً ودعوى باطلة ، بأن يقولوا : إنما توجهتم إلينا وإلى قبلتنا ؛ لأننا كنا أهدى منكم سبيلاً ، وأنكم كنتم بتوجهكم نحو بيت

المقدس على ضلال وباطل. " (١)

فلما نفى الله - عزّ وجلّ - عن أناس أن لهم حجة ، ثم استثنى آخرين فلا شك بأن لهم حكماً منافياً للمستثنى منه أن لهم حجة -أي خصومة- ثابتة على المؤمنين ؛ ودل على هذا : الاستثناء، فهو في اللغة يثبت حكيمين : كل حكم مناف ومقابل ومضادّ للآخر، فالحجة المثبتة هنا هي : حجة مشركي العرب ، والحجة المنفية هي : حجة غيرهم من أهل الكتاب وسواهم ، بغضّ النظر عن صحة الحجة أو ضعفها وبطلانها .

---

(١) جامع البيان (٢/٣٥-٣٨) ، وتحقيق شاکر (٣/١٩٩) .

## المطلب الرابع : المثل يرجح مقابله الممثل به حتى يكون المعنى مماثلاً :

ففي تفسير قوله -تعالى- : ﴿ تَوَاتَىٰ أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَصْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَمَّا هُم بِتَذَكُّرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٢٥] رجح الطبري -رحمه الله- أن المراد بالشجرة النخلة لصحة الأخبار عن رسول الله -ﷺ- (١) ثم ذكر اختلافهم في المراد بالحين في الآية وأن الراجح -في هذا الموضع- هو : "غدوة وعشية ، وكل ساعة ؛ لأن الله -تعالى- ذكره- ضرب ما تواتى هذه الشجرة كل حين من الأكل لعمل المؤمن وكلامه مثلاً ، ولا شك أن المؤمن يرفع له إلى الله في كل يوم صالح العمل والقول ، لا في كل سنة ، أو في كل ستة أشهر ، أو في كل شهرين ، فإذا كان ذلك كذلك فلا شك أن المثل لا يكون خلافاً للممثل به في المعنى ، وإذا كان ذلك كذلك كان بيئاً صحة ما قلنا .

فإن قال قائل : فأبي نخلة تواتى في كل وقت أكلاً صيفاً وشتاءً ؟ قيل : أما في الشتاء، فإن الطلع من أكلها ، وأما في الصيف فالبلح والبسر والرطب والتمر ، وذلك كله من أكلها. " (٢)

والصواب أن هذا ليس أكل النخلة فحسب ، بل إن أكلها موجود على الدوام ، فمن حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى يبس ، وبعد يبسه يتخذ من منافع كثيرة ، ثم آخر شيء نواها الذي ينتفع به في تعليق الدواب... (٣) ويضاف لذلك ما يؤكل منها من الجمار. (٤)

ولو حمل معنى الأكل على الثمرة بمعنى المنفعة لكثرت المنافع كما هي منافع المؤمن.

(١) عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - مرفوعاً : "أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورفها ولا... ولا... ولا... تواتى أكلها كل حين" [ثم] قال سول الله -ﷺ- : "هي النخلة" رواه البخاري في كتاب التفسير ، في تفسير سورة إبراهيم ، صفحة (٩٨٢) حديث (٤٦٩٨) ، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب مثل المؤمن مثل النخلة ، (٢١٦٥/٤) حديث (٢٨١١) وغيرهما ، واللفظ للبخاري .

(٢) جامع البيان (٤٤٣/٧) ، وتحقيق شاکر (٥٨٢/١٦) . وانظر البقرة (١١٨) ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنْزِلُنَا آيَةً ﴾ الآية جامع البيان (٥٦٢/١) .

(٣) انظر تعليق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي -رحمه الله- على هذه اللفظة من الحديث في صحيح مسلم (٢١٦٥/٤) .

(٤) هو شحم النخل . مختار الصحاح (٩٠) .

### المطلب الخامس : أرجح جواب ما كان مقابل السؤال أو السابق من الآيات :

ففي قوله -تعالى- : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي لِنَا مَا جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ۗ ﴾ [الفرقان: ١٠] قال -رحمه الله- : " واختلف أهل التأويل في المعنى بـ ﴿ ذَلِكَ ﴾ التي في قوله : ﴿ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ ﴾ فقال بعضهم : [كمجاهد] معنى ذلك : خيراً مما قال هؤلاء المشركون لك يا محمد : هلا أوتيته وأنت لله رسول ، ثم بين -تعالى- ذكره-عن الذي لو شاء جعل له من خير مما قالوا<sup>(١)</sup> ، فقال : ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ... وقال آخرون : عُني بذلك المشي في الأسواق والتماس المعاش ...

قال أبو جعفر : والقول الذي ذكرناه عن مجاهد في ذلك : أشبه بتأويل الآية ؛ لأن المشركين إنما استعظموا أن لا تكون له جنة يأكل منها ، وأن لا يُلقى إليه كثر ، واستنكروا أن يمشي في الأسواق وهو لله رسول . فالذي هو أولى بوعد الله إياه : أن يكون وعداً بما هو خير ما كان عند المشركين عظيماً ، لا مما كان منكراً عندهم ."<sup>(٢)</sup>

فيحمل الجواب على ما كان مستعظماً عند الكفار ، وهو قولهم : ﴿ وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ۗ ﴾ [الفرقان: ٧] ، فهم إنما استنكروا عليه : نقص حظه من الدنيا مع رسالته ، ويكون الجواب مقابلاً لذلك المستعظم السابق ، دون ما كان منكراً عندهم من أمر نبوته على ما جاء في القول الآخر .

(١) والذي قاله المشركون في هذه السورة للنبي -ﷺ- قبل هذه الآية هو : ﴿ وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ۗ ﴾ [٧] أو يُنْفِثْ إِلَيْهِ كِتَابًا أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْهُمَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۗ ﴾ [الفرقان: ٧ - ٨] .

(٢) جامع البيان (٣٦٨/٩-٣٦٩) . وانظر موضعين آخرين في البقرة (١٢٦) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ وَالْيَوْمَ الْآخِرُ ﴾ الآية جامع البيان (٥٩٤/١) ، والأنبياء (١٠١) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [١٠١] جامع البيان (٩٢/٩) .

وهكذا يتبين أن التقابل والتقسيم ينبغي العناية به في تفسير القرآن ، فقد عهد من طريقة القرآن في البيان أن يقابل بين المؤمنين والكافرين ، وبين الأمر والنهي ، وبين المستثنى والمستثنى منه ، وبين الممثل والممثل به ، وبين السؤال والجواب ، ونحو ذلك .



## المبحث السادس : التفسير بما لم يرد ذكره في السياق يعتبر قولاً ضعيفاً :

يتضح من جعل السياق قضية أصيلة في الاستدلال على الترجيح بما بين الأقوال، ما لذلك من أثر فيما لم يرد في السياق، وأن حكمه الضعف؛ لعدم الدليل عليه ، ومن أمثلة ذلك: قوله -تعالى- : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْتَ سَعَى سَنَابِلٍ فِي كُلِّ صَبْلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦١] قال -رحمه الله- : " اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ : فقال بعضهم : والله يضاعف لمن يشاء من عباده أجر حسناته ، يعد الذي أعطى غير منفق في سبيله دون ما وعد المنفق في سبيله من تضعيف الواحدة سبعمائة . فأما المنفق في سبيله فلا ينقصه عما وعده من تضعيف السبعمائة بالواحدة... وقال آخرون : بل معنى ذلك : والله يضاعف لمن يشاء من المنفقين في سبيله على السبعمائة إلى ألفي ألف ضعف... "

قال أبو جعفر : والذي هو أولى بتأويل قوله : ﴿وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ : والله يضاعف على السبعمائة إلى ما يشاء من التضعيف ، لمن يشاء من المنفقين في سبيله ؛ لأنه لم يجر ذكر الثواب والتضعيف لغير المنفق في سبيل الله ، فيجوز لنا توجيه ما وعد -تعالى ذكره- في هذه الآية من التضعيف إلى أنه عِدَّة منه على العمل في غير سبيله أو على غير النفقة في سبيل الله .<sup>(١)</sup> فمضاعفة الثواب في الآية إنما جاء في سياق النفقات في سبيل الله ، فيرجح ذلك على غيره مما لم يرد ذكره ، فلا تدخل النفقات الأخرى ، ولو كانت مشروعة في هذه المضاعفة .

وفي قوله -تعالى- : ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [يونس: ١] قال -رحمه الله- : "القول في تأويل قوله -تعالى- : ﴿ر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ قال أبو جعفر : اختلف في تأويل ذلك : فقال بعضهم : تلك آيات التوراة... وقال آخرون : معنى ذلك : هذه آيات القرآن .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين في ذلك بالصواب : تأويل من تأوله : هذه آيات

(١) جامع البيان (٦٢/٣) ، وتحقيق شاکر (٥١٥/٥) .

القرآن... وإنما قلنا: هذا التأويل أولى في ذلك بالصواب؛ لأنه لم يجئ للتوراة والإنجيل قبل ذكر، ولا تلاوة بعد، فيوجه إليه الخبر. (١)

فلا يصح إرجاع الكلام إلى غير مذكور في السياق من غير دليل، والتوراة والإنجيل لم يسبق لهما ذكر ولم يأت لهما ذكر بعد أيضاً، بالإضافة: إلى أن هذه الأحرف المقطعة يذكر بعدها القرآن الكريم مباشرة إلا في مواضع يسيرة. (٢)

وفي قوله -تعالى-: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ۗ﴾ [الفرقان: ٥٥] قال -رحمه الله-: يقول -تعالى- ذكره-: وكان الكافر مُعيناً للشيطان على ربّه، مظاهراً له على معصيته... وقد كان بعضهم يوجه معنى قوله: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ۗ﴾ أي: وكان الكافر على ربه هيئاً، من قول العرب: ظهرت به، فلم ألتفت إليه، إذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت إليه، وكأنّ الظهير كان عنده فعيل صرف من مفعول إليه من مظهر به، كأنه قيل: وكان الكافر مظهوراً به. والقول الذي قلناه هو وجه الكلام، والمعنى الصحيح؛ لأن الله -تعالى- ذكره- أخبر عن عبادة هؤلاء الكفار من دونه، فأولى الكلام أن يتبع ذلك ذمّ إياهم، وذمّ فعلهم، دون الخبر عن

(١) جامع البيان (٥٢٦/٦)، وتحقيق شاکر (١١/١٥).

(٢) السور التي عقب فيها بعد الحروف المقطعة بذكر القرآن هي: البقرة، وآل عمران، والأعراف، ويونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، وطه، والشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، ولقمان، والسجدة، ويس، وسورة ص، وغافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجنّ، والأحقاف، وسورة ق، ولم يعقب بالقرآن ظاهراً في كل من: مريم والروم والقلم وذكر القرآن ضمن هذه السور، ففي مريم ﴿وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۗ﴾ [مريم: ٦٤]، وفي الروم: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جَنَّتُهُمْ يُتَاوَنُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ ۗ﴾ [الروم: ٥٨]، وفي القلم: ﴿إِذَا تَنَزَّلْنَا نَكُنُ سَاطِعًا الْأُولَىٰ ۗ﴾ [القلم: ١٥]، وقوله: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْمَدْيِيِّ سَتَجِدُنَاهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ ۗ﴾ [القلم: ٤٤]. - والله أعلم-، وقد ذكر ابن القيم أن كل الحروف المقطعة أقسم بعدها أو ذكر بعدها القرآن غير سورتين هما: مريم والقلم. انظر بدائع التفسير (٤٩٩/٤).

هوانهم على ربهم ، ولما يجر لاستكبارهم عليه ذكر ، فيتبع بالخبر عن هوانهم عليه. <sup>(١)</sup> فلما كان السياق في ذكر عبادة الكفار من دون الله -عز وجل- ، في قوله : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ ، كان الأولى في السياق : التعقيب بدم شركهم بالله -عز وجل- دون القول بأن معناه : الخبر بهوان الكافر على ربه ، فهذا لم يجز له ذكر في السياق ، ولو كان الحديث السابق عن كبرهم وعتوهم ؛ لصح هذا القول . -والله أعلم -.

(١) جامع البيان (٤٠٢/٩) . وانظر بقية المواضع في البقرة (٦٦) ﴿ فَعَلَّمْنَاهَا تَكْوِيلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا عَلَّمْنَاهَا لِّلْمُتَّوِينَ ﴾ ﴿٦٦﴾ جامع البيان (٣٧٧/١) ، و(١١٨) ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾ الآية جامع البيان (٥٦٠/١) - (٥٦١) ، و(١٤٠) ﴿ أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِنْرَهْمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ الآية جامع البيان (٦٢٦-٦٢٧) ، و(١٩٧) ﴿ الْحَقُّ أَشْهَرُ مَمْلُوءَةٌ ﴾ الآية جامع البيان (٢٧٠/٢) ، و(٢٢٩) ﴿ أَلَطَّلِقُ مَرَكَاتٍ فَمَسَاكُ يُعْرَفِي أَوْ تُشْرِيحُ بِإِحْسِنٍ ﴾ الآية جامع البيان (٤٨٧/٢) ، و(٢٣٩) ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ الآية جامع البيان (٥٩٢/٢) ، والنساء (٩٢) ﴿ وَمَا كَانِ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَا ﴾ الآية جامع البيان (٢١١/٤) ، والمائدة (٢٨) ﴿ لَئِنْ سَطَطتَ لِي بِدِكَ لِتَقْتُلِي مَا آتَا بِأَسْطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلِكَ لَئِنْ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٢٨﴾ جامع البيان (٥٣٣/٤) ، والأنعام (٨٢) ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ ﴿٨٢﴾ جامع البيان (٢٥١/٥) ، و(١٣٩) ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَمْرِ خَالصَةٌ لِّئُكْفِرْنَا مِنْكُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ الآية جامع البيان (٣٥٩/٥) ، وإبراهيم (٧) ﴿ وَإِذْ تَأَذَّتْ رُجُومُكَ لَئِنْ سَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ ﴿٧﴾ جامع البيان (٤٢٠/٧) ، والطلاق (٦) ﴿ أَشْكِرُونَهُنَّ مِن حَيْثُ سَكَرْتُمْ مِنْ وُجُوهِكُمْ وَلَا تَضَارُوهُنَّ لِيُضَيِّقُنَّ عَلَيْهِنَّ ﴾ الآية جامع البيان (١٣٩/١٢) .

## المبحث السابع : مراعاة عود الكلام على القريب في المعنى :

قد يعود الترجيح - طلباً لاتصال الكلام - على القريب دون البعيد : كما في قوله

-تعالى- : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٤] قال -رحمه الله- : " وأما قوله : ﴿ النَّاسَ ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عنى الله به : فقال بعضهم : عنى الله بذلك محمداً -ﷺ- خاصة... وقال آخرون : بل عنى الله به العرب... قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله عاتب اليهود الذين وصف صفتهم في هذه الآيات ، فقال لهم في قيلهم للمشركين من عبدة الأوثان : إنهم أهدى من محمد وأصحابه سبيلاً - على علم منهم بأنهم في قيلهم ما قالوا من ذلك - كذبة : أتחסدون محمداً وأصحابه على ما آتاهم الله من فضله . وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ؛ لأن ما قيل قوله : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ مضى بدمّ القائلين من اليهود للذين كفروا : ﴿ هَتُوكُمْ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٥١] ، فإلحاق قوله : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ بدمهم على ذلك ، وتقريظ الذين آمنوا الذين قيل فيهم ما قيل : أشبه وأولى ، ما لم تأت دلالة على انصراف معناه عن معنى ذلك. "(١).

فالأصل في الكلام الاتصال بما سبقه ، ما لم يدل دليل على انصرافه عنه ، وقد دلّ الدليل هنا ، وهو الاستفهام الإنكاري والتوبيخي ، على أن الإنكار عائد على ما سبق (٢) ، وكلما أرجع الكلام على ما سبقه كان ذلك أولى ما وجد إليه سبيل .

وفي قوله -تعالى- : ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٨٨] قال -رحمه الله- : " وأما قوله : ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ فإن معناه : فلا يصدّقوا بتوحيد الله ويقروا

(١) جامع البيان (٤/١٤١-١٤٣) ، وتحقيق شاکر (٤٧٦/٨) .

(٢) انظر صفحة (٦٦٠) .

بوحداثيته حتى يروا العذاب الموجه... .

واختلف أهل العربية في موضع: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾:

**فقال بعض نحويي البصرة:** هو نصب؛ لأن جواب الأمر بالفاء، أو يكون دعاء عليهم إذ عصوا. وقد حُكي عن قائل هذا القول أنه كان يقول: هو نصب، عطفاً على قوله: ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾، وقال آخر منهم، وهو قول نحويي الكوفة: موضعه جزم، على الدعاء من موسى عليهم، بمعنى: فلا آمنوا...

وكان بعض نحويي الكوفة يقول: هو دعاء، كأنه قال: اللهم فلا يؤمنوا. قال: وإن شئت جعلتها جواباً لمسألته إياه؛ لأن المسألة خرجت على لفظ الأمر، فتجعل: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ في موضع نصب على الجواب...

**قال أبو جعفر:** والصواب من القول في ذلك: أنه في موضع جزم على الدعاء، بمعنى: فلا آمنوا. وإنما اخترت ذلك؛ لأن ما قبله دعاء، وذلك قوله: ﴿رَبَّنَا أَنْطِمْسْ عَلَيْنَا أَمْزَلِيهْمَ وَأَشْدِّدْ عَلَيْنَا قُلُوبِيهْمَ﴾ فالحاق قوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ إذ كان في سياق ذلك بمعناه: أشبهه وأولى. <sup>(١)</sup>

فلما كانت الجملة: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ في سياق دعاء موسى، فالأولى بها: أن تلحق بمعنى الدعاء، ولا تلحق بما انفصل عنها من الخبر في قوله: ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾؛ لأن إلحاقها بما قرب أولى مما بعد.

وفي قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُمْ﴾ [عبس: ٢٠] قال -رحمه الله-: "يقول: ثم يسره للسبيل، يعني للطريق. واختلف أهل التأويل في السبيل الذي يسره لها:

**فقال بعضهم:** هو خروجه من بطن أمه... وقال آخرون: بل معنى ذلك: طريق الحق والباطل، بيناه له وأعلمناه، وسهلنا له العمل به...

وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب: قول من قال: ثم الطريق، وهو الخروج من بطن

(١) جامع البيان (٦/٦٠٢)، وتحقيق شاکر (١٥/١٨٢).

أمه يسره . وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب ؛ لأنه أشبههما بظاهر الآية ، وذلك أن الخبر من الله قبلها وبعدها عن صفته خلقه ، وتدييره جسمه ، وتصريفه إياه في الأحوال ، فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وبعده . " (١)

فـ ﴿السَّيْلَ﴾ الذي يسره الله للإنسان ورد في سياق الحديث عن خلق الإنسان ، وتصريف الله له في قوله تعالى : ﴿فُلِ الْإِنْسَانِ مَا كَفُورٌ﴾ (١٧) مِنْ أَيْ شَوْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّيْلَ يَسْرُهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْرَبَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) ﴿عيس: ١٧ - ٢٢﴾ ، فالأولى أن يلحق بالحديث عن الخلق ، فيكون معنى ﴿السَّيْلَ﴾ خروج الجنين من بطن أمه ، وأما تسهيل سلوك النجدين - الحق والباطل والخير والشر - فليس هذا المعنى هو القريب في هذا السياق -والله أعلم- .

(١) جامع البيان (١٢/٤٤٧-٤٤٨) . وانظر بقية المواضع في : آل عمران (١٧٩) ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ الآية جامع البيان (٣/٥٢٨) ، والنساء (٩) ﴿وَلِيَحْشُرَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ يُصَلِّفُوا خَائِفُوا عَلَيْهِمْ فُلْيَسَّئُرُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (١) جامع البيان (٣/٦١٤) ، ويوسف (١٩) ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَنْزَلُوا بِهَا فِيهَا صَاعِدًا فَادْنَوْا دُلُوبَهُمْ﴾ الآية جامع البيان (٧/١٦٧) ، و(٨١) ﴿أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيْكُمْ فَقُولُوا يَا بَابَاَنَا إِنَّا بَرَاءٌ مِنْكَ سَرَقْنَا وَمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْعَيْبِ حَافِظِينَ﴾ (٨١) جامع البيان (٧/٢٧٣) ، والرعد (١١) ﴿لَهُمْ مَعُونَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِمْ يُحَافِظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ الآية جامع البيان (٧/٣٥٢-٣٥٨) ، وسبأ (٥١) ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (٥١) جامع البيان (١٠/٣٨٨) ، و(٥٤) ﴿وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٣٩٢) ، وفاطر (١٠) ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ﴾ الآية جامع البيان (١٠/٣٩٨) ، والجن (١٠) ﴿وَأَنَّا لَا تَدْرِيهِمْ أَشْرُ أُرِيدُ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (١٠) جامع البيان (١٢/٢٦٥-٢٦٦) ، والمدثر (٦) ﴿وَلَا تَمَنَّوْا تَمَنُّوا بِمَنْ تَكْفُرُ﴾ (٦) جامع البيان (١٢/٣٠٣) ، والليل (٦) ﴿وَصَدَقَ بِالْحَقِّ﴾ (٦) جامع البيان (١٢/٦١٣) ، و(٩) ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ (٩) جامع البيان (١٢/٦١٤) .

## المبحث الثامن : مواضع لم يكن فيها تطبيق للتعامل نفسه :

لقد اعتمد الإمام الطبري -رحمه الله- في تفسيره جامع البيان على السياق ابتداءً، واعتمد عليه حال الخلاف والإيهام ، ولكن قد يندّد عن ذلك شيء يسير ، ومنه هذه الأمثلة :

ففي قوله -تعالى- : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ [الأنعام: ٩٣] قال -رحمه الله- : في قوله : ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ " وهذا خبر من الله - جل ثناؤه - عما تقول رسل الله ، التي تقبض أرواح هؤلاء الكفار لها ، يخبر عنها أنها تقول لأجسامها ولأصحابها : ﴿ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ﴾ إلى سخط الله ولعنته ، فإنكم اليوم تنابون على كفركم بالله ، وقيلكم عليه الباطل ، وزعمكم أن الله أوحى إليكم ، ولم يوح إليكم شيئاً ، وإنذاركم أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً ، واستكباركم عن الخضوع لأمر الله وأمر رسوله ، والانقياد لطاعته ، ﴿ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ وهو عذاب جهنم ، الذي يهينهم فيذلهم ، حتى يعرفوا صغار أنفسهم وذلتها . " (١)

فقد ذكر الإمام الطبري -رحمه الله- أن عذاب النار سيقع عليهم ، ولم ينص على أنه عذاب القبر ، ينزل بالكافر أول ما تخرج روحه ، بل ذكر عذاباً عاماً ، يوهم أنه العذاب الأخروي ، يوم البعث والنشور ، والأولى تحديد بداية العذاب البرزخي بعد خروج الروح .

قال ابن القيم -رحمه الله- : " وهذا خطاب لهم عند الموت ، وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون : أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون ، ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم : ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ﴾ . " (٢) .

والمراد أن هذا العذاب الواقع على الكفار في هذه الآية : حال تمام خروج الروح إلى دار

(١) جامع البيان (٥/٢٧١) ، وتحقيق شاکر (١١/٥٤٠) .

(٢) بدائع التفسير (٢/١٦٦) ، جمع يسري السيد محمد .

البرزخ قبل اليوم الآخر ، ولا مانع من دخول ما بعده . -والله أعلم- .  
 وفي قوله -تعالى- : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [التين: ٥] قال -رحمه الله- : " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك : فقال بعضهم : معنى ذلك : ثم رددناه إلى أرذل العمر... وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم رددناه إلى النار في أقبح صورة...  
 وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصحة ، وأشبهها بتأويل الآية : قول من قال : معناه : ثم رددناه إلى أرذل العمر ، إلى عمر الحَرْفَى ، الذين ذهب عقولهم من الهرم والكبر ، فهو في أسفل من سفلى : في إدبار العمر وذهاب العقل . وإنما قلنا : هذا القول أولى بالصواب في ذلك ؛ لأن الله -تعالى ذكره- ، أخبر عن خلقه ابن آدم ، وتصريفه في الأحوال ، احتجاجاً بذلك على مُنكري قدرته على البعث بعد الموت ، ألا ترى أنه يقول: ﴿ فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الْبَلَيْنِ ﴿٧﴾ ﴾ [التين: ٧] يعني : هذه الحُجَج . ومحال أن يحتج على قوم كانوا مُنكرين معنى من المعاني بما كانوا له مُنكرين . وإنما الحجة على كل قوم بما لا يقدر على دفعه ، مما يعاينونه ويحسونه ، أو يقرّون به وإن لم يكونوا له مُحسِنين . وإذ كان ذلك كذلك ، وكان القوم للنار التي كان الله يتوعدهم بها في الآخرة مُنكرين ، وكانوا لأهل الهرم والحَرْف من بعد الشباب والجلد شاهدين ، عُلِم أنه إنما احتج عليهم بما كانوا له مُعائنين ، من تصريفه خلقه ، ونقله إياهم من حال التقويم الحسن والشباب والجلد ، إلى الهرم والضعف وفناء العمر وحدوث الحَرْف" (١).

(١) جامع البيان (١٢/٦٣٧-٦٣٩) . وانظر مواضع أخرى في : البقرة (٢٤٦) ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ الآية جامع البيان (٣/٦٥) ، والأعراف (١٨٧) ﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ تُرْسِنُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ ﴾ الآية جامع البيان (٦/١٣٦) ، والأنفال (٢٤) ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٢١٥) ، و (٦٠) ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٢٧٧) ، والنوبة (٣٠) ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ الآية جامع البيان (٦/٣٥٢) ، وطه (٦٢) ﴿ فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُمُ بَيْنَهُمْ وَأَسْرَأُوا النَّجْوَى ﴿٦٢﴾ ﴾ جامع البيان (٨/٤٢٩) ، والصفات (١٠٧) ﴿ وَفَدَيْنَهُ بِذُنُوبِهِ عَظِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾ جامع البيان (١٠/٥١٤-٥١٥) ، وسورة ص (٥٨) ﴿ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ جامع



وهذا الموضوع -كما سبق- فيه قولان للمفسرين ، ولكل من القولين نوع استدلال بالسياق ، ولكل وجه حظ من النظر ، ومن أدلة القائلين بأن المقصود بقوله : ﴿ ثُمَّ رَدَدْتَهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ النار ، قرب معناه من قوله -تعالى- : ﴿ إِنَّ اللَّئِيمِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : "ومما يبين ذلك قوله ﴿ فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الْبَلِّينِ ﴾ فإنه يقتضي ارتباط هذا بما قبله ؛ لذكره بحرف الفاء ، ولو كان المذكور إنما هو رده إلى الهرم دون ما بعد الموت ، لم يكن هناك تعرض للدين والجزاء ، بخلاف ما إذا كان المذكور أنه بعد الموت يرد إلى أسفل سافلين غير المؤمن المصلح ، فإن هذا يتضمن الخبر بأن الله يدين العباد بعد الموت ، فيكرم المؤمنين ويهين الكافرين ، وأيضاً : فإنه سبحانه أقسم على ذلك بأقسام عظيمة : بالتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين... وهذا الإقسام لا يكون على مجرد الهرم ، الذي يعرفه كل أحد ، بل على الأمور الغائبة ، التي تؤكد بالأقسام ، فإن أقسام الله هو على أنباء الغيب.." (١)

هذا عرض مقتضب لمواضع مناسبة من الاستدلال بالسياق على ترجيح قول أو تضعيفه ، ولا يتسع عرض جميع المواضع ودراستها ومقارنتها ، ولكن المراد توضيح شيء من تصوير أهمية دلالات السياق -والحمد لله رب العالمين- .

البيان (٥٩٩/١٠) ، والزمر (٥٣) ﴿ قُلْ يَتُوبُونَ إِلَيْنِ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ الآية جامع البيان

(١٧-١٦/١١) ، وغافر (٦٠) ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ الآية جامع البيان (٧٣/١١) .

(١) دقائق التفسير ، (١٥٥/٥-١٥٦) .

## الخاتمة :

من خلال دراسة موضوع دلالة السياق نظرياً على سبيل العموم ، ومن خلال التطبيق عليه في تفسير جامع البيان لابن جرير الطبري -رحمه الله- على سبيل الخصوص ، ظهرت فوائد كثيرة منها: تعريف السياق فهو: بيان اللفظ بما لا يخرج عن الكلام السابق واللاحق .

والسياق نوعان :سابق للموضع الذي يراد تفسيره ، ومتأخر يأتي بعده ، فالأول : يسمى سابقاً ، والثاني : يسمى لاحقاً ، وقد يجتمعان وقد ينفردان .

الاهتمام بالسياق منهج ماثور : وروي مرفوعاً عند الترمذي في تفسير سورة المؤمنون .

وقد سلك هذا المنهج المفسرون من الصحابة كعلي وابن عباس -رضي الله عنهم-، والتابعون كسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، ومن بعدهم ، وهو شرط مهم في صحة التفسير .

ومن أقدم من نقل عنه الحث على لزوم السياق:مسلم بن يسار-رحمه الله- ت ١٠٠هـ ، حيث يقول:"إذا حَدَّثْتَ عن الله فَقفْ حتى تنظر ما قبله وما بعده "

وأقدم من توسع في السياق تنظيراً وتقعيداً : سلطان العلماء العز بن عبد السلام -رحمه الله- .

وأما أقدم من توسع في تطبيق دلالة السياق في التفسير فهو إمام المفسرين ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان ، وقد كانت هذه الرسالة قائمة على توضيح مسلكه وبيان منهجه .

إن دلالة السياق تعتبر من تفسير القرآن بالقرآن ، وهذه الطريق أصح طرق تفسير القرآن بالقرآن وأقواها في الجملة ؛ لكونها في محل واحد ، وأولى ما تفسر به الآية ما كان في سياق السورة .

## من قواعد السياق المهمة :

الكلام على اتصاله ما لم يدل دليل على انقطاعه ، وهذه القاعدة أساس في دلالة السياق ، ويرجع لها في أكثر المواضع .

تدبر أول الآية أو آخرها معين على معرفة معنى ابتدائها أو ختامها .

الأولى أن تحمل معاني الآيات اللاحقة على معاني جديدة دون تكرار المعاني بلا فائدة .

يختار من المعاني ما يلائم السياق دون ما يناقضه أو يقلل من فصاحته .

يراعى من المعاني : الظاهر من الخطاب ولا يتجاوز إلى غيره إلا بدليل .

## والاعتناء بهذه القواعد وأمثالها له آثار كثيرة من أهمها :

الاختيار بين القراءات ، دون إخلال بمتمثلة القراءة الصحيحة ، التي لم يظهر أو يترجح معناها للمفسر .

تحديد أو ترجيح ما يناسب السياق من أسباب التزول ، دون ما يناقضه .

إظهار المناسبات بين مقاطع السورة والآيات والجمل والكلمات ، له الأثر الواضح في إبراز

محور السورة في التفسير الموضوعي للسورة الواحدة .

توضيح المعاني من الآيات والجمل والكلمات على أساس صحيح ومسلك قويم حين نهتمّ

بمراعاة السياق .

مراعاة السياق لها أثر في عبارة المفسر حيث يذكر المتعلق القريب في السياق ، لما حذف

متعلقه لعمومه ولا ينفي ذلك العموم -كما سبق بيانه- .

يدل السياق في بعض المواضع على وجود حذف في الكلام ، ويساعد السياق في تقدير

محذوف مناسب .

وكذلك يدل السياق على الوصول إلى الصحيح من الناسخ أو المنسوخ .

يدل السياق على وجود تقديم في الكلام أو تأخير .  
وللسياق أثر مهم في الوصول إلى الترجيح بين الأقوال قبولاً أو رداً ، وتقديماً بين الأقوال أو تأخيراً .

ومع كل هذا فإن القرآن قد يحتمل بعض المعاني ولا يفصل السياق فيها وحده ، أو قد يوجد سياقات في بعض المواضع يتنازع فيها السباق واللاحق في توضيح الموضع التي يراد تفسيره ، ويبقى لدلائل أخرى كثيرة نصيب من فهم النص ، كالسنة النبوية ، والإجماع ، وأسباب النزول ، وأقوال الصحابة والتابعين ، واللغة ، والإعراب ، وغيرها .

هذا وأسأل الله الكريم بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وجلاء أحزاننا ، وذهاب همومنا وغمومنا .  
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .  
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .